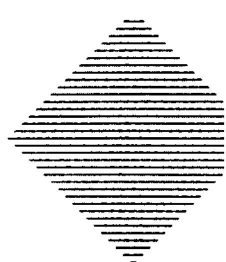
المرأة

مشاكل وحلول

الشيخ عبد العظيم المشيخص

مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

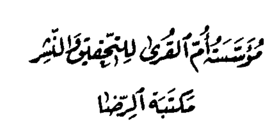
مكتبة الرضا

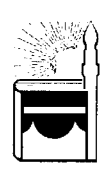


المرأة

مشاكل وحلول

الشيخ عبد العظيم المشيخص





مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

اسم الكتاب: المرأة مشاكل وحلول

تأليف: الشيخ عبدالعظيم المشيخص

الناشـــــر: مؤسسة أُم القرى للتحقيق والنشر

الطبعة الأولى: محرم الحرام ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢ م

لبنان/بيروت/الغبيري ص ــ ب ٢٥/٢٧٨

info@Omalqora.com

الإهداء

إلى التي نعمتُ بحبها.. وحنانها.. وعطفها.. المثالي..

أمي..

أسأله سبحانه أن يكنفها برحمته ورضوانه إنه سميع الدعاء.

المؤلف

مدخل

إن وضع المرأة قبل مجيء الإسلام، وبزوغ مبادئه وقوانينه وأنظمته، لدى أغلب الأمم والأنظمة الوضعية، كان وضعاً يرثى له بل كان قاسياً وشديداً ومحزناً ومذلاً، حيث كانت تعتبر سلعة أو بمنزلة الحيوان يقضي منها الرجل شهواته وملذاته، ثم تترك في مكان بعيد عن الإنسان والإنسانية، بل تعتبر إنسانا لا روح له، ولا احترام ولا إنسانية، فإذا مرت المرأة بفترة الدورة الشهرية ينصب لها خيمة بعيدة عن البيت خوفا من أن تلوثهم، وتنجسهم بدمها، وعند بعضهم أنها مصدر حقيقي للخطر والشرور والوساوس الشيطانية.

ينقل أنه لم يكن للمرأة عند الهنود في شريعة (ما نوي)حق من الحقوق وهي خادمة فقط لزوجها أو أبيها.. ولا تملك الأهلية للتصرف في مالها، بل لم يكن لها حق الملكية ذاته، إذ كل ما تملكه يعود إلى زوجها، أو إلى أبيها، أو إلى، ولدها... وكانت إذا مات زوجها أحرقوها حية ودفنوها معه... وفي شريعة حمورابي كانت المرأة تعتبر مثل السائمة، وليست لها الأهلية للملكية.. وإذا قتل رجل ابنة رجل آخر فعليه أن يسلمه ابنته ليقتلها أو يسترقها كيف يشاء. وكذلك في شريعة اليونان، والرومان واليهود، والنصارى بل وصل بهم الحال إلى أن يعتبروا المرأة منبع الخطيئة ومصدر الآثام.. وهي نجسة وخاصة في أيام حيضها حيث

إنها عندهم سبب خروج آدم عليه السلام من الجنة...

ومما زاد الطين بلة أنها في نظر العرب متاع، أو سقط المتاع، وكانت إذا مات زوجها جاؤوا بها، فوضع أحد أبنائه عليها ثوبه فلا تستطيع أن تتزوج حتى يوافق هو على ذلك، وكانوا يحبسونها على الصبي حتى يكبر إذا شاء أن تفتدي نفسها منه بمال أو إذا شاء تزوجها، أو شاء زوجها من يشاء، وأخذ صداقها.. وكان من شدة كراهيتهم للبنات، أن يشتد كرب الأب إذا بشر بالأنثى واسود وجهه واكفهرت الدنيا وأظلمت في عينيه فلا يدري أيدسها في التراب أم يمسكها على هون.. بل وصل بهم الحال كما وصفهم البخاري: أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء:

فنكاح منها نكاح الناس يوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها، والنكاح الآخر أن الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها: أرسلي إلى فلان فاستبضعيه، ويتركها زوجها، ولا يمسها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي باضعها فإذا تبين حملها رحب بها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد.. فكان هذا نكاح الاستبضاع، ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها فإذا حملت ووضعت، ومر عليها ليالٍ بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان. تسمي من أحبت باسمه فيلحق به ولدها ولا يستطيع أن يمتنع من ذلك، والنكاح الرابع: يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن الرايات تكون علماً لمن أرادهن ودخل عليهن فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها الرجال ودعوهم، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرونه يشبهه

ويُدعى ابنه لا يمتنع من ذلك. بل كانوا يكرهون فتياتهم على البغاء...

وأما المرأة في القرن الواحد والعشرين، ولا سيما في الدول الغربية، والشرقية والعربية والإسلامية على وجه الخصوص، فإنه يراد لها أن تتدهور أخلاقياً، حيث وصل الحال بهم إلى أن ترتكب أبشع الجرائم والمنكرات في حق المرأة والأُسرة والمجتمع و تحول ذلك إلى معروف!! والقارئ للصحف، والإعلام المقروء والمصور، يرى ذلك واضحاً كوضوح الشمس في رابعة النهار.

إن الزنا والخيانة الزوجية والتبرج والعلاقات الغرامية، أصبح شيئاً عادياً بالنسبة لها!! وهذا؛ إن دل على شيء إنما يدل على سقوط الحضارة الإنسانية في وكر الشيطان والهوى والإعلام.

في سنة (١٧٩٠) بيعت امرأة في أسواق انجلترا بشلنين، لأنها ثقلت بتكاليف معيشتها على الكنيسة التي كانت تنضم ا ليها.. وبقيت المرأة إلى سنة (١٨٨٢) محرومة من الملكية الفردية.

لقد نشرت مجلة التايمز الأمريكية في عددها الصادر ٢٦ مايو ١٩٨٠ تحت عنوان حركة تعديل.. الحقوق المتكافئة للمرأة.. وهي تطالب بإعطاء المرأة حقها الأنثوي والروحي وغير ذلك.

إن المرأة في الغرب ما هي إلا سلعة رخيصة القيمة فتراها ملقاة على قوارع الطريق معروضة للمشتري سواء في المطاعم، والمحلات، والمنتزهات، والشوارع والأماكن الترفيهية، تراها أرخص دمية يلعب بها الشيطان والغرام الباطل والإعلام الماجن، لقد رأيت الأعاجيب في إحدى سفراتي إلى أوروبا، فإن كل ما نقرؤه أو ينشره الإعلام عن وضعية المرأة الأوروبية و الفساد الأخلاقي والتفسخ الخلقي هو حقيقة لا مجال لتكذيبها على الإطلاق.

قصة شابة في الخامسة والعشرين:

كانت تدرّس مجموعة من الأولاد المراهقين، وكانت تقوم بتدريسهم الجنس عملياً في الفصل، وتخلع ثيابها قطعة قطعة أمامهم، فما كان من إدارة المدرسة إلا أن أبلغت وزارة التربية والتعليم.. واتفقت الإدارة على إيقاف هذه المدرسة الشابة، وطلب منها أن تكف عن عرض دروسها المثيرة على الطلبة المراهقين، وفي اليوم التالي نشرت جريدة الديلي ميرور صورة هذه المدرسة، الجميلة عارية في صفحتها الأولى.. وقامت بحملة ضخمة ضد إدارة المدرسة، ووزارة التربية والتعليم، الرجعية التي تمنع هذه الشابة العبقرية من مواصلة دروسها المهمة لتعليم الشباب المراهقين الجنس، ودعت الصحيفة إلى قيام مظاهرات تأييد للمدرسة الشابة وحريتها في التعبير، ودعوتها إلى مواصلة جهودها العظيمة في تربية النشء تربية جنسية سليمة خالية من العقد، وبالفعل قامت في الأيام التي تلت نشر هذه المقالات مظاهرات ضخمة تؤيد المدرسة الشابة فيما فعلت، وتطالب بإعادتها فوراً إلى حقل التدريس الذي خسر خسارة هائلة بإيقافها، ولم تجد إدارة المدرسة ووزارة التربية والتعليم بداً من إعادة المدرسة الشابة إلى ممارسة وظيفتها الحيوية مع الشباب المراهق، وانصاعت صاغرة للرأي العام الذي هيجته الجرائد الواسعة الانتشار.

نعم هكذا تتحول المرأة إلى معاول هدم، ودمار وفساد أخلاقي وخلقي، إذ سارت المرأة مسار الشيطان والنفس، الحيوانية وتحولت إلى منبع غني للأخلاق الفاسدة والمنحلة كما هو حاصل اليوم -في نساء وفتيات أوروبا الشرق والغرب- نعم إنها السلعة التي لا ينافس عليها والشهوة الحيوانية التي تتسابق إليها شرذمة الإدمان والفساد والمخدرات والزنا.

جاء في مجلة الشرق الأوسط بأن أعظم خطر يتهدد التجمعات الغربية هو التدهور الأخلاقي، وليس خطر التضخم والتسلح، أو حتى نشوب حرب عالمية ثالثة.. وإن معظم هذا التدهور يكمن في تدهور الأخلاق الذي يتمثل في انتشار الفساد وانحلال بناء الأُسرة التقليدي، والتمدن الحضاري.

إحصائيات مرعبة:

تحدث أحد الكتاب ا لأمريكيين عما وصلت إليه الحضارة الغربية، الخليعة الماجنة من فساد أخلاقي وخلقي فقال: إحصائيات عام ١٩٥٩ تدق ناقوس الخطر، فعدد اللواتي يلدن سنوياً دون زواج شرعي وفي سن المراهقة لا يقل عن ستمائة ألف فتاة بينهن على الأقل عشرة آلاف فتاة دون الرابعة عشر من العمر، وإذا أضيف إلى ذلك عدد اللواتي يلدن بدون زواج بعد سن المراهقة فإن العدد الإجمالي يتجاوز المليون و أن الولايات المتحدة الأمريكية تتقبل مليون طفل سنوياً (من ا لزنا والسفاح) وإن نسبة الطلاق في ارتفاع شديد..

نعم لقد سارت الحضارة الغربية نحو الهاوية السحيقة، فقد انتشر فيها البغاء والزنا واللواط ونكاح المحارم والاعتداء الجنسي على العاملات، والموظفات والأخوات وما شابه ذلك، ونتيجة انتشار تلك الأمور المحرمة انتشرت فيهم الأمراض التناسلية أمثال السيلان والزهري حتى وصلت عدد الحالات إلى مليون، وانتشر مرض الهربس بينهم إذ تبلغ حالات الإصابة عشرين مليون حالة وأما عن مرض الإيدز فقد يصل إلى نسبة ٧٠ ٪ وأما الإجهاض ٨٪، وأما من كل حالة زواج تحدث حالة طلاق وأن الإحصائيات تقول أصلا بين ما نسبته ٤٥٪ من نكاح المحارم.

فقد نشرت صحيفة الهيرالد تريبيون في عددها الصادر ٢٩/ ٦/

١٩٧٩ ملخص الدراسة التي قام بها مجموعة من الأخصائيين من القضاة والأطباء الأمريكيين حول ظاهرة غريبة ابتدأت في الانتشار في المجتمع الأمريكي وفي المجتمعات الغربية بصورة عامة وهي ظاهرة نكاح المحارم ويقول الباحثون إن هذا الأمر لم يعد نادراً إنما هو منتشر لدرجة يصل نسبتها ان عائلة من كل عشر عائلات أمريكية يمارس فيها هذا الشذوذ، والأغرب من هذا أن الغالبية العظمى (٨٥٪) من الذين يمارسون هذه العلاقات الشاذة مع أبنائهم وبناتهم أو بين الأخ وأخته أو الابن وأمه هم من العائلات المحترمة في المجتمع الأمريكي. ويذكر التقرير أن حالة واحدة من بين عشرين حالة هي التي تصل إلى القضاء أو إلى الدوائر الطبية، ومعظم هذه الحالات هي حالات اعتداء من الأب على ابنته ولا يقتصر الاعتداء على الابنة البالغة.. وإنما قد حصلت حالات كثيرة من اعتداء الأب على طفلته الصغيرة، وسجلت حالات من الاعتداء ابتداء من سن ثلاث سنين إلى سن البلوغ.

تنتج عن ذلك ا لاعتداء أمراض تناسلية والتهابات في الجهاز التناسلي، للطفلة كما أن عدة حالات حمل قد سجلت نتيجة اعتداء الأب على ابنته، وفي كثير من هذه الحالات كانت العلاقة بين الأب وابنته تمتد إلى سنوات عديدة، ومن هنا جاءت أقوال الباحثين الغربيين الشاذين حيث يقول بعضهم وهو يهودي (كوهين): إن منع نكاح المحرمات ليس إلا من مخلفات الإنسان البدائي الذي احتاج لإجراء معاهدات واتفاقات تجارية خارج نطاق الأسرة فقام عند ذلك بمنع نكاح المحارم.

ويقول الباحثون في الشؤون الجنسية: إن للأطفال الحق في أن يعبروا عن أنفسهم جنسياً مع أي فرد حتى ولو كان أحد أفراد عائلتهم(١).

---

(١) راجع كتاب عمل المرأة في الميزان ص١٥٠.

ومن أغرب ما حدث في سنة هجوم العراق على الكويت، وجلب الجيش الأمريكي، والقوات الأجنبية إلى الخليج، أني رأيت إحدى العاملات في قوات الجيش الأمريكي في أحد المحلات التجارية، ودار بيني وبينها، حديث فقلت لها ما الذي جاء بكن إلى هنا هل لحمل السلاح ضد النظام العراقي وإخراجه من الكويت؟

أجابت كلا. إنما جاءت النساء التابعات للقوات من أجل الترفيه عن رجال الجيش الأمريكي والقوات الغربية، وهذا ليس غريباً، ففي كل حرب تخوضها القوات الغربية والشرقية يكون من بين القوات العسكرية طاقم كامل من المجندات النسائية، من أجل إشباع الرغبة الجنسية وممارسة عملية الزنا والبغاء مع أفراد الجيش!!. هذا وضع المرأة في الدول الغربية والشرقية، ولو أردنا أن نسهب الحديث لاحتجنا لمجلدات كبيرة!

المرأة في نظام الإسلام:

أما عن الوضع في النظام الإسلامي فهو لا يوصف قط، فليس هناك نظام أكرم المرأة بنتاً وزوجةً وأماً إلا كالنظام الإسلامي ومبادئه الحقه، واليك نبذة يسيرة من ذلك.

المرأة في نظام الإسلام:

وأما عن وضع المرأة في النظام الإسلامي، فهو وضع تحسد عليه، حيث أعزها وعظم حرمتها وجعل لها الشأن الرفيع وساوى بينها وبين الرجل في التكاليف والعبادات والواجبات، بل جعل لها الحقوق الخاصة بها على صعيد أسرتها ومجتمعها الإسلامي، وقد منحها الإسلام

مكانة رفيعة بعد أن رأت أنواع الذل وصنوف الإهانة فكانت تباع وتشترى بأبخس الأثمان إن لم يكن بلا ثمن!! ووهبها الإسلام كرامتها بعدما دنست وأعطاها حرية الإرادة والكلمة بعدما استعبدت، وحظيت المرأة وهي بنت بمكانة لا توصف، فالإسلام منحها كل ما ترغب ولكن في إطار ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ لأن المرأة لها مالها وعليها ما عليها حيث طلب منها أن تلتزم بالدين كنظرية وتطبيق واقعي للحياة الإنسانية سواء كانت بنتاً أم أماً أم زوجةً، ولا يحق لها أن تطلق عنان حريتها دون قيد أو شرط وأن تستعمل جمالها ومالها وحريتها إلا على أساس إنسانيتها، وعفتها، وشرفها، ومكانتها المرموقة، فقد اعتنى الشارع المقدس بها أيما اعتناء، والقارئ لسيرة الرسول ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام و العلماء الأبرار رضي الله عنهم يرى ذلك واضحاً كوضوح الشمس في رابعة النهار أن للمرأة مكانة خاصة في نصوصهم وأقوالهم العطرة كما أنهم اهتموا بها اهتماماً بالغاً.

قال رسول اللّه ﷺ:

« النساء أمانة اللّه عندكم فلا تضاروهن ولا تعضلوهن » .

وقال ﷺ: « ما زال جبرائيل يوصيني في النساء حتى ظننت أنه سيحرم طلاقهن » .

وقال الإمام علي:

« المرأة ريحانة وليست قهرمانة » ، و « كلما ازداد المؤمن إيماناً ازداد حباً في النساء » إلى غير ذلك من الروايات والنصوص الدينية[1].

(١) كنز العمال ج٨ص٤٣.

النساء شقائق الرجال:

وجعل الإسلام المرأة شقيقة الرجل حيث إنهما متكافئان في الحقوق، والواجبات ولكنهما ليسا متشابهين في التكوين النفسي، والجسمي من حيث إن كلاً منهما له عمله المكلف به، فله تركيبه المناسب له، ومن الحق أن يكون هذا الأمر موضع النظر والتقدير.

إن هناك تغايراً طفيفاً بينهما والمساواة لا تقتضي إنكار حكم الطبيعة ونسيان الفوارق الخلقية وما تبعها من الاختصاص، ولقد أثبتت بحوث العلماء وتحقيقاتهم أن المرأة تختلف عن الرجل في كثير من جوانب الصورة والسمة، والأعضاء الخارجية إلى ذرات الجسم والخلايا، ومع بلوغها سن الشباب يعترضها المحيض الذي تتأثر به أفعال كل أعضائها وجوارحها، وتدل مشاهدات أساطين علمي الأحياء والتشريح على أن المرأة تطرأ عليها تغيرات مدة حيضها، منها أن تقل في جسمها قوة إمساك الحرارة فتنخفض حرارتها، ويبطئ النبض وينقص ضغط الدم، وتقل عدد خلاياها وتصاب الغدد الصماء واللوزتان والغدد الليمفاوية بالتغير، ويخمل الهضم وتضعف قوة التنفس ويتبلد الحس وتتكاسل الأعضاء وتتخلف الفطنة، وتقل قوة تركيز الفكر، وأشد على المرأة من مدة الحيض زمان الحمل حيث لا تستطيع قوة المرأة إبان حملها أن تتحمل من مشقة الجهد البدني أو العقلي ما تتحمله في عامة الأحوال مما يختل معه نظام جسمها كله، ويستغرق بضعة أسابيع، وبذلك تبقى المرأة مريضة أو شبه مريضة مدة سنة كاملة بعد قرار الحمل، وتعود قوة عملها نصف ما تكون عليه في عامة الأحوال، ومن شأن هذا كله أن يكون له أثره ومخالفته لطبيعة الرجل وتتصل به الآثار المترتبة على عمل المرأة خارج البيت في غير وظيفتها الأصلية، فإذا

أضفنا إلى آثار عوارض الحيض والحمل والولادة خصائص الأنوثة نفسها التي تجعل لديها قدراً كبيراً من العاطفة، بينما لا تبلغ ذلك في أمور الفكر والنظر.

ويتحدث الطبيب (كارليل) عن الفروق العميقة بين المرأة والرجل، من التكوين والأوضاع فيقول: إن ما بين الرجل والمرأة من فروق ليست ناشئة عن اختلاف الأعضاء الجنسية، وعن وجود الرحم والحمل أو عن اختلاف طريقة التربية، وإنما ينشأ عن سبب عميق جداً، وهو تأثر أعضاء المرأة بكاملها بالمواد الكيماوية ومفرزات الغدد التناسلية، وأن جهل هذه الوقائع الأساسية هو الذي جعل رواد الحركة النسائية، يأخذون بالرأي القائل بأن كلا الجنسين من الذكور والإناث، يمكن أن يتلقوا ثقافة واحدة، وأن يمارسوا أعمالاً مماثلة، والحقيقة أن المرأة مختلفة اختلافاً عميقاً عن الرجل فكل حجيرة في جسمها تحمل طابع جنسها، وكذلك الحال بالنسبة إلى أجهزتها العضوية ولا سيما الجهاز العصبي، وإن القوانين العضوية (الفيزيولوجيا) كقوانين العالم الفلكي لا سبيل إلى خرقها، ومن المستحيل أن تستبدل بها الرغبات الإنسانية ونحن مضطرون لقبولها كما هي، فالنساء يجب أن ينمين استعدادهن في اتجاه طبيعتهن الخاصة دون أن يحاولن تقليد الذكور، فدورهن في تقدم المدنية أعلى من دور الرجال فلا ينبغي لهن أن يتخلين عنه، إن الناس عادة يغفلون شأن وظيفة الولادة عند المرأة مع أن هذه الوظيفة ضرورة لكمال نموها ولذلك كان من الحمق والسخف صرف المرأة عن الأمومة، فلا ينبغي أن يتلقى الفتيان والفتيات ثقافة واحدة، ولا أن يكون لهم أسلوب واحد في الحياة ولا مثل أعلى واحد، وعلى المربين أن يعتبروا الفروق الجنسية والعقلية بين الذكر والأنثى وما بين دوريهما الطبيعي، فبين الجنسين فروق لا يمكن أن تزول، ومن الواجب

اعتبارها في بناء العالم المتمدن.

ومعنى هذا أن مفتاح شخصية المرأة الذي جاء به الإسلام قبل أربعة عشر قرناً أصبح للناس مقرراً في مجال الطب والعلم والبحث، وأصبحت هناك ملاحظة واضحة موجهة إلى ذلك المنحنى الخطير الذي تتجه إليه الحضارة الحديثة حين تنكر هذه التفرقة الواضحة بين الرجل والمرأة، وبين تكوينيهما النفسي والجسمي، وبين مهمتيهما المختلفتين المتكاملتين.

وفي مقدمة ما يحتاج إلى نظر وتصحيح أسلوب التربية، وبرنامج التعليم الذي يجري عليه العالم العصري كله من العجز عن التفرقة بين ما يقدم للمرأة، وما يقدم للرجل، وقد جرى المسلمون وراء برامج الغرب، وما زالوا مقصرين في هذا المجال، مأخوذين بجرائر هذه التبعية الباطلة.

وحول هذا المعنى تبرز الآن دعوة واضحة الدلالة في الغرب يجب أن نلتفت إليها نحن الذين كنا أول من أشار إلى هذا التباين من أجل تصحيح أوضاع مجتمعاتنا.

ويقول العلماء والأطباء الآن: إن الاختلاف في توزيع الأعمال من شأنه أن يقتضي الاختلاف في الخصائص وفي التركيب العضوي وفي التركيب النفسي فإذا واجهنا هذا الاختلاف في الخصائص كان لنا أن نعرف أنه مؤشر واضح لاختلاف الوظائف[1].

ويقول الدكتور مارانون: إنه من المحقق أن كمال الإنسانية في حياة الجنس يتم، ويجب أن يتم في اتجاه التطلع إلى التنويع أو التفريق الجنسي

---

(١) الإنسان ذلك المجهول، ص٧٦.

البالغ الدقة، بأن يصبح الرجل أكثر ما يكون رجلاً، والمرأة أكثر ما تكون امرأة، ولقد كان الإسلام داعياً في وضوح إلى هذه التفرقة، وإلى ضرورة تعميق الأنوثة والرجولة حتى لا تختلط، فليس الذكر كالأنثى[1].

لقد أعطى الإسلام المرأة من الكرامة والعزة ما يؤهلها بحق لأن تحمل رسالتها الضخمة، رسالة بناء الأجيال المتجددة، ومن أجل هذه الرسالة كانت خصائصها الذاتية التي تختلف بها عن الرجل، فهي في هذا العمل المعد لها (زوجة وأماً) إنما تحتاج إلى قدر من العاطفة أكبر من قدر الرجل حتى تسبغ الحنان، والرحمة، والخير على ذلك المحيط الذي تعيش فيه، وليس ذلك مما ينقص قدرها، بل هو أمر غريزي متصل بوظيفتها، ولقد جعل لها من العوامل المكونة ما يدعو الرجل إلى الميل إليها، هذا الميل أساس النسل وعمارة الدنيا وليس الميل مقصوداً بذاته، وإنما هو وسيلة لغيره، وقد نظم الإسلام له شرعة واضحة المعالم، وحد له الحدود وأمر أن تتستر المرأة، وإن لا تبدي مواضع الزينة، فلا يليق بها أن تلبس ما يجسم العورة، ولا ما يصفها فضلاً عما يكشفها ويبديها، أما كشف الوجه واليدين، فإن أمنت الفتنة، جاز لها ذلك، وإلا فهو حرام أيضاً، كما حرم الإسلام الإسراف في الزينة فليس من حق المرأة أن تلبس ثوباً رقيقاً يُظهر جسمها وتخرج به إلى الناس فاقدة بذلك قواعد الاحترام، وخارقة بذلك نظام التقاليد والأعراف. وكذلك حرم الإسلام عليها تغيير خلق اللّه في سبعة مواضع منها: الواصلة والمتوصلة والواشمة والمتوشمة، وكذلك الخلوة مع غير محرم، والمفاكهة المخلة بالعفة والشرف، والاختلاط.. وغير ذلك.

ويسمح لها الإسلام بعد ذلك أن تمارس حقوقها في حشمة ووقار،

---

(١) (مجلة المعرفة العدد الثامن ص١٢٣).

ومن غير خـروج علـى الحـد المشروع، ولا يقـر الإسـلام الـتردد علـى الحفلات ودور السينما والتمثيل وشواطئ البحار، ويجعل الإسلام دائماً ضوابطه وحدوده الحـاجزة عـن الخلاعـة والإباحيـة والتهتـك وفي نيـل الغاية من العلم أو العمل، فإن الضوابط التي وضعها الإسلام لا تحـول دون بلوغها إلى أقصى مدى، بل أن هذه الضوابط تعطي هـذه الوجهـة رصانة وتحول دون طبع ذوي القلوب المريضة، والأنفـس الرخيصـة مـن أبناء المجتمعات والطبقات الأخرى. تقول الكاتبة الغربيـة الـتي أسـلمت (مريم جميلة): لا ريب أن الخطأ إنما يأتي من هذه الفلسـفات المسـمومة، التي تحاول أن تفسر معنى التحرر علـى أنـه الإباحـة المطلقـة للنسـاء في الاختلاط بالرجال حيث شئن وأنى ذهبن بدون قيد أو شرط وفي اختيار الأزيـاء الـتي لا تناسـب الحشـمة وفي تـوظيفهن خـارج البيـوت، وفي الأسواق والمسارح ودور السينما، وفي مساهمتهن في الحياة العامة، فهنـا تمزقت أواصر الأسرة،، وانتهكت الحرمات. وقـد نبـه (برترانـد رسـل) الخبير في الشؤون الاجتماعية البشرية في الغرب إلى الأثر الخطير بسـبب الاختلاط في الحياة الزوجية حين قال في كتابه (الأخلاق والزواج): هناك شرط مهم في دعم الحياة الزوجية، وذلك هو خلو الحياة الاجتماعية من النظم الـتي تسـمح بالمصـادقة والمخالطـة بـين المتـزوجين مـن الرجـال والنسـاء، سـواء في العمـل أو في المناسـبات ومـا شـاكلها، وذلـك أن العلاقات العاطفية بين المتزوجين وغير المتزوجين من رجال ونساء خارج دائرة الحياة الزوجية، هي سبب شقاء الأزواج وكثرة حـوادث الطـلاق، وليس عسيراً أن نجمع أمثلة كـثيرة عـن البيـوت الـتي انهـارت بسـبب اتصال الأزواج والزوجات بغير شركائهم في الحياة الزوجية »[1].

---

(١) (للمزيد راجع معلمة الإسلام ج١ ص٤٥١ أنور الجندي).

الفصل الأول

الحب بين الرجل والمرأة

يعيش الإنسان حالة من حالات الحب المنبعث من منبع العاطفة الحياتية التي تكمن داخل نفسية كل إنسان حي، و هي التي من خلالها يمارس الإنسان معاملاته الفردية، والأسرية، والزوجية، بل هي التي ترسم له طبيعة نوع العلاقة ونسبتها وطريقتها. وحينما نحب شخصاً ما مائة بالمائة، فإننا لا شك نحاول بقدر الإمكان أن نتعامل معه بطريقة وأسلوب ونوعية خاصة جداً، تختلف تماماً عن أسلوب التعامل مع الآخرين، لأن المخزون العاطفي يحتم على صاحبه نوعية التعامل مع أي كائن حي يعيش معه، والعاطفة تتصل بحركة ومشاعر الإنسان نفسه، بحيث لا يمكن للإنسان العاطفي أن يسيطر على عواطفه وأحاسيسه، لأنها غير اختيارية بتاتاً. ولذلك حاول الإسلام وعبر توجيهاته ونصائحه المتتالية أن يؤطر هذه المشاعر ويحذر من الإفراط المتزايد فيها لأن لها نتيجة عكسية على الإنسان سواء كان ذكراً أم أنثى، والإسلام يريد أن يربي أفراده على التعقل لا التهور والشهوة المحرمة تارة والمفرطة تارة أُخرى، ويحاول عبر توجيهاته المتتالية أن يقضي على ما يسميه الفلاسفة اليوم (بالبعد الحيواني) في حياة الإنسان.

ولو أمعنا النظر في غرائز الإنسان الحيوانية، والتي يعبر عنها القرآن بالنفس الأمارة لوجدنا أن الشقاوة كامنة فيها، ولا يحدها حد ولا يصدها صاد إلا من رحم اللّه عن فعل الشر، ومن ذلك الإفراط

العاطفي والمشاعر المنبعثة من النفس المريضة التي توصل صاحبها إلى المهالك والخسارة في الدارين (الدنيا والآخرة). وما تصنعه البشرية اليوم من دمار وهتك وسلب وسفك للدماء، ونشر للمخازي والفساد بأنواعه وعلى كافة الأصعدة الدينية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والتربوية وغيرها ما هو إلا نتيجة عكسية منبعثة من النفس المريضة (الشريرة) بالعاطفة الخاطئة المفرطة.

كذلك الحب الخاطئ، والعاطفة المنبعثة من قلوب المراهقين، فعندما يصل الواحد منهم إلى حالة تغلب عليه الغرائز والشهوات والملذات المحرمة فلا يغض نظره عن أعراض الآخرين، ويسعى جاهداً من أجل النيل من شرفهم وعفتهم، وكذلك المرأة تسعى جاهدة من أجل الإغراء والسير وفق منهج المحرمات والخيانات الزوجية المنتشرة بشكل مرعب في هذه الأيام، والإقدام على العلاقات الغرامية الخاطئة التي تؤطر وتغطى بغطاء الدين (والحب البريء).

إن الإنسان اليوم في أمس الحاجة إلى الرجوع إلى الدين وتعاليمه الحقة، حتى يتمكن من الصعود إلى سلم الكمالات الحقيقية، وإنني على يقين ـ أقولها ـ لو سعى الإنسان العاصي الموهم بقطيعة (الحب الخائبة) إلى العودة إلى اللّه للسيطرة على بعده الحيواني، لوصل إلى هدفه المنشود عبر طرق الدين، والعلم، والأخلاق، والعفة والشرف.

إذن: إن موضوع الحب، والزواج موجود في حياة الشباب والشبائب منذ نضوجهم وقدرتهم وتغيير أجسامهم وعقولهم فهم يولون قضية الحب، والزواج الأهمية الكبرى، ويسعون جاهدين من أجل الوصول إلى سلم الحياة الزوجية.. ولذلك نرى الفتاة المراهقة تضطرب إن ذكر أمامها الحب أو الزواج، والمراهق كذلك وكما جاء في

الحديث: «من أحب شيئاً لهج بذكره»[1].

والغريب أنك تجد بعض طبقات المجتمع الإسلامي ـ للأسف الشديد ـ الرجل والمرأة يبنيان الكثير والكثير من الآمال، وفي إطار ذلك الاهتمام، وتلك الرغبات لدى الجنسين في التعرف على أسرار هذا الأمر.. فإن وجهات النظر تختلف من شاب إلى آخر ومن فتاة إلى أخرى حول مفهوم العلاقة، والزواج فقد يعشق المراهقون الحب الرومانسي ويبنون، كما ذكرت قصوراً من الأحلام والآمال الوردية.. ثم يصطدمون على أرض الواقع... بواقعية الحياة، وصور الحب التي تختلف من شخص إلى آخر، وشباب يؤمنون بالحب الواقعي، حب العقل والمنطق الذي يسيره العقل لا القلب ويتحكم فيه المنطق لا العواطف، ويؤسسون ويبنون بيوتهم بتخطيط، وإدارة بعيدة عن الحلم والتصور الباهت..

وآخرون يستسلمون للوهم.. فيتوهمون أنهم مكروهون منبوذون إن لم يحبوا أو يحبهم أحد أو لم يصادفوا الحب في سن معينة.. ويرفضون الزواج، لأنهم لم يحبوا.. ويعتقدون أنه لا نجاح للزواج بدون حب وسيفشل ويفشلون..

يقول الأستاذ محمود حسن أستاذ وعميد المعهد العالي للخدمة الاجتماعية وأستاذ الخدمة الاجتماعية بكلية الآداب جامعة الكويت في كتابه (الأسرة ومشكلاتها): «إن النظرة التقليدية تخدع الشباب وتوهمهم أن هناك لكل رجل امرأة في الحياة، فإذا قابلها أحبها وأحبته وسيتزوجها وسيكونان سعيدين، لأنهما أحبا بعضهما وتزوجا على هذا

---

(١) ميزان الحكمة ج٢ ص٢٠٩.

الأساس.. ولكن الواقع ينفي هذه الأفكار الرومانسية، فكثير من الأشخاص يمكن أن نقيم معهم حياة ودية جيدة وننشئ معهم زواجاً موفقاً يوفر كثيراً من الإشباع »[1].

وأحب أن أؤكد إن الذين يحملون في داخلهم أحلاماً وردية قبل الزواج لا شك أنهم يصدمون، ويحارون في تكييف حياتهم بعده.. فالفتاة الحالمة ترى في الزواج السعادة كلها والحب والحنان والعطف.. والخروج والزيارات.. والشاب الذي تعود على السهر، والخروج، والأصحاب، وكان حلمه زوجة تهتم ببيته وأكله فقط سوف يجد في الزواج ضيقاً وحبساً وتوريطاً ما كان ينبغي له أن يدخله، وهذا النمط من الشباب والشابات سوف يفقد دون شك السعادة في الحياة الزوجية وسوف يفتقرون إلى الهدوء والسلام العائلي.. وبالتالي تزيد درجة الحساسية المفرطة، ويدخل الضيق، والضجر وعدم القناعة إلى قلوبهم، وهي عوامل تخلق المشكلات، وتطورها تؤدي إلى تفاقمها في الحياة الأسرية.

وكما أسلفت فالمشكلة في ذلك المصير للحياة الزوجية هي الأحلام والأفكار الخاطئة عن الزواج وعن الحب والمشكلة في النظرة السطحية عن الرباط المقدس، وفي التسرع والتهور في الارتباط ولأهداف أخرى غير التي يقوم عليها الزواج كالذي يتزوج ليرضي أمه أو، أهله.. أو ليجد من تخدم أمه، أو تطبخ وتغسل له، فينطبع ذلك المفهوم وتلك النظرة في كيانه، وتؤثر في معاملته لزوجته وتصرفه معها، ونظرته للحياة الزوجية ووفائه بالتزاماته، والفتاة التي تتزوج وتقبل الزواج برجل لمجرد ضيقها من أسرتها وتحكمها فيها، وعدم خروجها..

---

(١) الأسرة ص٦٥.

أو لأنها رأت من في سنها قد تـزوجن، ولا بـد لهـا مـن الـزواج أو لأن مظاهر الزوج قد بهرتها.. سوف يؤثر ذلـك علـى زواجهـا واسـتقرارها العائلي.

لا أريد بذلك أن أخلق التشاؤم لدى المقبلين على الـزواج ـ فـإن ذلك لا ينقصهم في هذا الزمن ـ ولكني أود في هـذا البـاب أن أتحـدث عن المشكلات المتكـررة والعوامـل المهمـة الـتي تحـتم اسـتقرار الحيـاة، والاختيـار الـذي يبنـى عليـه الحـب، ويسـتقر بـه الـزواج وتحصـل بـه السعادة..

الزواج رباط مقدس يعقد بين طرفين يفترض فيه الاقتناع الكامـل لكل منهما بالآخر.. قناعة في الشكل والعادات.. والتقاليد.. والـتفكير.. والنظرة إلى الحياة ومشـوارها لتأسـيس بيـت، وإنجـاب أطفـال وحسـن رعايتهم وتربيتهم، لأداء الرسالة وإكمال المسيرة.. حتى يمكن للحب أن يتكون، ويستمر و يتزايد.. ولكي يتحقق لنا النجاح لا بد مـن الاقتنـاع أن هذا المشوار مـع مـا فيـه مـن سـعادة، وهنـاء، وصـفاء.. فيـه تعـب، ومعاناة، وشقاء، وصعاب.. وتلكم هي الحياة.. كمـا أن جـوهر السـعادة وتذوقها يكمن في القدرة علـى التكيـف و المـودة و الأمـاني والأحـلام والواقع الذي نصادفه على مر الأيام، ولا شك أيضاً أن الاختيـار مهـم، وعامل رئيسي في بناء الزواج.

وفي ضوء ما تقدم فإن الإسلام لا يمنع من أن ينجذب الإنسان نحـو زوجته ويحبها حباً كبيراً ولا يمانع أن تنجذب الفتاة نحو زوجها وتحبه حباً كبيراً أيضاً، ولكـن المـانع الوحيـد هـو أن نجعـل الحيـاة الزوجيـة كمـا نشاهدها اليوم في السينما والأفلام المدبلجة فهذا خطأ فادح لا يغتفر!!، وقد وصل الحال ببعضهن أنها طلبت الطلاق من زوجهـا لأنـه لا يحبهـا

كما يحب زوجته ذلك البطل في الأفلام أو التمثيلية أو السينما التي تواظب على مشاهدتها كما تواظب على صلاتها الواجبة لا تخطئ ولا تنسى، إن الدين الإسلامي أيها الأحباب يرفض بكل قوة أن يتحول الحب بين الزوجين حباً تمثيلياً، مما تكون نتيجته التنافر والطلاق والشحناء والبغضاء، مما يسبب تفكك الأُسرة وانحلالها البتة.

إن الإسلام يأمر بالحب بين الزوجين، وأن يعدل الإنسان بحبه لزوجاته وأبنائه وإخوانه وأخواته وأصدقائه.

جاء في الحديث عنه ﷺ: «أوثق عُرى الإسلام أن تحب في اللَّه وتبغض في اللَّه»[1].

وقد كان الحب في اللَّه عز وجل من أفضل القربات، أن يحب الزوج زوجته للَّه وفي اللَّه، وأن تحب الزوجة زوجها للَّه وفي اللَّه وأن يتحابوا جميعاً الإخوة والأخوات والأصدقاء والجيران في اللَّه وفي سبيل اللَّه، كما جاء في الحديث أن اللَّه تعالى قال لموسى عليه السلام: هل عملت لي عملاً؟

قال: صليت لك وصمت وتصدقت وذكرت لك.

قال اللَّه تعالى: أما الصلاة والصوم فلك برهان والصدقة ظل والذكر نور، فأي عمل عملت لي؟

قال موسى عليه السلام: دلني على العمل الذي هو لك قال: يا موسى هل واليت لي ولياً وهل حاربت لي عدواً قط؟

فعلم موسى عليه السلام أن أفضل الأعمال الحب في اللَّه والبغض في

---

(١) كنز العمال ج٣ حديث ٢٤٦٥٦.

اللَّه[1].

إذن ينبغي أن تكون هناك محبة بين الزوجين، وألفة وود حتى يتسنى للأسرة أن تأخذ بزمام التقدم والحضارة والعلم والدين والأخلاق، وتطور عجلة التربية والعلم نحو حياة أفضل، وبدون عامل الحب المشروع والمودة التي أطلقها القرآن الكريم بقوله: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ لا يتسنى للأسرة والحياة الزوجية الاستقامة على الإطلاق، وما أريد أن أنوه إليه أن يكون الحب للَّه وفي اللَّه طبقاً لما علمنا إياه النبي ﷺ وعرفناه عنه وعلمنا إياه أهل بيته عليهم السلام وأصحابه الميامين رضي الله عنهم والعلماء رضي الله عنهم عبر تعاليمهم وأخلاقهم وتوجيهاتهم المستمرة، وإلا نكون كما قال الشاعر:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمرك في الفعال بديعُ
لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

زليخا نموذج للحب الخاطئ:

عندما نقف عند قصة يوسف عليه السلام مع زليخا زوجة قطفير، ينتابني الاشمئزاز والاستغراب من تجري زليخا على الحدود الشرعية والأنظمة السماوية وشخصية نبي السماء (يوسف) عليه السلام.

وما قصة (يوسف وزليخا) إلا نموذج للحب الخارج عن نطاق العقلائية والشرعية السماوية، ومخالفة صارخة لمبادئ اللَّه تبارك وتعالى، وهذا ما وقف منه الشارع الإسلامي موقفاً مشرفاً في حرمة استمتاع المرأة برجل أجنبي بأي طريقة كانت وبأي وسيلة كانت، ولا سيما إذا كانت المرأة ذات بعل (متزوجة)، وما تفعل الفتيات والنساء في هذا اليوم من

---

(١) ميزان الحكمة ج٢ ص١٧٥.

العلاقات المسماة (بالحب) ما هي إلا مخالفة صريحة لمبادئ الدين الحنيف وشريعة سيد المرسلين ﷺ.

وكما هو معروف كانت زليخا اسمها زاعيل، وكان اسم زوجها الأول قطفير، وكان على خزانة الريان بن الوليد صاحب مصر، وهو الذي اشترى يوسف عليه السلام من القافلة التي أخرجته من الجب وجعله قطفير مثل ولده، ولم يكن له ولد، فأحبه وباعه بعد ذلك على عزيز مصر، وقال لزوجته (اكرمي مثواه) قال ابن إسحاق: لما أرادت زليخا شهوته فراودته، جعلت تذكره محاسنها، وتشوقه إلى نفسها، وقالت له: إن فراش الحرير مبسوط فقم واقضي حاجتي.

قال يوسف عليه السلام: إذاً يذهب نصيبي من الجنة فلم تزل تطمعه وتدعوه إلى اللذة وهي حسناء فامتنع وهرب فلحقته وأمسكته من قميصه فتخلص منها، وألفيا سيدها لدى الباب فلما رأته زليخا لطمت على وجهها. وقالت: إن هذا يوسف راودني عن نفسي فأنكر يوسف، فهم بقتله، وكان عنده طفل عمره شهران، وهو ابن داية زليخا ـ أي مربيتها ـ.

فقال للعزيز لا تعجل فـ﴿إن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّمن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ﴾ فنظر العزيز فإذا القميص قد من دبرٍ فظهرت براءة يوسف عليه السلام.

ويقال من شدة حب زليخا ليوسف عليه السلام أنها افتصدت يوماً فلما وقع الدم على الأرض كان مكتوباً فيه يوسف، يوسف أينما سال!!

وذكر أيضاً في التفاسير أنها غضبت على يوسف عليه السلام يوماً، فأمرت خادمها بأن يضربه أسواطاً، وهي تسمع صوت السوط، فكان

الخادم يوقع الأسواط على الأرض ويضرب الأرض وهي تسمع، فخطر بخاطر الخادم أن يضربه سوطاً واحداً حتى يرى الأثر على بدنه، فلا تكذبه زليخا في ضرب الأسواط، فضربه فخرجت زليخا من خدرها وصاحت به كف عن الضرب، فهذا السوط الذي ضربته الآن قد وقع ألمه في قلبي، وكأنك ضربتني أنا لا يوسف فأمنت على الخادم فحكى لها كيفية الضرب، وأنه كان على الأرض إلا ذلك السوط.

وقد حكي أن زليخا قعدت يوماً على طريق يوسف فلما أخبرتها جاريتها بدنوه منها قالت يا يوسف بحق الذي أعزك وأذلني أن تقف ساعة ولا تغيب عني، فقال يا زليخا أين مالك وجمالك قالت ذهبا في سبيلك فقال وأين عيناك؟ فقالت ذهبتا بالبكاء على فراقك، فقال وأين عشقك؟ قالت في صدري كما كان، قال فأين برهانك؟ قالت ناولني سوطك، فناولها إياه فتأوهت ونفخت فيه فاحترق السوط من نفسها، فألقاه يوسف من يده وصرف عنان الفرس فراراً، فقالت يا يوسف أنت بدعوى الرجولية لم تكن مثل المرأة فإني حفظت تلك النار في صدري من أربعين سنة ولم أنهزم كانهزامك.

ومما لا شك فيه عزيزي القارئ إن الإسلام والدين الحنيف بمبادئه وتعاليمه ونظمه الشاملة المتميزة لا تريد أن تمنعنا من استعمال قوة (الحب) مطلقاً حتى في الحب المتبادل بين الآباء والأمهات والأولاد والأقارب والزوجين، إنما شدد على النواحي المفرطة الخارجة عن التقنيين والشارع المقدس كما يصفه اليوم أصحاب الشهوات والملذات من المراهقين والمراهقات في هذا العصر المشؤوم تحت غطاء (الحب الخالص).

وهنا لا يسعني إلا أن أقول: إن من يفعل هذا يعتبر مخالفاً واضحاً لمبادئ الدين ومتحدياً نواهي الشارع المقدس، وخارجاً عن أخلاق

الدين الإسلامي، فهو في نظر الشارع المقدس مجرم بحق نفسه ومجتمعه ووطنه وكما يقال: « وذلك لأن النفس حريصة على ما منعت عنه مع معاونة الشياطين وتسويلاتهم » .

ومن أغرب ما قرأت عن صاحب الكشكول أن رجلاً كانت له امرأة وكان يتركها ويمضي إلى الزنا فقالت له امرأته يوماً: أيها الرجل عندك حلال طيب فتدعه وتمضي إلى الزنا.

فقال لها، أما قولك حلال فنعم، وأما قولك طيب فلا. !!

فتاة جامعية قتلها الحب نموذج ثانٍ:

لقد اعترفت في رسالتها أنها كانت خاطئة جداً، وسارت نحو الهاوية عندما فكرت أن تحب عبر طرق مخالفة تماماً لمبادئ الدين والأخلاق والشارع المقدس فقالت وهي تروي قصة حبها الزائف:

أعرف جيداً أن مشكلتي هذه ليست كسائر مشاكل البنات.. إنما هي أكثر تعقيداً وأكثر إثارة لأني دخلت في متاهات حياة لا ترحم.. قد ظلمني الحب.. وظلمت نفسي.. لأني استسلمت لعواطفي، وسرت في طريق الضلال.. وسلمت نفسي لليأس وها أنا الآن أحاول أن استدرك نفسي ولكن عبثاً.. لأني مع الأسف الشديد ما زلت أحب الإنسان الذي استولى على قلبي.. وسيطر على عواطفي وجوارح كياني.

وباختصار أنا فتاة جامعية قتلها الحب.. وظلمها (الأستاذ) الذي أحبته بكل كيانها وبدوري أنا ظلمت نفسي، لأني سرت مع عواطفي وحتى نهاية الطريق! وقصتي يا عزيزتي الأخت تشبه إلى حد بعيد قصص الأفلام السينمائية.. لم أتمكن أن أضع نهاية لأسدل الستار على الماضي.. مع أني فتاة مثقفة ويتوجب عليّ أن أخرج من الدائرة التي

سجنت نفسي فيها وعلى هذا الأساس قررت أن أهرب، أنطلق خارج بلدي، فقد أتمكن من بناء حياتي من جديد.. وأنسى الماضي الأليم الذي عشته سنوات في حب عاصف مع الإنسان الوحيد الذي استولى على قلبي وسيطر على عواطفي..

ورحت أبحث عمن يجد لي حلاً ويجيبني على الأسئلة المحيرة في حياتي وهي: هل أتمكن أن أهرب من شبح الرجل الذي ما زلت أحبه حباً عنيفاً قاتلاً؟ وكيف بإمكاني أن أتخلص من هذا الحب الذي يقلق راحتي ويكاد يدفعني إلى الجنون؟

إني أعترف بأني إنسانة ضعيفة مغلوبة على أمرها.. وأن الرجل الذي أحببته بالأمس.. وما زلت أحبه حتى الآن يستحق أي نوع من التقدير والاحترام.. فقد حاولت كثيراً أن أبعد شبحه عن حياتي، ولكن عبثاً فقد استولى على كياني، لدرجة أني أصبحت تائهة، وحزينة، أعيش على دموعي وأحزاني.

ولماذا كل هذا الحب؟

إنه السؤال الذي أطرحه على نفسي ليل نهار، والذي لم أجد له حتى الآن الجواب المناسب؟.

نعم.. لماذا أحب إنساناً تخلى عني بعد أن أوقعني في هواه.. وتركني دون أن يقول لي كلمة وداع.. وتزوج من فتاة غيري.. ثم جاء يقول لي إنه اضطر للزواج من فتاة ثانية لظروف اجتماعية قاهرة! وبصراحة مطلقة يجب أن أعترف بالحقيقة الكاملة وأقول: إني أنا المسؤولة أولاً وأخيراً عما جرى.. وإني عاطفية أكثر من اللزوم.. فقد وقعت في العاصفة منذ الوهلة الأولى، وكان ذلك الرجل هو سبب المشكلة التي

أُواجهها الآن..

إني فتاة وحيدة، أعيش مع والدتي التي تعبت كثيراً في تربيتي، حتى حصلت على شهادة عالية جداً.

وبما أني فتاة وحيدة، فقد عشت حياتي مدللة، وحصلت على كل ما تهواه نفسي، حتى أني عندما كنت في الجامعة كان عندي سائق، وارتدي أفضل الملابس، لدرجة أني كنت موضع حسد زميلاتي الجامعيات.. وإن والدتي المكافحة لم تكن ترفض لي طلباً ومهما كان نوعه..

لقد كانت تفعل المستحيل لإدخال السعادة إلى نفسي، وكانت تؤهلني لمستقبل جيد، وقد عوضتني حنان الأب الذي افتقدته منذ طفولتي والذي لم ألتق به حتى الآن، وحتى هذه اللحظة لم أتعرف إليه وإلى أشقائي.. ثم إني لا أشعر تجاهه بأي نوع من العواطف الإنسانية..

ودارت حياتي في فلك والدتي التي كرست نفسها من أجل تربيتي، وضحت بالكثير من أجلي.

وكنت أعيش حياتي بدون مشاكل.. وفي أجواء من السعادة المطلقة التي تحيط بي، وكنت أحلم بأن أحقق شيئاً ما في حياتي.. ولكني لم أكن أعرف ماذا أريد بالضبط.

إني فتاة جميلة جداً ومثيرة للاهتمام لقد عرفت ذلك من خلال المرآة.. ومن خلال الآخرين الذين أبدوا إعجابهم بجمالي ومظهري العام..

وأنا بالتالي فتاة رقيقة وناعمة وخفيفة الروح والظل وعاطفية جداً.. الكلمات الرقيقة تحدث أثراً في نفسي.. والكلمات القاسية

تجعلني أنام على دموعي..

وأنا أيضاً فتاة مرحة.. أحب الحياة، والنكتة وفي نفس الوقت ملتزمة.. ومن النوع المحافظ.. وأفخر بأني شرقية وعلي أن أتمسك بتقاليد مجتمعي..

وعلى الرغم من المبادئ التي أتمسك بها وأتبعها في حياتي فقد وقعت في (مطب) الحب الذي يقودني الآن إلى الهلاك والنهاية التعيسة.

والمأساة التي أنا فيها بدأت منذ أربع سنوات وكان عمري ١٩ سنة.. وكنت لا أزال في الجامعة..

وبدأت هذه المأساة مع الأستاذ الذي دخل بيتنا ليعلمني اللغة الفرنسية وذلك بناء على طلب والدتي..

لقد جاء ليعطيني دروساً خصوصية في اللغة الفرنسية، ولكنها كانت في الواقع دروساً من نوع آخر!

لقد جاء يعلمني الحب.. ويهمس في أذني بكلمات عاطفية رقيقة لم أسمع مثلها من قبل.. وكان من الطبيعي أن أحبه، فقد كان يتمتع بمواصفات فتى الأحلام.

كان في حدود الثلاثين من عمره وسيماً أنيقاً مثقفاً ومتحدثاً لبقاً ومن وسط اجتماعي جيد، وأحببته بكل ما يحمل قلبي من شغف وتوثب للحب

مع الأيام أصبح هذا الحب في قلبي.. إلى أن أصبح أستاذ اللغة الفرنسية كل شيء في حياتي، بل لعله أصبح الإنسان الوحيد الذي يدور في فلك حياتي، والزاوية التي أنظر من خلالها للحياة..

لقد أصبح شغلي الشاغل وهمي الوحيد في الحياة، والهدف الذي أسعى إليه..

وأصبحت أعيش مع الحلم الجميل.. وانتظر اليوم الذي سيضمنا فيه منزل واحد.

لقد كان هدفي من البداية أن أتزوج منه، ولكني كلما كنت أفاتحه بموضوع الزواج كنت أتلقى منه أجوبة غامضة.. مما جعلني أعيش وسط دوامة من الحيرة والقلق..

وكنت أسأل نفسي أحياناً: لماذا لم يفاتحني بموضوع الزواج؟ وهل يا ترى يستهدف تمضية أوقات فراغه معي؟ وهل وهل.

وأسئلة كثيرة كانت تتخبط في حياتي.. إلا أن حبي الكبير له كان يجعلني أعيش على أمل الانتظار.. وأصبحت أعيش مع الحلم والأمل..

وتمضي ثلاث سنوات.. ثم تهب العاصفة.. فقد تزوج فجأة من فتاة ثانية من وسطه.. وجاء يبرر موقفه أمامي بأن والده هو الذي اختارها زوجة له، وهو غير قادر على مخالفة رأي ذويه.. ! وجن جنوني.. فلم أكن أتصور أن الشاب الذي أحبه كل هذا الحب يتزوج من غيري، ثم ينتحل أمامي مثل هذا العذر السخيف.

وقررت أن أبتعد عنه، ومهما كانت النتائج، لأنه طعنني في قلبي.. وفضل واحدة أخرى عليّ..

وحاولت كثيراً ولكن عبثاً فقد عجزت عن الابتعاد عنه، وأصبحت أتقلب على نار الهجر والفراق والغيرة إلى أن استسلمت أخيراً وقبلت بالأمر الواقع..

والآن أنا ضعيفة تماماً، فهو يقول لي إنه ما زال يحبني.. وفي نفس الوقت غير قادر على الانفصال عن زوجته، خوفاً من غضب ذويه.

وجاء أيضاً يقدم لي حلاً.. وهو أن يتزوجني زواجاً سرياً، وكان من الطبيعي أن أرفض هذا الاقتراح، ورغم جميع هذه الظروف فإني أعترف بأني أحبه حتى الآن.. ولكني حائرة وقلقة وعصبية لا أعرف ماذا أريد؟

والآن وبعد تفكير عميق وصلت إلى حل أتمكن من خلاله من أن أتخلص من الماضي الذي دمر حياتي، وجعلني فتاة قتلها الحب أو على وشك أن يقتلها هذا الحب!

إني أريد الهروب والنسيان وتغيير كل شيء: المكان.. والظروف.. والأسماء.. وكل الأشياء..

إني أنتظر منقذاً يفتح لي قلبه وصدره، وأنا على استعداد أن أعيش في بلده، وأن أمنحه حياتي ومستقبلي وأبني حياة سعيدة، وأفتح صفحة جديدة بيضاء.. وأنسى كل شيء.. فمن يكون هذا المنقذ يا ترى؟!!

إن الإنسان الذي أحببته لم يكن يستحق حبي الكبير.. فقد دمر حياتي وتخلى عني.. ليس أمامي سوى الهروب.. ولذلك قررت أن أكتب لكم على أمل أن أنتظر ردكم على مشكلتي.. فقد أجد بينكم الرجل المناسب الذي سأمنحه حياتي، وأعيش من أجله لنبني معاً بيتاً للسعادة والمستقبل.. وها أنا أنتظر.. قبل أن أصبح فتاة قتلها الحب؟!! ونصيحة لكل فتاة أقدمها أن تحذر وأن تراقب نفسها من ان تقع في شراك الحب القاتل المنطلق من العواطف الخارجة عن نطاق الدين، والأعراف، والتقاليد، والأخلاق••

ومن الحب ما قتل دليل واضح:

ولكي تتعرف المرأة على فوادح الحب الخاطئ وبما يسمى اليوم حب البراءة نرى كم سبب الدمار والقتل والخسارة التي لا تقدر بقدر قط، فقد كان عاملاً مهماً في تدهور عقلية الشاب العربي آنذاك، حتى حد من عطائه ونشاطه الفكري والعقلي، فتساقطت الرجال على نهود النساء، فتدهورت الحضارة العربية، ولست هنا أن أقف محارباً ضد الحب ولكنني محارب ومخالف ضد الحب الخاطئ الذي تكون نتائجه السلبية أكثر من الإيجابية على المراهق اليوم وبالخصوص في هذا الزمن المادي القبيح. لذلك أحب أن أسطر ـ لقارئي العزيز ـ بعض قصص من ماتوا بسبب الحب، فخسروا سعادة الدارين الدنيا والآخرة بسبب تهورهم وحبهم الخاطئ.

١ - هند وبشر الأسيدي:

هو بشر الأسيدي من بني عبد العزى. شاعر إسلامي متوسط في طبقته وأحد المختلفين إلى رسول اللّه.

وهي هند، فتاة من قومه وإحدى فواضل نساء عصرها حسناً وجمالاً، وأما حالتها الاجتماعية فمتزوجة من رجل يقال له سعد بن سعيد وأما حالتها العاطفية فعاشقة حتى الثمالة لبشر.

نظرت إليه مرة حين كان يمر بقرب منزلها قاصداً رسول اللّه، فلم تعد تملك إلا أن تنظر إليه دوماً، حتى أدمنت المكوث كل غدوة على دربه تنتظر مروه. فإذا ما مر اضطرب كل شيء فيها إلا النظرة الثابتة إلى وجهه إلى أن تطويه المسافة بعيداً عنها، دون أن يكلف نفسه عناء رمي نظرة أو إلقاء تحية أو القيام بأي حركة تحسسها بشغل حيز في حياته.

فتناجي نفسها وتقول:

أهواك يا بشرُ دون الناس كلهم ... وغيرك يهواني فيمنعه صدي
تمر ببابي لست تعرف ما الذي ... أكابدُ من شوقي إليك ومن بعدي
فيا ليتني أرض وأنت أمامها ... تدوس بنعليك الكرام على خدي
ويا ليتني نعلٌ أقيك من الحفا ... ويا ليتني ثوبٌ أقيك من البرد
تبيت خلي البال من ألم الجوى ... وقلبي كواه الحب من شدة الوجد
وإنك إن قصرت عني ولم تزر ... فلا بد بعد الصد أدفن في لحدي

ولما تجاوز الحب حده، دمر حدوده وتحول إلى شعر يدون ورسالة توجه إليه فكتبت ما يعتمر في داخلها، ثم أخذت الجارية الكتاب وسارت به إلى بشر ولما وصلت إليه سلمت عليه فرد عليها السلام وسألها عن حاجتها.

فقالت الجارية إني جارية السيدة هند وقد أرسلتني إليك بكتاب هذا هو فأخذه وقرأه وفهم معناه ثم التفت نحو الجارية وسألها هل سيدتك عذراء أم ذات بعل.

فقالت الجارية: بل متزوجة وزوجها موجود في المدينة.

فرد بشر القول وواجه حبها بالواجب المفروض عليها تجاه زوجها ودعاها إلى الاعتصام بكلام اللّه وقال:

عليك بتقوى اللّه والصبر إنه ... نهى عن فجور بالنساء موحد
وصبراً لأمر اللّه لا تقربي الذي ... نهى اللّه عنه والنبي محمد
فلا تطمعي في أن أزورك طائعاً ... وأنت لغيري بالخناء معود
أما تذكري يوم الحساب وهوله ... وما للفتى مال ولا شيء يفتدي

وأخذت الجارية الكتاب وسلمته إلى سيدتها التي عزت عليها نفسها كثيراً فبكت بكاء مراً وكتبت إليه تقول:

لفي حسرة من لوعتي وتسهدي　　أما تخشي من لوعتي وتسهدي
فإن زرتني يا بشر أحييت مهجتي　　وربي غفور بالعطا باسط اليد

ومرة أخرى عادت إليه الجارية برقعة من سيدتها وصعب على بشر ما هي فيه فكتب لها هذا الأبيات:

ومسلمة في عصمة الزوج فابعدي　　أيا هند هذا لا يليق بمسلم
فحولي عن الفحشاء والعيبوارتدي　　أما تعلمي أن السفاح محرم
فتوبي إلى مولاك يا هند ترشدي　　بهذا نهى دين النبي محمد

لكن الكلمات كلها لم تكن لتكفيها في وصف ما تكابده من حبه، وكل العادات والقوانين ما كانت لتثنيها. ولكنه لم ييأس بل دأب على مراسلتها ليهديها فكتب:

إن الذي منع الزيارة فاعلمي　　خوف الفساد عليك أن لا تعتدي
وأخاف أن يهواك قلبي في الهوى　　فأكون قد خالفت دين محمد
فالصبر خير وسيلة لتشتفي　　وإلى الإله فسارعي وتعبدي

فلما وصلها هذا الكتاب انكمدت نفسها ومرضت فكتبت إليه تقول:

يابشر ما أقسى فؤادك في الهوى　　ليس الجفا من مذهب الإسلام
إني بليت وقد تجافاني الصفا　　فارحم خضوعي ثم زد بسلام
ضاقت قراطيس التراسل بيننا　　جف المداد بصفحة الأقلام

فلما وقف بشر على هذه الأبيات أجابها بقوله:

لا والذي رفع السماء بأمره　　ودحى بساط الأرض باستحكام

وهو الذي بعث النبي محمداً بشريعة الإيمان والإسلام
لم أعص ربي في هواك وإنني لمطهر من سائر الآثام

وحلف أن لا يمر بباب هند ولا يقرأ لها كتاباً، فلما امتنع كتبت له:

سألت ربي فقد أصبحت لي شجناً أن تبتلى بهوى من لا يباليكا
حتى تذوق الذي قد ذقت من نصب وتطلب الوصل ممن لا يواتيكا
وتشتكي محنة في الحب نازلة وتطلب الماء ممن ليس يسقيك
بلاك ربي بأمراض مسلسلة وبامتناع طبيب لا يداويك
ولا سروراً ولا يوماً ترى فرحاً وكل ضر من الرحمن يبليك

فلما لج بشر وترك المرور ببابها أرسلت إليه بوصيفة لها فأنشدته هذه الأبيات فقال للوصيفة: «لأمر مالا أمر». فلما جاءت الوصيفة أخبرتها بقول بشر فكتبت وهي تقول:

كفر يمينك إن الذنب مغفور واعلم بأنك إن كفرت مأجور
لا تطردن رسولي وارثين له إن الرسول قليل الذنب مأمور
واعلم بأني أبيت الليل ساهرة ودمع عيني على خدي محدور
أدعوه باسمك في كرب وفي تعب وأنت لاه قرير العين مسرور

وأما هند فقد أصبحت بعدها موجة بشر بحرها وزهرة بشر عطرها، تقطف من محياه كلما مر بعضاً من الحياة فكيف تعيش إن حجب عنها؟؟

وأما بشر فقد خاف على نفسه من الفضيحة فارتحل إلى بطحاء تراب ليلاً. ووقفت جارية هند على أمره فأعلمت سيدتها، فاشتد عليها ذلك ومرضت مرضاً شديداً فبعث زوجها إلى الأطباء فقالت له:

«لا تبعث إلي طبيباً فإني عرفت دائي، نهرني جني في مغتسلي

فقال لي: تحولي عن هذه الدار فليس في جوارنا خير».

فأجابها الزوج: ما أهون هذا فقالت: إني رأيت في منامي أن أسكن بطحاء تراب فقال: «أسكني بنا حيث شئت».

فاتخذت هناك داراً على طريق بشر وجعلت تمضي الأيام في النظر إليه كلما غدا إلى رسول اللّه حتى برئت من مرضها وعادت إلى حسنها، فقال لها زوجها: «إني لأرجو أن يكون لك عند اللّه خير لما رأيت في منامك أن أسكني بطحاء تراب فأكثرت من الدعاء».

وكانت مع هند في الدار عجوز فأفشت إليها أمرها وشكت إليها ما ابتليت به وأخبرتها أنها خائفة أن يعلم بشر بمكانها فيترك الممر ويأخذ طريقاً آخر فقالت لها العجوز: لا تخافي فإني أعلم لك أمر الفتى كله وأن شئت أقعدتك معه ولا يشعر بمكانك فقالت: ليت ذاك قد كان. ولما همت العجوز بالانصراف قالت لها هند:

ساعديني واكشفي عني الكروب ... ثم نوحي عند نوحي يا جنوب
واندبي حظي ونوحي علناً ... إن حالي بعده شيء غريب
ما رأت مثلي زليخا يوسف ... لا ولا يعقوب بالحزن العجيب

فقعدت العجوز على باب الدار حتى أقبل بشر فسألته أن يكتب لها رسالة إلى ابنها في العراق فقعد وراحت تملي عليه وهند تسمع كلامهما. فلما فرغ قالت العجوز لبشر: يا فتى، إني أراك مسحوراً فقال لها: ما أعلمك بذلك؟ فأجابته: ما قلت لك إلا وأنا متيقنة فانصرف عني اليوم حتى أنظر في أمرك.

ثم دخلت إلى هند وبشرتها قائلة: إني أراه فتى حدثاً ولا عهد له بالنساء ومتى ما أتى وزينتك وطيبتك وأدخلتك عليه غلبت شهوته

وهواه دينه.

وفي مرة كانت قد اتفقت فيها مع هند، ودعته لتنظر له نجمه فأدخلته إليها وأغلقت الباب عليهما فلم يشعر إلا والباب أقفل ووقفت أمامه حسناء كأنها البدر وقد ارتمت عليه وأخذته إلى صدرها وهي تقول:

يا بشر واصلني وكن بي لطيفاً   إني رأيتك بالكمال ظريفاً
وانظر إلى جسمي وما قد حل بي   فتراه صار من الغرام نحيفاً

فلما رآها راعه جمالها وعلم ببراعته أنها هند التي هجر مقره من أجلها فتباعد عنها متعطفاً وأنشد متلطفاً:

ليس المليح بكامل في حسنه   حتى يكون عن الحرام عفيفا
فإذا تجنب عن معاصي ربه   فهناك يدعى عاشقاً وظريفا

فجاء زوج هند على غير عادته في كل يوم فوجد مع امرأته رجلاً في البيت فطلقها ولبب الفتى أي طوقه وجره وذهب به إلى رسول اللّه.

فبكى بشر أمام الرسول وحلف بأنه ما كذبه منذ صدقه وما كفر باللّه منذ آمن به وقص على النبي قصته. فبعث النبي إلى العجوز وهند فأقرتا بين يديه فقال: «الحمد اللّه الذي جعل من أمتي نظير يوسف الصديق». فأدب العجوز وأعاد هنداً إلى منزلها.

بعد هذه الحادثة هاج بحب هند وانتظر انتهاء عدتها ليخطبها لكن هند رفضت أن تتزوجه بعد أن فضحها عند رسول اللّه فجاءها رسول من أهله يعلمها بأنه طريح الفراش وقد يموت إن هي لم ترض به فقالت: أماته اللّه فطالما أمرضني فكتب إليها يقول:

أرى القلب بعد الصبر أضحى مضيعاً

وأبقيت مالي في هواك مضيعاً

فلا تبخلي يا هند بالوصل وارحمي

أسير هوى بالحب صار مضيعا

فلما وصلتها الأبيات كتبت تحتها تقول:

أتطلب يا غدار وصلي بعدما أسأت ووصلي منك أضحى مضيعا

ولما رجوت الوصل منك قطعته وأسقيتني كأساً من الحزن مترعا

وأخجلتني عند النبي محمد فكادت عيوني أن تسيل وتطلعا

وزادت هذه الأبيات من لوعته وأضرمت نيران الحب في قلبه فكتب إليها:

سلام اللَّه من بعد البعاد على الشمس المنيرة في البلاد

سلام اللَّه يا هند عليك ورحمته إلى يوم التنادي

وحق اللَّه لا ينساك قلبي إلى يوم القيامة يا مرادي

فرقي وارحمي مضنى كئيباً فبشر صار ملقى في الوساد

فداوي سقمه بالقرب يوماً فقلبي ذاب من ألم البعاد

لكن جرحها كان أكبر من أن تبلسمه الكلمات وفضيحتها كانت أوسع من أن تحصرها الزفرات فردت عليه تقول:

سلام اللَّه من شمس البلاد على الصب الموسد في المهاد

فإن ترج الوصال وتشتهيه فأنت من الوصال على بعاد

فلست بنائل مني وصالا ولا يدنو بياضك من سوادي

ولا تبلغ مرادك من وصالي إلى يوم القيامة والتنادي

فلما وصل إليه الكتاب امتنع عن الطعام والشراب حتى اشتدت

علته وكانت له أخت تواسيه فطلب منها أن تأتيه بهند. فلما علمت هند بأنه على آخر رمق من الحياة سارت معها إليه فوجدته يقول:

إلهي إني قد بليت من الهوى
وأصبحت يا ذا العرش في أشغل الشغل
أكابد نفساً قد تولى بها الهوى
وقد ملّ إخواني وقد ملني أهلي
وقد أيقنت نفسي بأني هالك
بهند وأني قد وهبت لها قتلي
وإني وإن كانت إلى مسيئة
يشق علي أن تعذب من أجلي

فبكت هند وبكى معها كل من كان حاضراً وأنشدت:

يا بشر حالك قد فنى جسدي
وألهب النار في جسمي وفي كبدي
وفاض دمعي على الخدين منسكباً
وخانني الدهر فيكم وانقضى رشدي
ما كان قصدي بهذا الحال أنظر كم
لا والذي خلق الإنسان من كبد

فلما سمع كلامها أومأ إليها وأنشد:

أيا هند إن مرت عليك جنازتي فحيي بحزن ثم في النوح رنمي
وقولي إذا مرت عليك جنازتي وشيري بعينيك علي وسلمي
وقولي رعاك اللّه يا ميت الهوى وأسكنك الفردوس إن كنت مسلم

ثم شهق شهقة وفارقت روحه الدنيا فلما مات ارتمت عليه

وأنشدت:

يا عين نوحي على بشر بتغرير	ألا ترويه من دمعي بتقدير
يا عين إبكيه من بعد الدموع دماً	لأنه كان في الطاعات مجبور
لفقد بشر بكيت اليوم من كمد	لا خير في عيشة تأتي بتكدير
ألقاك ربك في الجنات في غرف	تلقى النعيم بها بالخير موفور

ثم ألقت بنفسها عليه وحركوها فإذا هي ميتة فغسلوهما ودفنوهما معاً.

فهذا الحب ولد عليلاً، أسير ظروف اجتماعية وقيم أخلاقية فمات وأمات أصحابه[1].

امرأة تحتال لكي يزني بها ابنها!!

وقد يصل الحال بالحب الخاطئ الخارج عن الحد الطبيعي والأوامر الإسلامية، النابع من وحي الهوى والنفس الأمارة بالسوء الغالب على بصائر العقل البشري أن يصل بامرأة تأمر أمها أن تدعو أبنها أن يطأها.

نقل التنوخي عن أبيه قال:

حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن سعيد النصيبي، قال: حدثني أبو الحسن ابن نجيح، قال حدثني رجل مستور كان لي صديقاً، وكان ينزل بقرب مقابر الخيزران ببغداد، قال: رأيت ليلة في منامي كأني قد اطلعت من داري إلى المقبرة، على رسمي في تلك اليقظة، فإذا أنا بالقبور مفتحة، وأهلها يخرجون منها شعثاً غبراً حفاة عراة، فيجتمعون في موضع منها حتى لم يبق قبر إلا خرج من كان فيه، ثم ضجوا بالبكاء

---

(١) راجع كتاب ومن الحب ما قتل ج١ ص٦٣.

والدعاء والابتهال إلى اللّه تعالى أن يصرف عنهم دفن المرأة التي تدفن عندهم في غد، فكأني قد سألت بعضهم، فقال: هذه امرأة من أهل النار، وإن دفنت عندنا تأذينا بسماع عذابها وما يجري عليها، فنحن نسأل اللّه صرف دفنها عنا.

قال: فانتبهت فعجبت من هذا عجباً شديداً، وطال الليل بي، فلما أصبحت سألت الحافرين: هل حفروا قبراً لامرأة؟ فدلني بعضهم على قبة عظيمة لقوم من التجار مياسير، قد ماتت زوجة أحدهم، ويريد دفنها في القبر، وقد حفر لها.

قال: فقصصت الرؤيا على الحافرين، فطموا القبر في الحال. وراعيت أمر المرأة، فجاء رسل القوم يسألون عن القبر، فقال الحافرون: إن الموضع ليس يتأتى فيه قبر لأنا قد وقعنا على حمأة تحت الأرض لا يثبت فيها ميت، فسألوا جماعة من أصحاب القباب أن يحفروا عندهم، فأبوا عليهم، وكان الخبر قد اشتهر بين الحافرين وانتشر، فمضوا إلى مقبرة أخرى فحفروا للمرأة، فاستدللت على الموضع الذي تخرج منه الجنازة، فدللت وحضرت وشيعت الجنازة، وكان الجمع عظيماً هائلاً، والرجل جليلاً، ورأيت خلف الجنازة فتى ملتحياً حسن الوجه، ذكر أنه ابن المرأة، وهو يعزى وأبوه، وهما يتوقدان من شدة المصيبة. فلما دفنت المرأة تقدمت إليهما. فقلت: إني رأيت في منامي في أمر هذه المتوفاة، فإن أحببتما قصصتها عليكما؟ فقال الزوج الذي هو زوج المتوفاة: أما أنا فما أحب ذلك، فأقبل الفتى فقال: إن رأيت أن تفعل. فقلت: تخلو معي. فقام فقلت: إن الرؤيا عظيمة فاحتملني. قال: قل:

فقصصت عليه الرؤيا، وقلت: يجب عليك أن تنظر في هذا الأمر الذي أوجب من اللّه لهذه المرأة ما ذكرته لك، فتجتنب مثله، وإن جاز

أن تعرفنيه لأجتنب مثله فافعل. فقال: واللّه يا أخي، ما أعرف من حال أمي ما يوجب هذا، أكثر من أن أمي كانت تشرب النبيذ، وتسمع الغناء، وترمي النساء، وما يوجب هذا الأمر العظيم، ولكن في درانا عجوز لها نحو تسعين سنة هي دايتها، وماشطتها، فإن نشطت صرت معي فسألناها، فلعلها تخبرنا بما يوجب هذا، فنجتنبه.

فقمت معه فقصدنا الدار التي كانت للمتوفاة، فأدخلني إلى غرفة فيها، وإذا بعجوز فانية، فخاطبها بما جرى وقصصت أنا عليها الرؤيا، فقالت أسأل اللّه أن يغفر لها، كانت مسرفة على نفسها جداً. فقال لها الفتى: يا أمي، بأكثر من الشراب والسماع والنساء؟ فقالت: نعم يا بني، ولولا أن أخشى عليك لأخبرتك بما أعلم. إن هذا الذي رآه هذا الرجل قليل من كثير ما أخاف عليها من العذاب، فقال الفتى: أحب أن تخبريني. ورفقت أنا بالعجوز فقلت: أخبرينا لنجتنبه ونتعظ به.

فقالت: إن أخبرتكم بجميع ما أعرفه منها، ومن نفسي معها طال. وبكت وقالت: أما أنا فقد علم اللّه أني تائبة منذ سنين، وقد كنت أرجو لها التوبة فما فعلت، ولكن أخبركم بثلاثة أحوال من أفعالها، وهي عندي أعظم ذنوبها.

فقلنا: قولي. فقالت للفتى: كانت من أشد الناس زنا، وما كان يمضي يوم إلا وتدخل إلى دار أبيك بغير علمه الرجل والرجلين، فيطأونها ويخرجون، ويكون دخولهم بألوان كثيرة من الحيل، وأبوك في سوقه، فلما نشأت أنت وبلغت مبلغ الرجال خرجت في نهاية الملاحة، فكنت أراها تنظر إليك نظرة شهوة، فأعجب من ذلك، إلى إن قالت لي يوماً: يا أمي قد غلب علي عشق ابني هذا، ولا بد لي أن يطأني، فقلت

لها يا ابنتي اتقي اللّه ولك في الرجال غيره متسع، فقالت لا بد من ذلك، فقلت: كيف يكون هذا أو كيف يجيبك وهو صبي وتفتضحين ولا تصلين إلى بغيتك، فدعي هذا للّه عز وجل. فقالت لا بد أن تساعديني، فقلت. أعمل ماذا؟ فقالت: تمضين إلى فلان المعلم، وكان معلماً في جوارنا أديباً وعمله أن يكتب لها رقاعاً إلى عشاقها ويجيب عنها فتبره وتعطيه في كل وقت، فقالت: قولي له يكتب إليه رقعة يذكر فيها عشقاً وشغفاً ووجداً، ويسأله الاجتماع، وأوصلي الرقعة كأنها من فلانة، وذكرت صبية من الجيران مليحة. قالت العجوز: ففعلت ذلك فأخذت الرقعة وجئتك بها، فلما سمعت ذكر الصبية التهب قلبك ناراً، وأجبت عن الرقعة تسألها الاجتماع عندها، وتذكر أنه لا موضع لك، فسلمت الجواب إلى والدتك، فقالت: اكتبي إليه عن الصبية أن لا موضع لها، وأن سبيل هذا أن يكون عنده، فإذا قال لك: ليس لي موضع فأعدي له الغرفة الفلانية، وافرشيها واجعلي فيها الطيب والفاكهة، وقولي له: إنها صبية وتستحي، ولكن عشقك قد غلب عليها وهي تجيئك إلى هاهنا ليلاً ولا يكون بين أيديكما ضوء، حتى لا تستحي هي ولا تفطن والدتك بالحديث ولا أبوك، إذا رأوا في الغرفة ضوء سراج، فإذا أجابك إلى هذا فأعلميني.

قالت: ففعلت ذلك، وأجبت أنت إلى هذا، وتقرر الوعد ليلة بعينها، وأعلمتها فلبست ثياباً، وتبخرت وتطيبت وتعطرت، وصعدت إلى الغرفة، وجئت أنت وعندك أن الصبية هناك، فوقعت عليها وجامعتها إلى الغداة، فلما كان وقت السحر جئت أنا وأيقظتك وأنزلتك وأنت نائم، وكان صعودها إليك بعد أن نام أبوك، فلما كان بعد أيام قالت لي: أمي قد واللّه حبلت من ابني، فكيف الحيلة، فقلت لا أدري، فقالت أنا أدري. ثم كانت تجتمع معك على سبيل الحيلة التي

عرفتك، إلى أن قاربت الولادة. فقالت لأبيك أنها عليلة، وقد خافت على نفسها التلف، وأنها تريد أن تمضي إلى بيت أمها فتتعلل هناك، فأذن لها ومضت، وقالت لأمها أنها عليلة، فأدخلت وأنا معها في حجرة من دارها، وجئنا بقابلة، فلما ولدت قتلت ولدها، وأخذته فدفنته على حيلة وستر، وأقامت أياماً وعادت إلى منزلها، فقالت لي بعد أيام أريد ابني، فقلت ويحك ما كفاك ما مضى؟ فقالت لا بد، فجئتك على تلك الحيلة بعينها، فقالت لي من غد: قد واللّه حبلت، وهذا واللّه سبب موتي وفضيحتي، وأقامت تجتمع معك على سبيل الحيلة إلى أن قاربت الولادة، فمضت إلى أمها وعملت كما عملت، فولدت بنتاً مليحة فلم تطب نفسها بقتلها وأخذتها أنا منها ليلاً، فأخرجتها إلى قوم ضعفاء لهم مولود، فسلمتها إليهم وأعطيتهم من مال أبيك دراهم كثيرة ووافقتهم على إرضاعها والقيام بها، وأن أعطيهم في كل شهر أجرهم، وكانت تنفذه إليهم في كل شهر وتعطيهم ضعفه، حتى تدلل الصبية وتوفد إليها الثياب الناعمة، فنشأت في دلال ونعمة، وهي تراها في كل أيام إذا اشتاقت إليها، وخطب أبوك لك من النساء، فتزوجت بزوجتك الفلانية، فانقطع ما بينك وبين أمك، وهي من أشد الناس عشقاً لك وغيرة عليك من امرأتك، ولا حيلة لها فيك. حتى بلغت الصبية تسع سنين، فأظهرت أنها مملوكة قد ظهرت ونقلتها إلى دارها لتراها كل وقت لشدة محبتها لها، والصبية لا تعلم أنها ابنتها، وسمتها باسم المماليك، ونشأت الصبية من أحسن الناس وجهاً، فعلمتها الغناء بالعود فبرعت فيه، وبلغت مبلغ النساء، فقالت لي يوماً: يا أمي هو ذا ترين شغفي بابنتي هذه، وإنه لا يعلم أنها ابنتي غيرك، ولا أقدر على إظهار أمرها، وقد بلغت حداً إن لم أعقلها برجل خفت أن تخرج عن يدي، وتلتمس الرجال وتلتمس البيع، وتظن أنها مملوكة، وإن منعتها

تنكد عيشها وعيشي، وإن بعتها وفارقتها تلفت نفسي عليها، وقد فكرت في أن أصلها بابني، فقلت يا هذه، اتقي اللّٰه يكفيك ما مضى. فقالت لا بد من ذلك، فقلت وكيف يتم هذا الأمر؟ قالت امضي واكتبي رقعة تذكرين فيها عشقاً وغراماً، وامضي بها إلى زوجة ابني، وقولي لها أنها من فلان الجندي جارنا، وذكرت لها غلاماً حين بقل عذراه في نهاية الحسن، قد كانت تعشقه ويعشقها، وارفقي بها، واحتالي حتى تأخذي جوابها إليه، ففعلت فلحقني من زوجك امتهان وطرد واستخفاف، فترددت إليها، وما زلت بها حتى در متنها، فقرأت الرقعة وأجابت عنها بخطها، وجئت بالجواب إلى أمك فأخذته ومضت به إلى أبيك، فشنّعت عليها وألقت بينها وبين أبيها وأبيك وبين أمها شراً كنا فيه شهوراً، إلى أن انتهى الأمر إلى أن طالبك أبوك بتطليق زوجتك، أو الانتقال عنه، وأن يهجرك طول عمره، وبذل لك وزن الصداق من ماله، فأطعت أبويك، وطلقت المرأة، ووزن أبوك الصداق، ولحقك غم شديد وبكاء وامتناع عن الطعام، فجاءتك أمك وقالت لك: لم تغتم على هذه القحبة؟ أنا أهب لك جاريتي المغنية، وهي أحسن منها، وهي بكر وصالحة وتلك ثيب فاجرة، وأجلوها عليك كما يفعل بالحرائر، وأجهزها من مالي ومال أبيك بأحسن من الجهاز الذي انتقل إليك. فلما سمعت ذلك زال غمك، وأجبتها فوافقت على ذلك، وأصلحت الجهاز وصاغت الحلي عليك وأولدتها أولادك هؤلاء، وهي الآن قعيدة بيتك.

فهذا باب واحد مما أعرفه عن أمك. وباب آخر، وبدأت تحدث. فقال: حسبي حسبي، اقطعي، لا تقولي شيئاً، لعن اللّٰه تلك المرأة ولا رحمها، ولعنك معها، وقام يستغفر اللّٰه ويبكي ويقول: خرب واللّٰه بيتي واحتجت إلى مفارقة أم أولادي.

وأخذ بيدي، وقمت وفي قلبي حسرة، كيف لم أسمع باقي ما أرادت العجوز أن تحدثنا به.

أنبأنا محمد عبد الباقي البزاز، قال: أنبأنا أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي، عن أبيه قال: حدثني إبراهيم بن علي النصيبي، قال: حدثني أبو بكر النحوي، قال حدثني أبو علي بن فتح، قال حدثني أبي، قال: كنت سنة من السنين جالساً في دربي، إذ دخل رجل شاب حسن الوجه والهيئة وعليه أثر نعمة، فسأل عن دار فارغة في الدرب يكتريها، وكان أكثر الدرب لي، فقمت معه إلى دار فيه كبيرة حسنة فارغة، فأريته إياها، فاستحسنها فوزن لي أجرتها لشهر، وأخذ المفتاح، فلما كان من غد جاء وجاء معه غلام، ففتحا الباب وكنس الغلام الدار ورش، وجلس هو ومضى الغلام، وعاد بعد العصر ومعه عدة حمالين وامرأة، فدخلوا الدار وأغلق الباب فما سمعنا لهم حركة، وخرج الغلام قبل العشاء، وبقي الرجل والمرأة في الدار، فما فتح الباب أياماً، ثم خرج إلي في اليوم الرابع، فقلت ويحك، ما لك؟ فأومأ إلي أنه مستتر من دين عليه، وسألني أن أندب له رجلاً يبتاع له كل يوم ما يريده دفعة واحدة، ففعلت فكان يخرج في كل أُسبوع فيزن دراهم كثيرة، فيعطيها للغلام الذي نصبته له ليشتري له بها ما يكفيه لطول تلك الأيام من الخبز واللحم والفاكهة والنبيذ والأبقال، ويصب الماء في الحباب الكثيرة التي قد أعدها لتلك الأيام، ولا يفتح الباب إلا أن ينقضي ذلك الزاد، فكان على هذه سنة، ولا يجيء إليه أحد، ولا يخرج من عنده أحد، ولا أراه أنا ولا غيري، إلى أن جاء في ليلة وقت المغرب، فدق بابي، فخرجت، فقلت: مالك فقال اعلم أن زوجتي قد ضربها الطلق، فأغثني بقابلة، وكان في داري قابلة لأم أولادي، فحملتها إليه، فأقامت عنده ليلتها، فلما كان من الغد جاءتني فذكرت أن امرأته ولدت في الليل

بنتاً، وأنها أصلحت أمورها، وأن النفساء في حالة التلف. وعادت إليها، فلما كان في وقت الظهيرة ماتت الجارية، فجاءت القابلة، فأخبرتنا وخرج الرجل فقال: اللّه اللّه أن تجيئني امرأة أو يلطم أحد، أو يجيء أحد من الجيران فيعزيني أو يصير لي جمع.

ففعلت ذلك ووجدته من البكاء والشهيق على أمر عظيم، فأحضرت له الجنازة بين العشاءين، وقد كنت أنفذت من حفر قبراً في مقبرة قريباً منا، فانصرف الحافرون لما أمسوا، وقد كان وافقني على صرفهم، وقال لا أريد أن يراني أحد، وأنا وأنت نحمل الجنازة إن تفضلت بذلك، ورغبت في الثواب، ونلي دفنها، فاستحييت وقلت له أفعل.

فلما قربت العتمة خرجت إليه فقلت له: تخرج الجنازة؟ فقال: تتفضل أولاً تنقل هذه الصبية إلى دارك على شرط. قلت: وما هو؟ قال: إن نفسي لا تطيق الجلوس في هذه الدار بعد صاحبتي ولا المقام في البلد، ومعي مال عظيم وقماش، فتفضل بأخذه، وتأخذ الصبية، وتنفق عليها من ذلك من أثمان الأمتعة إلى أن تكبر الصبية، فإن ماتت وقد بقي منه شيء فهو لك بارك اللّه لك، وإن عاشت فهو يكفيها إلى أن تبلغ مبلغ النساء فحينئذ تدبر أمرها بما ترى، وأنا أمضي بعد الدفن فأخرج عن البلدة.

فوعظته وثبته فلم يكن إلى ذلك سبيل، فنقلت الصبية إلى بيتي، وحمل الجنازة وأنا معه أساعده، فلما صرنا على شفير القبر قال لي: تتفضل وتبتعد، فإني أريد أن أودعها فأكشف وجهها فأراه ثم أدفنها.

ففعلت، فحل وجهها وأكب عليها يقبلها، ثم شد كفنها وأنزلها القبر، ثم سمعت صيحة من القبر، ففزعت فجئت فاطلعت، فإذا هو قد

أخرج سيفاً كان معلقاً تحت ثيابه مجرداً، وأنالا أعلم، فاتكأ عليه فدخل في فؤاده وخرج من ظهره، وصاح تلك الصيحة، ومات، كأنه ميت من ألف سنة. فعجبت من ذلك عجباً شديداً وخفت أن يدرك فيصير قصة، فأضجعته فوقها في اللحد، وغيبت عليهما اللّبن، وأهالت التراب وأحكمت أمر القبر، وصببت عليه جرار ماء كانت لنا في المكان، وعدت فنقلت كل ما كان في الدار إلى داري وعزلته في بيت، وختمته، وقلت هذا أمر لا بد أن يظهر له عاقبة، وما كان ينبغي أن أمس من هذا المال والمتاع شيئاً، وكان جليلاً يساوي ألوف الدنانير، وأحتسب النفقة على هذه الطفلة، وأعدها ملقوطة من الطريق ربيتها للثواب.

ففعلت ذلك، فمضى على موت الغلام والجارية نحو سنة، فإني لجالس على بابي يوماً، إذ اجتاز شيخ عليه أثر النبل واليسار، وتحته بغلة فارهة، وبين يديه غلام أسود، فسلم ووقف وقال ما اسم هذا الدرب؟ فقلت درب فتح. فقال أنت من أهل الدرب؟ قلت نعم. قال: منذ كم سكنته؟ قلت منذ نشأت وإلي ينسب وأكثره لي. فثنى رجله ونزل، فقمت إليه وأكرمته، فجلس تجاهي يحادثني، وقال: (لي) حاجة. فقلت قل. فقال: أتعرف في هذه الناحية إنساناً وافى منذ سنتين، شاب من حله وصفته، فوصف الغلام، وأكترى ها هنا داراً؟ فقلت نعم، قال وما كانت قصته وإلى أي شيء انتهى أمره، فقلت ومن أنت منه حتى أخبرك؟ قال تخبرني؟ فقلت لا أفعل أو تصدقني. فقال أنا أبوه، فقصصت عليه القصة على أتم شرح، فأجهشن بالبكاء، وقال مصيبتي أني لا أقدر أن أترحم عليهما. فقدرته يومئ إلى قتل نفسه. فبكى وقال ليس هذا أردت، فأين الطفلة؟ فقلت عندي والمتاع. فقال: تعطيني الطفلة. فقلت لا أفعل أو تصدقني. فقال تعفيني. فقلت أقسم عليك باللّه إلا فعلت.

فقال: يا أخي مصائب الدنيا كثيرة، ومنها أن ابني هذا نشأ، فأدبته وعلمته ونشأت له أخت لم يكن ببغداد أحسن منها، وكانت أصغر سناً منه، فعشقها وعشقته ونحن لا نعلم ثم ظهر أمرهما، فزجرتهما وأنكرت عليهما، وانتهى الأمر إلى أن افترعها. فبلغني ذلك، فضربته بالمقارع وإياها، وكتمت خبرهما لئلا أفتضح، ففرقت بينهما وحجرت عليهما، وشددت عليهما أمهما مثل تشديدي، فكانا يجتمعان على حيلة، كالغريمين، فبلغنا ذلك فأخرجت الغلام من الدار، وقيدت الجارية، فكانا على ذلك شهوراً كثيرة، وكان يخدمني غلام لي كولد، فتمت لولدي علي حيلة به، فأخذ الغلام بينهما، حتى أخذوا مني مالاً جليلاً وقماشاً كثيراً، وهربوا منذ سنين وعملوا على أخذ ذلك والهرب حيلة طويلة الشرح، فلم أقف لهم على خبر، وهان علي فقد المال لبعدهما، فاسترحت منهما، إلا أن نفسي كانت تحن إليهما، فبلغني أن الغلام في بعض السكك منذ أيام، فكبست عليه الدار، فصعد إلى السطح، فقلت له: باللّٰه عليك يا فلان ما فعل ولداي، فقد قتلني الشوق إليهما وأنت آمن. فقال لي عليك بدرب فتح في الجانب الغربي فسل عنهما هناك. ورمى نفسه إلى سطح آخر وهرب. وأنا أعرف بفلان من مياسير التجار بالجانب الشرقي.

وأخذ يبكي، وقال تقفني على القبر، فجئت به حتى أوقفته على القبر، ثم جاء فأدخلته داري فأريته الصبية، فجعل يترشفها ويبكي، وأخذها ونهض، فقلت مكانك انقل متاعك، قال أنت في حل منه وسعة، فما زلت أدرايه إلى أن علقت به، وقلت خذ المال وارحمني من تبعته، فقال على شرط نقسمه بيني وبينك، فقلت واللّٰه لا تلبست منه بحبة قال فاطلب حمالين، فجئت بهم فحمل تلك التركة والصبية وانصرف.

وقد نقل ابن الجوزي في كتابه (ذم الهوى) قصص من ماتوا وكفروا بسبب الحب الخاطئ الخارج عن نطاق الاعتدال وميزان الشرع الحنيف فراجع تلك ولك في ذلك عبرة.

وقفة لابد منها:

اعلمي يا أختي في الإسلام أنني عندما استعرضت مشكلات الحب وما يتعلق به، لم أقصد أن أزيحه أو أتجاهله من حياة الإنسان، بل أريد بهذا أن أؤكد على الحب الصادق الذي حث عليه اللّه ورسوله ﷺ وأهل البيت عليهم السلام والعلماء من السلف الصالح رضي الله عنهم، وما أحلى الحياة الزوجية أن يكون بها (الحب)، بل لا تستقيم الحياة الزوجية بدونه على الإطلاق، لأنه -عزيزتي القارئة- (آمال المرأة.. وأحلام الرجل) لكن بحدوده وأُطره الإسلامية وآدابه العرفية الشرعية لكي لا يتحول إلى معول دمار فيصبح مرضاً خطيراً ومزمناً لا علاج له إلا الموت.

ولذلك جعل رسول اللّه ﷺ الحب للّه وفي اللّه من شروط الإيمان الحقيقي المنبعث من صميم العقلية الموافقة لمبادئ الحق تبارك وتعالى.

والحب هو ميل الطبع إلى الشيء الملتذ فإن تأكد ذلك الميل وزاد عن حده الطبيعي وقوي سمي عشقاً.

والعشق هو الإفراط في المحبة حتى لا يخلو العاشق من تخيل المعشوق، وذكره لا يغيب عن خاطره، فعند ذلك تشتغل النفس باستخدام القوة الشهوانية والنفسانية، فتمتنع عن الطعام والشراب، فيخرج صاحبه عن الحدود المعقولة والعرفية والشرعية والقانونية، فيسبب لنفسه ولمجتمعه ولوطنه ولأُسرته الدمار والفساد والانحراف،

وتفشي الأمراض النفسية والعقلية والأخلاقية وغيرها، كما هو حادث اليوم للفتيات والشباب بسبب (الحب الخاطئ) الخارج عن الآداب الدينية والأعراف والأخلاق الإسلامية، وكما قالوا قديماً: «كل شيء زاد عن حده انقلب إلى ضده».

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[2].

إن الحب- يا أُختي في الإسلام- شيء جميل وجميل للغاية، بل هو صفة حميدة لا يتميز بها إلا من يعرف للشيء قيمته (وفاقد الشيء لا يعطيه كما يقول العلماء) والإسلام وتعاليمه الحقة تقف صفاً إلى صف في تشجيع الحب وممارسته عبر قنواته المشروعة ومن إعجاب الإسلام بهذه الفطرة السليمة، وهذا الأسلوب المحبب أن أمر به ودعا إليه ووصف به العباد المخلصين المتقين المؤمنين بقوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾.

ويقول رسول الله ﷺ: إذا أحب اللّه تعالى العبد نادى جبريل إن اللّه يحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل.

إن ديننا الحنيف وشريعتنا الغراء لا يخالفان الحب الصادق ولا يقفان ضده قط، إذا كان مؤطراً بالأطر الإسلامية ومقنناً بقوانينها الصحيحة وسائراً وفق المبادئ، والأخلاق والأعراف الدينية والاجتماعية وإلا فلا.

---

(١) الأنعام/ ١٥٣.

(٢) سورة الروم/ ٢١.

لذلك ترى شرائح كبرى من أبناء مجتمعنا ترتكب أبشع الجرائم والمنكرات باسم الحب الجميل الصادق البريء، لقد أُفسدت العقول ودُمرت الأُسر باسم الحب، تُخالف القوانين السماوية، والتعاليم الربانية والأعراف التقليدية باسم الحب. نعم لقد حصلت الجرائم.. وقُتلت ملايين الناس باسمك أيها الحب.

الفصل الثاني

الموضة اللا عقلائية طريق الدمار

يلتقي الحقد من جهة والخوف من جهة ثانية، ليفرزا مواقفاً ومؤامرات وممارسات لا تهدف غير ترسيخ التخلف والانحطاط والانحراف في جسد الأُمة الإسلامية اليوم، وبالخصوص في صفوف الفتيات والشباب في كل أرض وزمان ومكان للحاضر والمستقبل أيضاً.

حتى أن أحدهم ويدعى (ديو رانس براون) يقول: لقد كنا نتوجس الخوف من شعوب مختلفة، ولكننا بعد طول الاختبار والدراسة المعمقة لم نجد ما يبرر قلقنا وخوفنا من الخطر اليهودي والخطر الشيوعي والخطر الأصفر لأن هذه المخاوف لم تستند إلى أساس، لقد وجدنا اليهود أصدقاءنا والبلاشفة حلفاءنا أما الخطر الأصفر فهناك دول كبرى تتكفل بالقضاء عليه. أي أن الخطر الحقيقي يكمن في نظام الإسلام وقدرة هذا الدين على التوسع والإخضاع.

وأكد ملك إسبانيا أمام البابا أن أسبانيا قد جندت نفسها لحرب المسلمين في إفريقيا حرباً لا تنفك عنها حتى تغرس الصليب في ديار المسلمين، وتجعل أتباع محمد يخضعون له قهر اً.

وكان لإيطاليا نشيد يردده جنودها في أثناء الهجوم على طرابلس الغرب في ليبيا تقطر كلماته سماً وحقداً:

صلي يا أُماه ولا تبكي.. بل صلي وتأملي ألا تعلمين أن إيطاليا

تدعوني وأنا ذاهب إلى طرابلس فرحاً مسروراً لأبذل دمي في سبيل سحق الأمة الملعونة ولأحارب الديانة الإسلامية.. سأحارب بكل قوتي لمحو القرآن.. !

لا تحزني يا أماه لأننا في طريق الحياة..

ومثل هذه التصريحات كثيرة جداً تكاد لا تحصى نظراً لكثرة من يتبنى هذه المواقف الحاقدة ضد الدين وحملته من أبناء الإسلام اليوم.

لقد اتخذ اليهود الانحلال وسيلة في تنفيذ مؤامراتهم الخبيثة على العالم، وأول رائد في هذا المجال هو اليهودي (فرويد) الذي عمل في مجال الأخلاق، فقال: إن الأخلاق لا وجود لها، وليس هناك ديانة جاءت بها إنما هي خرافة وإن الغريزة الجنسية بين الأفراد من ذكور وإناث هي التي تتحكم بسلوك الأفراد وتحدد جميع العلاقات، وكبت هذه الغريزة أو الحد من نشاطها كبت لجميع طاقات الإنسان.

وانتشرت هذه الآراء بين الشباب الأوربي وقسم لا بأس به من الشباب العربي، كالنار في الهشيم.

وضربت الأخلاق بسهم قاتل، وهبط بالإنسان إلى مستوى أقل من الحيوان بقليل، لقد راح اليهود ينشرون هذه الآراء في المعاهد ودور النشر وفي جميع المحافل الثقافية وفي الحياة العلمية، ومضوا يستغلون جوانب الحياة الأخرى فيعمدون إلى تشجيع الترف الذي يجلب الهلاك ويخلق العقد ويغرق العالم في الفساد والانحلال والتفسخ. جاء في أحد بروتوكولات حكماء صهيون:

نشجع حب الترف المطلق الذي نشرناه من قبل، ونزيد الأجواء التي تساعد العامل، كما سننسق بمهارة أيضاً أسس الإنتاج ببذر بذور

الفوضى بين العمال وبتشجيعهم على إدمان المسكرات، انظروا إلى هذه الحيوانات المخمورة التي أفسدها الخمر، إن الحرية أتاحت لهم هذا الإفراط والإدمان وانغمسوا في الفسق المبكر الذي دفعهم إليه أعواننا من المدرسين والخدم والمربيات اللاتي يعملن في بيوت الأثرياء والموظفين والنساء اللواتي يعملن في أماكن اللهو والموضة ونساء المجتمع المزعومات اللواتي يقلدنهن في الفسق والترف.

وجاء أيضاً: لقد أتلفنا الجيل الحاضر من غير اليهود، أفسدنا خلقه بتلقينه المبادئ والنظريات التي نعلم أنها مبادئ ونظريات فاسدة، وعملنا على ترسيخها في ذهنه، دون أن نعمل على تعديل القوانين القائمة وأمكننا التلاعب بها وتفسيرها الذي لم يخطر على بال واضعها للحصول على نتيجة فعالة)[1].

و أوضح الأستاذ حامد كيلاني خطر ما تفعله الصهيونية العالمية على هذا الصعيد حيث قال:

ومن أخطر مظاهر التدهور الاجتماعي تدهور أوضاع المرأة المسلمة، والواقع أن حملات الصليبية والصهيونية عندما استطاعت الدخول إلى الأسرة الإسلامية قد استولت على أهم معقل في المجتمعات الإسلامية فبدلاً من أن توجه حملاتها الإفسادية للفرد المسلم بعد أن يخرج إلى الحياة مزوداً بعوامل المناعة التي يستمدها من تربيته البيتية صار يشب على الفساد في بيئته منذ الطفولة ويتلقن أساليب الميوعة والاستهتار من أمه وأبيه من أمه التي لا ترى لها قدوة إلا في الممثلات وعارضات الأزياء والغانيات على اختلاف أعمالهن... فالمجتمع يزخر بالشواهد على ذلك، ولن ألتمس هذه الشواهد في صالونات الحلاقة

---

(١) (الدين في منظار الغرب ص٥٤)المؤلف.

النسائية والملاهي والمراقص ودور السينما وظواهر الخيانة الزوجية وحوادث الطلاق المنتشرة، فالمناهج تعلمهن أن التدبير المنزلي إنما يتحقق بأحسن صورة إذا عرفت المرأة استعمال أدوات التجميل وحذقت في اختيار ألوان الملابس التي تلائم مختلف الحالات، فهناك ملابس للسهرة وهناك ملابس للاجتماعات العامة.. والصهيونية العالمية تصفق لهذا التدهور في أوضاع المرأة وترقص فرحاً واستبشاراً، ولا شك أن هذا هو الذي يحدث في زمننا هذا فقد ماتت هذه الحساسية بتأثير الغزو الأوروبي، وصار الرجل لا يبالي أن يرى ابنته كاسية أوعارية تصاحب الرجال أو تلاعبهم في البر والبحر بحجة الرياضة أو تسافر وراء البحر بحجة العمل، ولا يسألها أين كنت بل ماذا أحضرت؟[1].

وهذا جاء في أحد بروتوكولات الصهيونية حيث يقول:

« ولكي نبعدهم عن اكتشاف سير خط جديد في السياسة سنلهيهم بأنواع شتى من التسلية كالقمار والملاهي وإثارة العواطف ونشر الدعارة، ونقوم بالإعلان في الصحف داعين الناس إلى الدخول في مباريات شتى من أنواع المشروعات كالفن والرياضة وما إليهما » .

الإعلام المناوئ... والموضة:

ومن أخطر الأسلحة الفتاكة التي تستخدمها الحملات المعادية للدين، والأخلاق والإنسانية، والمرأة، لنشر سفاسفها وخرافاتها وسخافاتها وعاداتها السيئة المخالفة للفطرة والدين والأخلاق، بما تسميه المرأة المسلمة اليوم تقدماً وحضارة هو الإعلام المضلل.

---

(١) المصدر نفسه ص٦٥.

وهو من أمضى الأسلحة الفتاكة التي تستخدمها الجاهلية الحديثة ضد الشعوب المستضعفة عامة، والشعوب الإسلامية بوجه خاص. ويكمن خطر هذا السلاح في أنه خفي وغير ظاهر، ففي الوقت الذي نرى فيه الطائرات والدبابات والأسلحة الفتاكة الأخرى وهي ذات أبعاد وأحجام معينة وظاهرة ويمكن تحديها بالصمود والوقوف أمامها والاستشهاد تحت نيرانها إن استوجب الموقف، نرى أن سلاح الإعلام يستخدم ضد الإنسان من حيث لا يحتسب ومن حيث لا يدري، فهو يسلب منه إرادته وبصيرته ومعرفته بالحياة، وهو ذات السلاح الذي يقدمه علماء السوء للسلاطين مقابل دراهم معدودة.

إن بمقدور الإنسان المستضعف قهر أكبر طاغوت، وإذلال أكبر جبار حينما يقتني سلاح العلم والثقافة التحصينية، ويحتفظ بهما دون أن يسمح لأدعياء الدين وأدعياء العلم وأدعياء الثقافات المسمومة أن يسرقوهما منه من حيث لا يعلم، فالعلم سلاح إن توفر بيد المستضعفين المحرومين والبؤساء خاصة وجماهير الشعب عامة فسوف لن تسرق أموالهم وثرواتهم ولن يعتدي أحد على حرماتهم وحرياتهم، بينما إذا ما انفرد الطغاة وأذنابهم بهذا السلاح (كما هو عليه الآن ومع الأسف)، فسوف لن يكفيهم سحق كرامة أفراد الشعب وسلب حرياتهم، بل إنهم سيفسدون في الأرض ويجدون السعي في نفي أي إنسان من على سطح الأرض كما هم فاعلون اليوم في أرجاء مختلفة من العالم.

يقول تعالى في كتابه الكريم وهو يصف الطاغوت ويحدد ملامحه ويبين أبعاده:

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ

الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾.

والطاغوت هنا ليس طاغوت المال والجاه والقوة، إنما طاغوت الجهل الملبس بالعلم، وطاغوت التجهيل والتضليل والتزوير وزخرفة القول، والدليل على ذلك هو السياق القرآني حيث يقول: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾. فالمراد هنا من الطاغوت هو ما ينبغي على المؤمن اجتنابه كالطاغوت الأيديولوجي والطاغوت العلمي ـ إن صح التعبير ـ وأن يتفحص في نفسه متسائلاً، ممن يتلقى علومه؟ هل هو من طريق الهدى أم الضلال؟. ولهذا فمن آمن بالله وحده لا شريك له وآمن بالأنبياء وورثتهم وآمن بالكتاب فقد أحبط لليهود خطة الاستيلاء على مقدرات العالم عن طريق ضرب الإسلام والمسيحية والأديان الأخرى ووسيلة ذلك هو استخدام المال والنساء والاغتيالات لتنفيذ هذه الغاية، وقد بدأت بالغرب ثم بالشرق فأحكمت قبضتها على وسائل الإعلام، ويتصور اليهود أن وسائل الإعلام من طباعة ونشر وصحافة ومسرح وسينما، ووسائل التربية من مدارس وجامعات ودور العلم والقوانين والمضاربات، يجب أن تبقى ورقة رابحة بيدهم إلى أن يشاء الله.

وإن النظرة التاريخية لصناعة السينما في العالم تبين أنها نشأت وترعرعت وراجت على أيدي اليهود وغلاة الصهيونية في العالم، أولئك الذين استطاعوا أن يخضعوا الشباب لمخططهم التدميري فنشأت حركات فوضوية وامتلأت أرصفة الطرقات بالشباب البهيمي الرافض لكل شيء المرتد إلى الحياة البهيمية، همه الأساس هو التجرد من كل أخلاقيات المجتمع الفاضل، وكان لليهود المرتبطين بالشبكة الصهيونية العالمية الدور الخطير في عملية التغلغل الهادئ، والسيطرة على المؤسسات والمراكز

الإعلامية الحساسة في العديد من الدول الأوروبية والأمريكية، بحيث كانت ترمي هذه الخطة إلى إيصال وجهات نظر القادة الصهاينة إلى الشعب اليهودي، ونظرة فاحصة في أكبر المراكز الإذاعية والتلفزيونية في تلك المناطق، والتي لها الأثر البالغ في الساحة الإعلامية إضافة إلى الموقع الحساس الذي تسيطر عليه في حركة الأنباء العالمية، يمكن أن تقودنا إلى التعرف على طبيعة النشأة الأولى لهذه المراكز، فعلى الصعيد الأوروبي كان لليهود الصهاينة يد السبق على أهم وكالات الأنباء الأوروبية وهي:

أ - وكالة رويتر:

وقد تأسست هذه الوكالة في عام ١٨٥١ على يد رجل يهودي (بول جوليوس رويتر). وبالرغم من تعرض هذه الوكالة في بداية تأسيسها إلى ضغوطات من قبل كبريات الصحف والمجلات البريطانية، حيث كانت تقاطع هذه الوكالة لفترة طويلة غير أن رويتر استطاع أن يكسبهم عبر التسهيلات الخدماتية، وأبرز مثال هو تسليمهم الأخبار وايصالها لهم لمدة ١٥ يوماً مجاناً ثم استطاع أن يكبلهم ويربطهم ضمن الخدمات الخبرية للوكالة.

وهكذا تسعى هذه الوكالة لأن تصبح سلاحاً خطيراً يهدد السياسات الحاكمة حتى قيل عنها أنها أخطر من الأسطول أو الجيش، وبالرغم من ارتباطها الحالي برئاسة الوزراء البريطانية إلا أن مواقفها تجاه القضايا اليهودية الصهيونية واضحة بجلاء، وهذا ما يتضح من المقالات والتحليلات السياسية للشرق الأوسط، وها هي اليوم تسهم في حركة التدفق الإعلامي من خلال اشتراك أكثر من ٨٥٠٠ صحيفة والمئات من المحطات الإذاعية والتلفزيونية.

ب - وكالة الأنباء الفرنسية:

والتي كانت تحمل اسم (هافاس) نسبة إلى المواطن الفرنسي اليهودي (البرتغالي الأصل)، والذي قام بتأسيس مكتب المراسلات عام (١٨٣٢)، ومن ثم تطورت حتى أصبحت وكالة هافاس في عام (١٨٣٥) وبعد تحرير فرنسا صدر قرار بتحويلها عام (١٩٤٤) إلى وكالة الأنباء الفرنسية وحتى بعد تملك السلطات الفرنسية لهذه الوكالة فإنها بقيت على مواقفها المؤيدة للمخطط الصهيوني في الشرق الأوسط.

أما بالنسبة إلى محطات تلفزيونية أخرى فنجد أن صورة التغلغل والسيطرة الصهيونية في داخل محطات الإذاعة والتلفزة الأمريكية تأخذ مساحة واسعة من هذه المحطات، لهذا نرى أن الشبكات الإذاعية والتلفزيونية الكبرى في أمريكا تقع تحت إشراف، بل وإدارة رجال يهود مرتبطين بفلك الصهيونية.

فمحطة (ABC) الأمريكية كان يشرف على إدارتها رجل يدعى (ليونادر جو لد نسيون) وهو يهودي ومحطة (CBC) يتولى إدارتها (ويليام بالي) وهو أيضاً يهودي أمريكي لا يقل تعصباً عن السابق بشأن خدمة المصالح الصهيونية[1].

الأهداف الحقيقية للموضة:

خلال فترة زمنية طويلة استجمعت القوى الأوروبية قواها ونظمت نفسها، وأخذت من الكنيسة كامل الشرعية لوحدتها الروحية والسياسية، وجمعت أراذل شعبها من أجل إضعاف الإسلام والمسلمين، وتمزيق وحدتهم وجعلهم شيعاً وأحزابا، وسعى الاوربيون بكل ما

---

(١) للمزيد من المعرفة راجع كتابنا أعداء الأمة ج١ ص٤٥.

يملكونه من قوة مادية ومعنوية من أجل طمس معالم الدين والأخلاق والعفة من الأسر المسلمة، وتحويل الإنسان المسلم إلى إنسان ممسوخ لا يعرف عن دينه وعقائده ومعالم حضارته إلا الاسم، وبمعنى آخر مسخ عقلية المسلم تماماً حتى يصبح لا فرق بينه وبين الحيوانات!!.

يقول صموئيل زويمر رئيس جمعيات التبشير في مؤتمر القدس: إن التبشير الذي ندبتكم دول المسيحية للقيام به في البلاد المحمدية، ليس لإدخال المسلمين في المسيحية، فإن في هذا هداية لهم وتكريماً.

إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام، ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، ولذلك تكونون بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية...

إنكم أعددتم نشئاً لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، أخرجتم المسلم من الإسلام، ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي مطابقاً لما أراده الاستعمار، لا يهتم بعظائم الأمور ويحب الراحة والكسل، ويسعى للحصول على الشهوات بأي أسلوب حتى أصبحت الشهوات هدفه في الحياة[1]...

وقد كانت للمحاولات الصليبية الحاضرة على الدين الإسلامي والأخلاق أهداف توسعية وتدميرية من أجل هتك حرمة المرأة المسلمة، وجعلها سلعة تباع وتشترى بأرخص الأثمان بما هو حاصل الآن في أكثر دول العالم الغربي والشرقي أيضاً.

فقد كانت لهم أهداف تربوية وسياسية وأخلاقية، واستعمارية من

---

(١) راجع كتابنا أعداء الأمة ص١٧.

أجلها نشروا الموضة الخاطئة العارية في عقلية (المرأة) في العالم بشكل عام والعالم الإسلامي بشكل خاص، بل العالم الإسلامي في نظرهم أهم بكثير من العالم الغربي، لأن المرأة الغربية قد انتهوا من تفسخها وانحلالها وتبرجها، إنما العمل الدؤوب اليوم وغداً على تفسخ وانحلال وتدهور كيان الأسرة المسلمة والمرأة المؤمنة.

لذلك تسعى القوى الأوربية لتحطيم كيان الأسرة مادياً عن طريق استنزاف أموالها وإضاعة، وقتها فيما يضر ولا يفيد، وجعلها منصهرة تماماً في اللهو والمجون والموضة القاتلة.

جولة في عالم.. الموضة:

نجد أن المرأة تجاوزت التجديد في الأزياء للكبار والصغار ذكوراً وإناثاً، إلى التدخل في شكل الشعر ولون الأصباغ المستخدمة لتغييره، وكذلك في شكل الحلي ونوعيتها، وأشاكل الحقائب اليدوية والأحذية.. ونوعية العطور والدهان ومساحيق التجميل، بل وقد تدخلت في نوعية وشكل الأثاث والستائر وطلاء الجدران، أو كسوتها بمختلف الديكورات.

ومن المعلوم لدى الجميع أن هناك المئات من المجلات النسائية الأجنبية وحتى العربية كل همها أن تروج للموضة وتحث عليها، وتشرح كيفية اتباعها وتنفيذها.. حتى أنه صدرت عدة مجلات: منها على سبيل المثال مجلة البردة الألمانية التي تستطيع بواسطتها أي امرأة تتقن فن التفصيل والخياطة، أو لا تفقه فيه شيئاً، أن تحصل على ما تريده من قصات جديدة، وموضات مستحدثة منها، دون أن تعاني من الذهاب إلى حائكة الثياب (الخياطة) وذلك كله للإسراع في ترويج الموضات.

كما صدرت مجلات أجنبية فصلية مجانية توزع على المحلات

التجارية، وتقوم هذه بتوزيعها على النساء، وقد صورت فيها الأزياء الجديدة بصورة جذابة مغرية.. ووضع تحت كل ثوب رقم، ثم لائحة بالأسعار بعد ذلك في صفحة خاصة كلاً حسب رقمه.

ويعطيك الكتيب أو المجلة عنواناً للمراسلة، وتذكرة (كوبوناً) يكتب فيه رقم الثوب المراد شراؤه مرفقاً به ثمنه، ثم يقوم أصحاب البضاعة بإرسالها عن طريق البريد الجوي للمشترية على عنوانها.. وهذه من الوسائل التي ابتكروها لتسهيل التسويق لمنتجاتهم والإسراع في ترويجها.

كما يقنعون ناقصات العقل والدين عن طريق وسائل التضليل التي يطلق عليها اسم وسائل الإعلام بأن ما يرتدى في الصباح يجب أن يكون مغايراً لما يرتدى وقت الظهيرة، وما يرتدى نهاراً لا يجوز ارتداؤه ليلاً وتختلف بالطبع الملحقات (من حلي وإكسسوارات ومساحيق تجميل) المستخدمة باختلاف تلك الفترات،

كما يقسمون الأزياء المستخدمة على مدار العام، وبالمثل بملحقاتها، وذلك حسب فصول السنة، فالشتاء له أزياء تختلف عن أزياء الخريف، وللخريف أزياء تختلف عن أزياء الربيع، وللربيع أزياء تختلف عن أزياء الصيف.

وليت الأمر يقتصر على الاختلاف في القماش ونوعية الثوب من حيث مدى وقايته لمن ترتديه من البرد أو الحر.. وإنما ينشأ الاختلاف من فصل إلى فصل، ومن عام إلى عام وفي الخطوط والألوان والتصميمات والأشكال والأحجام، دون مراعاة لملاءمة تلك النماذج أو الألوان لشخصية الإنسان وطبيعة البيئة والمناخ.

فبينما تكون الموضة في هذا الصيف ـ مثلاً ـ اللون الأصفر

الفاقع نجد أنها تصبح في فصل الربيع ـ مثلاً ـ اللون الأخضر الداكن.. وهكذا.

ويتكرر الأُسلوب نفسه في الفصول والأعوام المقبلة.. فحين تكون الموضة في الصيف المقبل هي الأشكال المشجرة، نجد أنها تصبح في الربيع الأشكال المقلمة.. وهكذا بالنسبة لباقي الفصول، وما ذكرناه على سبيل المثال لا الحصر.. ويقوم أصحاب الموضة بالإعلان عنها قبل نزولها، عن طريق المجلات، وبعض الصحف بأن يكتب « ترقبوا في العدد المقبل من مجلة (...) أحدث أزياء الخريف » .. وما إلى ذلك من الأساليب الدعائية.

ومن الجدير بالذكر أن حجم الثوب يتغير كما يتغير لونه وشكله.. فمرة نجده (ميني جيب) أي: قصير إلى ما فوق الركبة، ومرة (ميكرو جيب) أي: مجهري، أو بمعنى آخر: صغير الحجم جداً ويرتفع إلى نهاية الركبة من أعلى..

وتارة يصبح (شانيل) أي: تحت الركبة مباشرة، وتارة (ميدي) أي: تحت الركبة بقليل حيث يصل إلى منتصف الساق.. ثم يتغير إلى (الماكسي) وهو ثوب طويل ينسدل حتى يغطي القدمين..

أما عن الخطوط والتقسيمات الرئيسة للثوب، فإنها تختلف وتتغير بين الحين والآخر.. فمرة يكون (خصر الثوب) في الموضع الحقيقي للخصر، ومرة ينتقل (خط الخصر) إلى ما تحت الصدر، ومرة ينتقل إلى ما تحت الخصر الحقيقي على الأرداف!!!.

وعندما نجد أن الموضة في عام من الأعوام هي الملابس المنقوشة العريضة جداً، التي تأخذ شكل البرميل، فإنها في عام آخر تصبح ضيقة

جداً، وفي عام ثالث نجدها متهدلة على بعضها في اتساع غريب يضفي على لابسته همجية وفوضى.. وهكذا..

وحدث ولا حرج عن الموديلات والقصات التي تنتشر عاماً وتندثر عاماً آخر، ثم يعاد تكرارها بعد أن يستهلكها الناس..

ولذلك نجد أن أصحاب المؤلفات في الخياطة والتفصيل، يعمدون إلى شرح أساسيات التفصيل والخياطة دون استعراض للموضة، لأنها تتغير من حين لآخر.

فعلى سبيل المثال تجد أن مؤلف كتاب (طريقة فتحي خليل في أصول التفصيل)، يقول مبيناً تلك الحقيقة: « ... والموديلات التي يقدمها هذا الكتاب ليست استعراضاً للموضة الحديثة، ولكنها أساسيات تعتمد عليها الموضة في تشكيل خطوطها وموديلاتها.

فإذا تابعنا الموضة نجد أنها تتجدد كل ثلاثين أو أربعين سنة، ونأخذ على سبيل المثال: البنطلون الضيق، الذي تم شرحه في الجزء الأول من كتابي عام ١٩٦٨ م، وقد كان بشكل موضة في ذلك الوقت، ثم تطورت موديلات البنطلون فظهر البنطلون الشارلستون الواسع والكلوش، وفجأة عاد البنطلون الضيق الذي قدمناه عام ١٩٦٨ م ليصبح على قمة الموضة عام ١٩٧٩ م ـ ١٩٨٠ م.

معنى ذلك أننا لا نقدم موديلات تتمشى مع الموضة، ولكن نقدم أساسيات تعتمد عليها الموضة، فالموديلات تختفي وتعود » .

والأغرب من ذلك أن تعمد بعض المصانع إلى إنتاج بعض الملبوسات بنقوش وأشكال غريبة متكررة، بقصد زيادة الاستهلاك واستنزاف أموال المشترين.

سخرية واستهزاء بالمرأة:

تقول بعض المتخصصات وهي تتحدث عن عظم المصيبة:

وقد تجد الباعة يكيلون للمرأة وابلاً من الاستهزاء والسخرية من دون أن تحس به المرأة المسكينة! وتعتبر أن هذه الكلمات لا تخرج إلا إليها هي فقط دون غيرها، وكل ذلك من أجل الترويج لبضاعتهم، واليك شاهد على ذلك.

تقول بعضهن: احتجت ذات مرة إلى شراء ثوب (روب شتوي)، فقصدت أحد المحلات التجارية لشرائه.. فهالني أن أجد من نفس قماش الثوب للشركة نفسها كمية كبيرة من الأثواب (الأرواب)، ولكنها ذات نقوش وألوان مختلفة غير متكررة ولا متشابهة، مما يحير المشتري عند اختيار إحداها لأنها جميعاً جذابة الشكل تغري بالشراء..

واستقر رأيي أخيراً على إحداها بينما أخذت مجموعة من النساء ممن قصدن المحل للشراء في التشاور والتباحث أيها يخترن، فمنهن من اقترحت شراء ثلاثة أرواب لنفسها، ومنهن من اقترحت غير ذلك، وكن في غاية الحيرة والرغبة في اقتناء الجميع..

واستطعت بعد عناء أن أجعل البائع يلف لي الروب الذي اخترته، لأنه كان شديد الانشغال بالعرض والدعاية لأروابه.. وقال لي وهو يلفه: ثقي يا سيدتي أن هذا الروب الذي حصلت عليه لا توجد امرأة في العالم تملكه غيرك، إذ إن المصنع الذي يصنعه لا يكرر النقش المستخدم فيه أبداً..

فتناولت الروب في صمت، ونقدت البائع ثمنه وغادرت المحل، وأنا في عجب من تفكير هؤلاء القوم الذين يعلمون أن المرأة ـ بصفة

عامة ـ لا تحب أن يقلدها أحد فيما تلبسه، لتبدو هي المتميزة والمتفوقة دائماً.

وهذا يدل على استغلال «علم النفس» لخدمة الأغراض التجارية التي تدفع المرء إلى إنفاق أمواله وبعثرتها دون تفكير أو حساب.

وفي حالتي فأنا قد اشتريت ذلك الثوب (الروب) لحاجتي إليه، سواء ارتدت مثله غيري أم لم ترتد.. ولكن في حالات أخرى كثيرة قد تشتري المرأة الثوب لمجرد أنه ليس له نظير أو شبيه عند غيرها.. وحتى دون أن تكون بحاجة إليه، ولو كان دولاب ثيابها مكدساً بالثياب، وبعدد لا بأس به من الأرواب..

وإذا انتقلنا إلى إكسسوارات الزينة، فإنه بالنسبة للأحذية ـ فضلاً عن التغيير في القصة، والألوان، ونوعية الجلد المستخدم، والمادة التي يصنع منها الكعب نلاحظ أن الشكل العام للحذاء كله يتغير.. ففي وقت ما نجد أن الموضة في الأحذية هي (ذات النعل المرتكز على مسمار رفيع).. وبعد فترة من الزمن يعلنون أن تلك الموضة قديمة انتهت، ومن ترتديها تتسم بالجمود والرجعية.. ويصدرون موضة أخرى هي على سبيل المثال (ذات الكعب العريض الضخم) الذي يشمل أسفل الحذاء كله، وليس الكعب فحسب، ويكون ذلك الكعب عادة من الخشب أو الفلين أو المطاط.

ثم بعد فترة أخرى تكون النساء قد استهلكت هذه الموضة، فيحدث لها نفس ما حدث لسابقتها من ترغيب وتنفير.. فيقوم مبتكرو الموضة بإعادة موضة النعل الرفيع المرتكز على مسمار، حتى تعود النساء إلى الدائرة المغلقة نفسها، فيهملن ما عندهن من أزياء وأحذية ومتعلقات أخرى، ويشترين الجديد.. وهذا ملحوظ وواقع في حياتنا للجميع

أما عن الحقائب النسائية: فتارة تجعلها الموضة ذات حجم صغير وتارة ذات حجم متوسط، وتارة أخرى ذات حجم كبير بشكل لافت للنظر..

بينما نرى أشكالها ونقوشها وألوانها مختلفة.. فنراها مرة مستديرة، ومرة مستطيلة أو مربعة، ومرة على شكل الكيس..

أما عن القماش المستخدم لصنعها فهو يتنوع بين الجلد، والقش والقماش، والأنسجة البترولية، وغير ذلك.

ولما فرضت الموضة على متبعاتها فكرة وجوب ملائمة لون الحقيبة للون الحذاء والثوب الذي ترتديه المرأة، فإن ذلك يضطر المرأة إلى إنفاق وبعثرة الأموال في اقتناء عدة أحذية، وعدة حقائب.. بالإضافة إلى ما اشترته من أثواب وذلك بلا حاجة أو ضرورة إلا بهدف تحقيق ما يوجبه عليها المحتالون المخادعون بسبب تزيينهم لها هذا الأمر، وتصويره بأنه تقدم وعصرية.. فأين باللّه التقدم والحداثة في موضات تظهر ثم تختفي، ثم تعود إلى الظهور بعد سنوات وكأنها زي عصري حديث..

إنها حقاً حداثة وتجديد، لكن في طرق النصب والاحتيال والخداع لا غير.

وأما بالنسبة للحلي والمجوهرات، فإن نوعياتها وأشكالها تتغير في كل موسم، مما يضطر من تتبع الموضة إلى الاستغناء عن حليها السابقة: إما بإهمالها إذا كانت رخيصة أو بيعها إذا كانت من الذهب أو البلاتين وغيرهما من المعادن الثمينة.. وفي هذه الحالة تصاب بالخسارة، حيث يتم التلاعب في أسعار بيع وشراء الذهب لمصلحة التاجر فقط.. وذلك كله لتحصل على أنموذج جديد تفرضه الموضة.

وأما عن الأصباغ والعطور ومواد التجميل، فحدث ولا حرج عما تنفقه النساء عليها، إذ أن لكل وقت من أوقات اليوم ماكياجاً خاصاً.. فهو في النهار خفيف، وفي المساء ثقيل!! كما أن الموضة تجعل لكل فصل ماكياجاً خاصاً، فمكياج الخريف ذو ألوان تختلف عن ألوان ماكياج الربيع وهكذا.

فنجد أن هناك عشرات الألوان المختلفة من (أحمر الشفاء)، وعدة ألوان من ظلال العيون، وإن أغرب تلك الألوان هو اللون الأحمر الباهت، الذي يجعل من المرأة التي تطلي به جفنيها ـ وكأنهما متورمان من شدة البكاء ـ حزينة المظهر.

وقد تفننت المجلات النسائية في بلادنا العربية بالترويج للماكياج، وجعلت له أبواباً ثابتة فيها، وكأنه فريضة يجب أن تؤدى مراسيمها بانتظام وموضة.. ومن أبرز تلك المجلات مجلة (حواء)، التي تحمل ـويا للأسفـ اسم أُم البشر، وكان من الأنسب تسميتها (خواء).. فقد ساهمت تلك المجلة وغيرها، بدور فعال في الحث على التبرج، والترويج للموضة وتدريب النساء على الإغراء وكيفية اجتذاب قلوب الرجال بمختلف الوسائل.. وخاصة عندما كانت ترأس تحريرها أمينة السعيد، التي حاربت عودة المسلمات إلى الحجاب بشراسة وضراوة يندى لها جبين كل امرأة حرة شريفة عفيفة.

ونعود للمكياج.. لنجد أن تلك المجلات المذكورة جعلت ماكياجاً للسمراوات.. وآخر للشقراوات.. وآخر لذوات اللون الخمري.. كما أوصت بضرورة تجربة عدة أصباغ وأدهان للوصول في النهاية إلى اللون الملائم..

وحتى تصل المرأة إلى ما يلائمها، فإنه يلزمها أن تمر بمختلف

المنتوجات لمختلف المصانع والمؤسسات.. ومن الجدير بالذكر أن هناك العشرات، بل المئات من شركات التجميل التي تحمل منتجاتها اسمها.. وتقوم شركة ـ على سبيل المثال ـ بإنتاج أدهان (كريمات) لحفظ البشرة، وأدهان (كريمات) لترطيب البشرة، وأخرى لتغذية البشرة، وأخرى لتنظيف البشرة، وأخرى لتثبيت الماكياج، وأخرى لإزالة الماكياج، وأخرى لتقوية البشرة..

كما تصنع صابوناً خاصاً بها، وبودرة جسم خاصة، وعطراً خاصاً لمختلف المناسبات.. هذا كله فضلاً عن مساحيق الوجه المتعددة وعشرات الأعداد من أحمر الشفاه وظلال العيون وطلاء الأظافر.. بالإضافة إلى الأدهان المستخدمة لإزالة عيوب البشرة: فهذا كريم لإزالة التجاعيد، وآخر لإزالة النمش، وآخر لإزالة حب الشباب وآخر لإزالة الكلف..

أما عن الشعر، فإنه فضلاً عن اختراع الشامبو الذي يختص بكل نوعية من الشعر، فهذا للشعر العادي، وآخر للدهني، وثالث للجاف، ورابع للشعر توجد أصباغ وأدهان مختلفة لتقوية فروة الرأس، وأخرى لتلوين الشعر، وأدهان لتلميعه، وأخرى لتصفيفه، وأُخرى لتثبيت الشعر على تسريحته.. وأُخرى لفرده.. وهكذا.

كما تنتشر موضات صبغ الشعر انتشاراً واسعاً، فتارة يصبغ الشعر باللون الذهبي، فعندما يكون ذلك هو موضة الموسم، وتارة أُخرى باللون الأسود، وتارة باللون النحاسي.. كما يصبغ تارة أخرى بعدة ألوان مرة واحدة بصبغ كل خصلة بلون معين على حدة، وتارة أخرى يصبغ بلونين متموجين فقط، وهلم جراً.

وكل هذه الأصباغ لا تتناسب مع لون شعر الحواجب، حيث يبدو لون شعر الحاجب مختلفاً عن لون شعر الوجه، مما يسبب التنافر وعدم

التلاؤم مع الأصل الطبيعي لخلقة الإنسان.

أضف إلى ذلك التغير المستمر في موضات تسريحات الشعر، مما يتطلب متابعتها المستمرة، والاستعانة بالكوافير، وهو رجل يقوم بتزيين النساء لتنفيذ تلك الموضات المختلفة.

ثم إن تسريحات الشعر قد خضعت لمختلف الأوقات والمناسبات، فهناك تسريحات شعر للمساء والسهرة، وهناك تسريحات للصباح، وأُخرى للأفراح والأعياد، وأُخرى للطالبات، وأخرى للنساء العاملات.. وهكذا حسب ما تقتضيه الموضة وتأمر به.. وقد تطلب الأمر إنشاء معاهد خاصة لتعليم قص الشعر وفرده وتسريحه..

وهناك الأدهان المتعلقة بالجسد: فهذا (كريم أولوسيون) لحفظ الجلد، وذاك لتقويته، وآخر لتغذيته، وذاك لترطيبه، وآخر يستعمل قبل السباحة، وآخر يستخدم للوقاية من الشمس قبل الحمام الشمسي، وآخر بعد أخذه.. وهناك العطور التي تضاف لماء الاستحمام المعتاد، والأدهان التي تستعمل بعد الاستحمام.. إلى غير ذلك.

وخلاصة الأمر استهلاك الكثير من الأصباغ والأدهان بلا داع ولا ضرورة.. ولا أنكر أن منها ما يفيد حقاً، ولكنها ليست كلها لازمة ومفيدة، بل إن فيها من التحايل التجاري، والخداع والتمويه الشيء الكثير.. خاصة إذا علمنا أن أساسياتها تكاد تكون واحدة مع الاختلاف في اللون والرائحة فقط.. (ويعرف هذا الأمر أصحاب الصناعة).

إن المرأة التي تتبع الموضة وتلهث لهثاً وراء كل جديد.. وتتكدر وتشقى إذا لم تحصل على ما تبتغيه، وإن كانت لا تعدم الحيلة لامتصاص مال أبيها أو زوجها (حسب حالتها الاجتماعية).. أو تنفق ما معها إن كانت ذات مال: كأن تكون موظفة أو عاملة، أو حاصلة على

تركة كبيرة مثلاً.. وذلك لتمتلك كل جديد يغمر الأسواق.. مع إهمال ما لديها من ثياب ومتعلقات مما هو مكدس في دولاب ثيابها تكديساً (مع زعمها كلما أرادت أن تشتري شيئاً جديداً أنها لا تملك شيئاً). هذا هو وضع المرأة في عالم الأزياء والموضة، وإنني هنا -عزيزتي المرأة- لا أريد أن أحجم عقليتك وأعيدك إلى عالم القرون الأولى، وأريد منك أن تكوني رديئة دون تزين لزوجك أو لفطرتك أو لإشباع أنوثتك.. لا. إنما أردت في هذه العجالة أن أوضح الخطر المحدق بك من أعداء المرأة والدين والأخلاق والعفة والشرف حتى تكوني حذرة لئلا تقعي فريسة لإغراءاتهم وموضتهم القاتلة، وحتى تكوني مثالاً للشرف وأُسوة حسنة للجيل الصاعد من أبناء مجتمعاتنا الإسلامية.

وإنني من الذين يدعون المرأة إلى متابعة (الموضة) المعتدلة التي لا تدخل تحت عنوان (الإفراط والتفريط) بل يجب على المرأة أن تتزين وتظهر ما عليها وما عندها من أفخر الملابس والحلي، وكل ما يظهرها حسنة جميلة في نظر زوجها، لأن ذلك يزيد في توطيد العلاقة الزوجية بينهما، ويشد أواصر المحبة في الأسرة الواحدة، إن ديننا لا يدعو إلى الانغلاق والتحجر وعدم التجمل والزينة، إنما يدعو إلى الانفتاح المعقول المثمر أيضاً، و متى ما يدخل شيء تحت عنوان الضرر والريبة والفساد يقف منه الدين موقفاً مغايراً تماماً، وكل ذلك لمنفعة الإنسان وحده. وسوف تجدين في الصفحات القادمة مزيد بيان..

وقفة مع صاحبة كتاب الموضة:

إن العرض الذي تناولته المؤلفة يبين صرامتها وتشددها المتزايد من هذه القضية(الموضة)، بحيث بهذا الكلام تريد من المرأة أن تتخلى عن كامل الزينة والتجمل، وتقضي على رغبتها وإشباع فطرتها

الأنثوية، إنني يا أختي معك ـ أن (الموضة) آخر سلاح الأعداء لهدم كيان الأُسرة والمجتمع الإسلامي، لكن إذا أصبحت المرأة لا تظهر زينتها ولا تتسابق لشراء الجديد لإشباع رغباتها وأنوثتها ورغبة زوجها، أليس هذا مدعاة لانحراف الزوج إلى طريق الحرام، بحيث إذا نظر إلى امرأة معه في العمل، أو شاهدها عبر الأقمار الصناعية، أو نظر إلى زينة امرأة شاهدها في سفراته، أو.... الخ. عندها سوف يلوم زوجته، لأنها على غير هذا التجميل والزينة، لما عليه كثير من النساء اليوم، وربما وصل الحال بالزوجين إلى النفور ومن ثم الطلاق. وهذا ما نشاهده من خلال بعض حوادث الطلاق في المجتمع الإسلامي اليوم.

إن الإسلام دين العقل ومتابعة ما يشد الإنسان به علاقته بأسرته وزوجته ومجتمعه، إننا يا أختي اليوم بحاجة إلى التساهل في تسيير الأحكام والقوانين والضوابط الإسلامية الشرعية للمرأة حتى نضمن استقامة الأُسرة وبهذا نضمن استقامة المجتمع الإسلامي، ونفسك أنت لا أظنك تتخلين عن التجمل والزينة داخل الأسرة، ومع زوجك وإلا لا تستقيم الحياة الزوجية قط.

وعندما نقرأ التاريخ الإسلامي نرى أن الإسلام والدين الحنيف، وتعاليم سيد المرسلين ﷺ يأمرنا بالتجمل والزينة وبالخصوص على صعيد الحياة الزوجية.

إن الرجل والمرأة بنظر القرآن ليس فقط يسكن أحدهما للآخر، بل ويزين أحدهما الآخر أيضاً:

قال تعالى ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة ١٨٧.

إن اللباس في هذه الآية المباركة ينطوي تحت ثلاثة معان: المعنى الأول: أن الزوجين يزين أحدهما الآخر باعتبار أن اللباس زينة والشاهد قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ...﴾[1].

والمعنى الثاني: أن المرأة قد تكون سبباً في عدم انحراف الرجل، وقد يكون الرجل سبباً في عدم خروج المرأة عن جادة الصواب..

والمعنى الثالث: أن الرجل ستر للمرأة.. وكذا المرأة ستر لزوجها فالرجل غير المتزوج مثل ذاك الذي لم يستر عورته، والمرأة التي لا زوج لها كتلك التي لا ترتدي حجاباً أو إزاراً يستر عورتها.

وعلى أي حال إذا جمعنا الآراء والجمع أولى من الطرح، نقف عند حقيقة واضحة وهي: إن الزوج زينة زوجته وما يحويها وما عليها من الصغيرة إلى الكبيرة ينبغي أن يرى منها وعليها ما يسر ويشبع فضوله ورغبته ويقنن ويحصن شهواته، حتى يسير على الخط المستقيم.

وكذلك الزوج فهو زينة للزوجة ينبغي أن ترى منه ما يسد جوعها النفسي وظمأها العاطفي والجنسي، وأن يشبعها من كل النواحي حتى لا تنظر لغيره لأنه هو زينتها الحقيقية.

جاء في الرواية عن الصادق عن جده رسول اللّه ﷺ قال: لا غنى للزوجة فيما بينها وبين زوجها عن ثلاث خصال وهن:

صيانة نفسها عن كل حرام حتى يطمئن قلبه إلى الثقة بها في حال المحبوب والمكروه، وبذل كل شيء في حياتهما ليكونا على سعادة دائمة.

وثالثاً: وهذا الأهم في الرواية. وإظهار العشق له إذا خلى بها،

---

(١) سورة الأعراف ٣١.

والهيئة الحسنة لها في عينه[1].

وللمزيد من البيان سوف نستعرض له في الصفحات القادمة.

الموضة وانهيار الأسرة:

لقد قرأت في إحدى المرات بعض الكتيبات الإسلامية التي تتحدث عن تفشي التقاليد والعادات والاتجاهات المخالفة للدين والأخلاق، داخل الأسرة المسلمة، وما مدى خطرها على عقلية الجيل الناشئ، ولا سيما (الفتيات) وخصوصاً في المرحلة التي تعي الفتاة المسلمة أنها أصبحت امرأة كبيرة، وهي بحاجة إلى أن ترتدي ملابسها وحجابها مثل أمها وصديقاتها، فخطر ببالي أن الشعب المسلم منذ أن بدأ يتفهم ويعي حقيقة (الصراع الأوروبي الإسلامي) هب للدفاع عن كيانه ضد الغزو الأجنبي، وأخذ في المقاطعة الاقتصادية أو أي تعاون يستشف منه أنه تعاون مع الأوروبيين في شيء.. وقد استطاعت بعض الاتجاهات والتيارات الإسلامية، في وقتها أن تقي الجيل والأُسرة والمجتمع الإسلامي الهجمات الشرسة التي حملتها الأحزاب والمنظمات العالمية الماسونية منها والصهيونية والتبشيرية والصليبية، وأن تثقف الأُسرة والمجتمع وتلفت أنظارهما للخطر المحدق بهما من الغرب.

إلا أن معظم الأسر وطبقات المجتمع كانت تعاني من (نقص استراتيجي كبير)، لكن ـ للأسف الشديد ـ سرعان ما تمكن أعداء الدين والأخلاق والإنسانية والمرأة من أن يغزوا عقول شبابنا وفتياتنا بسلاح لم نتمكن إلى الآن ونحن على أعتاب القرن الحادي والعشرين من التخلص منه، أو تركناه لعجزنا عن مقارعته يصنع بنا ما يشاء ونحن

---

(١) ميزان الحكمة ج٤ ص٢٠٧.

مكتوفو الأيدي! حيث تفشى فينا وتعودنا عليه وهو (الموضة الخاطئة) غير المؤطرة بالمبادئ والقيم، ومنذ أن بدأ المد الاستعماري بغزو الأسرة المسلمة عبر الأسلحة المختلفة، وكان أهمها سلاح (الموضة) قامت تيارات واتجاهات علمانية وقومية، بنشر هذه الأفكار في صفوف الجيل (المراهق) وما دعوة التحرر والسفور التي قادها المهرطق قاسم أمين وهدى شعراوي وفريق من الرجال والنساء المدافعين عن حقوق المرأة، إلا نموذج صارخ على تهويد عقلية الجيل بسبب العلمانية والصهيونية والماسونية العالمية في كل مكان وزمان بسلاح (الموضة القاتلة).

وعندما نقف على ما نشرته الصحف العالمية عن تزايد مد ارتكاب الجريمة الأُسرية نرى أن خطر التبرج و متابعة (الموضة) كان وراء ذلك، حيث طغت الشهوات والملذات المحرمة على عقلية تابعيها فتفسخت شخصياتهم وتحولوا إلى حيوانات في صورة أناسين فيصبح الإنسان (الرجل والمرأة) همه الوحيد تلبية شهواته وإشباع فضوله القاتل، فتنعكس بطبيعة الحال هذه الأفكار وتلك الأهواء على وضعية الأسرة فتصاب بالانهيار المحتوم.

فالصحف والمجلات تطالعنا بين الحين والآخر بمآسٍ تتقطع لها نياط القلوب الرحيمة.. وتتوجع لها الإنسانية المستقيمة.. وحسبي أن أذكر هنا قصةأب مسحت من قلبه عواطف الأبوة.. وأم مسحت منها عواطف الأمومة.. وهذان المثالان وغيرهما من دول أوروبية غارقة في الإباحية، التي جعلت من تلك الدول دولاً جاهلية.. في حين ينظر إليها أبناء العرب والمسلمين على أنها دول الحضارة والتقدم.. ويتكالبون على تقليدها.. والتمسح بأعتابها..

عمرها عامان ماتت من الجوع!!:

فقد نشرت صحيفة الشرق الأوسط ما نقلته عن صحيفة أجنبية هي (فرانس سوار): أن مأساة إنسانية حدثت في مدينة (سان دينز) ذهبت ضحيتها طفلة عمرها عامان ماتت من الجوع والبرد.

تفاصيل المأساة: أن أم الطفلة وهي (أرملة) ذهبت في ٣١ ديسمبر الماضي (أي: عام ١٩٨٦ م) مع صديق لها إلى سويسرا، ونسيت طفلتها في البيت!! وعندما عادت الأُم بعد غياب استمر ٧١ يوماً، وجدت طفلتها ملقاة في أرض غرفة الطعام وهي جثة هامدة.

وحضر الطبيب الذي عاين الطفلة، ووضع تقريراً يقول فيه: إنها ماتت من الجوع والعطش والبرد.

وقد ألقى البوليس القبض على المرأة، وأحالها إلى التحقيق بتهمة التسبب في موت ابنتها بسبب الإهمال.

أب يقتل أسرته:

كما نشرت مجلة البيادر السياسي التي تصدر في القدس، قصة مفادها أن شاباً بريطانياً يبلغ من العمر ٢٤ سنة، كان يعيش مع زوجته المحبة حياة هانئة مستقرة، بصحبة طفلهما الأول الذي لم يتجاوز عمره الثلاثة أعوام، وكان والداه شديدي التعلق به لأنه ابنهما الأول.

ولكن فجأة وجد الرجل نفسه وجهاً لوجه أمام كارثة أكيدة (في نظره).. فقد أنجبت الزوجة للمرة الثانية توأمين، بالإضافة إلى معاناة الزوجة من نقص التغذية، وكانت هذه الكارثة تنذر بفناء الأُسرة كلها جوعاً أمام موارد الزوج، وأمام دافع الفقر والعجز عن تلبية مطالب الأُسرة.

فأخذ الزوج يخطط للقضاء على حياة الزوجة وطفليها الرضيعين.. وتم تنفيذ الجريمة في أُمسية عاد فيها الرجل إلى منزله حاملاً زجاجة من السم مدعياً أنها دواء للسعال.. ناولها الزوجة وحثها على تجرع عدة جرعات منها، فهوت بعدها جثة هامدة.. أما عن التوأمين فقد كان أمرهما أيسر كثيراً، فجرعه واحدة في فم كل منهما كانت كافية للقضاء عليهما في الحال.

ثم قام الرجل بوضع الجثث في صندوق معدني ضخم، وتوجه به إلى مستودع خاص بإحدى شركات الأثاث.. وألقاه هناك مدعياً أنه مجرد صندوق من المستلزمات الفائضة عن حاجة المنزل.

وبعد أيام فكر الرجل في الانتقال هو وابنه الأول إلى مكان آخر.. ولكن القدر كان من ورائه.. فقد توجهت إليه أم زوجته لتستفسر عن ابنتها ورضيعيهما، و لما لم تظفر منه بإجابة، أجرت المرأة تحريها بين الجيران، حتى علمت بأمر الصندوق، فتعقبته حتى استقرت على عنوان شركة الأثاث التي آل إليها.. وبتصريح رسمي فتحته لتستقر عيناها على المشهد المروع داخله.. وكانت نهاية القاتل شنقاً في سجن (بينتونفيل)، مخلفاً وراءه طفلاً يتيماً فقد الأب والأم، وترك وحيداً في معركة مع الحياة.

وهناك شبكة لتهريب الأطفال من دول أمريكا اللاتينية إلى إسرائيل، وبيع الطفل الواحد بمبلغ تراوح بين ١٥ و٢٥ دولار، وكان أعضاء الشبكة ـ رجل وامرأتان ـ قد اعتادوا السفر إلى البرازيل وبرغواي، وأخذ أطفال من عائلات فقيرة وتهريبهم إلى إسرائيل لبيعهم بناء على طلبات ومواصفات عائلات حرمت من الأولاد.

فهل بلغت الجاهلية الأُولى ما بلغته جاهلية القرن العشرين؟!

إن البشرية الضالة في عالمنا المعاصر هي أحوج ما تكون إلى الإسلام ـ دين الرحمة والإنسانية ـ أين الرحمة في قلب أم تحبس طفلتها أكثر من شهرين، حتى تموت جوعاً وعطشاً، وخوفاً وبرداً، بينما تنعم هي باللذة الآثمة بين أحضان عشيقها؟!! أين الأمومة التي تتغلب على شهوة الطعام بالنسبة للحيوان؟ بل وباقي الشهوات، تلك العاطفة التي ضربت بها الأمثال في التضحية والتفاني عبر الأزمان.. لقد اندثرت وانمحت من قلب أُم متبرجة خليعة، تصادق الرجال باسم الحرية. وانظري- يا أختي في اللّه- إلى امرأة باعت شرفها وعفتها من أجل شهوات الدنيا الزائفة، لقد نقلت بعض الأخوات المؤمنات قصصاً واقعية لبعض الأخوات إحداهن باعت عفتها من أجل أن تحصل على ملابس جميلة ومن أجل أن تتمكن من متابعة(الموضة)والتجول في الأسواق الكبيرة!. وأخرى قتلت طفلتها التي تبلغ من العمر الرابعة لأنها كانت تزعج عشيقها وتقطع عليهما الخلوة مع بعضهما!

وفي اليابان امرأة باعت ابنتها ببعض الدولارات من أجل أن تتمكن من الدخول إلى صالات السينما لتشاهد عرض أفلام الغرام الذي أخذ بمجامع قلبها!!.

وفي باريس بدأ الشعب يتململ من الأنظمة الفاسدة، وأخذت النساء يطالبن بالرجوع إلى الأنظمة التي تعطي المرأة حقوقها الصحيحة كنظام الإسلام فقد كتبت مجلة المجتمع تقول:

تطالب المرأة الفرنسية بمساواتها بالمرأة المسلمة من حيث الاحتفاظ باسمها بعد الزواج، وقد بدأت المرأة الفرنسية تطالب بذلك بعد أن صدر أخيراً في الولايات المتحدة قانون يسمح للمرأة الأمريكية بالاحتفاظ باسمها بعد الزواج إذا ما رغبت في ذلك، وترى الجمعيات

النسائية وصحف المرأة في باريس أنه ما لم توافق الحكومة الفرنسية على إصدار قانون مماثل للقانون الأمريكي فلا أقل من أن يكون لها نفس الحق الذي تمتلكه المرأة المسلمة المتمثل في المحافظة على اسمها بعد الزواج[1].

النساء في بريطانيا بدأن يتقززن من مظاهر التعري المتمثل في مسابقات الجمال وأخذن يطالبن الحكومة بالإقلاع عن هذه الاستهانة بالمرأة والحط من قيمتها، تقول المجتمع: في بريطانيا حدث مرة أن قامت بعض النساء بمظاهرة ضاقت شوارع العاصمة بها يعلن هؤلاء النسوة فيها استنكارهن لمسابقات ملكات الجمال، وينادين بالويل والثبور لمن يقوم على تنظيم هذه المسابقات، باعتبار أنها أساليب تمتهن فيها المرأة وإنسانيتها وتهان كرامتها وتبتذل أنوثتها.

حقائق وأرقام مرعبة:

نشرت مجلة الفتح في عددها الصادر بتاريخ ٢٧ المحرم ١٣٤٨/ ٤ يوليو ١٩٢٩ ص٣٩ ما يلي:

نشر في الثلاثاء ٢٥ يونيو سنة ١٩٢٩ بين التلغرافات الخصوصية خبر بهذا النص: جاء في تلغراف من روما أن اللجنة التي عهد إليها مراقبة ملابس الحشمة للنساء قررت أن يكون الفستان مزدوجاً، وأن لا يكون شفافاً، ولا لاصقاً بالجسم، ولا قصيراً جداً، ويجب أن تغطي الأكمام الأكواع ويجب أن يكون طول فستان الفتاة إلى الركبتين، وأن يصل فستان المتزوجات (و العوانس) إلى ما تحت الركبة بكثير، ويحظر عليهن الجوارب الشفافة أو التي يكون لونها محاكياً للون الجسم.

---

(1) مجلة المجتمع العدد ٣٤٣

ونشرت مجلة حضارة الإسلام في عددها الأول للسنة الثانية بتاريخ المحرم ١٣٨١ حزيران ١٩٦١ ما يلي:

روجعت ١٨٠٠ أغنية شعبية صدرت في أمريكا فيما بين عام ١٩٠٠ وعام ١٩٥٠ لمعرفة أكثر هذه الأغنيات نجاحاً وأبعدها مدى، وقد تبين أن الملل من الإعلانات الخليعة التي راجت رواجاً كبيراً جعل هذه الأغنيات لا تأتي في المقدمة، بينما يدفع الحنين إلى الحياة الأسرية والأم وأيام الطفولة وهي الأشياء التي حرم منها الأمريكيون إلى تفضيل الأغاني التي تصور هذه الآمال المفقودة.

قالت مجلة حضارة الإسلام في المجلد الثاني ص٣٦٥: تقوم حرب شعواء ضد المدارس الداخلية للبنات في أمريكا، وذلك بعد أن أثبتت الإحصائيات والاستفتاءات أن البنات في المدارس الداخلية يعانين متاعب نفسية وانحرافات لا حصر لها بسبب ابتعادهن عن جو الأُسرة، وطالب علماء النفس بإلغاء المدارس الداخلية بأمريكا فوراً وقالوا: إن الأمهات اللاتي يضطررن إلى إرسال بناتهن إلى مدارس داخلية يجب أن يبحثن عن أي حل آخر غير المدارس الداخلية.

وأكد علماء النفس هؤلاء أن علاج هذه المشكلة جذرياً لا يمكن أن يتم إلا بعناية الأمهات ببناتهن، وإشرافهن المباشر على تربيتهن لأن كل بنت تصارح أمها بمشكلاتها، فإذا كانت البنت بعيدة عن أمها انطوت على نفسها، ونجم عن ذلك انحراف خطير.. فالعلاج الحق أن تعود الأم إلى أبنائها وبناتها.

ونشرت مجلة "حضارة الإسلام " التي تصدر في دمشق، في العدد الأول من السنة الثانية بتاريخ المحرم حزيران ١٩٦١ ما يلي:

أصدرت إحدى المؤسسات الأمريكية منشوراً تحرم فيه على

الموظفات لبس الفساتين القصيرة جاء فيه: محظور أن تكون ركبتا العاملات بالمؤسسة عاريتين وهن جالسات إلى مكاتبهن، وقد ثارت الجمعيات النسائية هناك لهذا القرار، وبعثت إحداها لإدارة المؤسسة تقول: إن هذا أمر تعسفي وثقوا أن جو العمل سوف تنقصه متعة كبيرة إذا لم تكن الركبتان مرئيتين!...

وجاء في العدد نفسه ما يلي:

بلغ عدد سرقات المتاجر الكبيرة في إنجلترا خلال العام الماضي (١٩٦٠) نحو ٣٤١٩٤ سرقة، هذا عدا الحالات التي لم تبلغ لإدارة البوليس، والغريب أن ٦٠٪ من هذه السرقات ارتكبتها نساء جاوزن سن البلوغ، و٣٠ ٪ ارتكبها ذكور أقل من السابعة عشرة، وتقول الإحصائيات إن كل السارقات من النساء لم يكن في حاجة للمال...

وجاء في المجلد الثاني ص٤٩٠ من المجلة المذكورة:

عندما زار وفد المغتربين العرب سورية جرت محادثة صحفية بين أحد الصحفيين في دمشق وإحدى المغتربات حول المرأة، فكان مما قالته المغتربة عن الحياة في الغرب وعن المرأة فيها، بعد أن تنهدت ألماً وحرقة:

ليت رحلتنا تدوم، أوليت البقاء يكتب لي هنا، وأشارت بيدها إلى البعيد وتابعت:

هناك.. حيث نقيم بعيداً.. حركة وضجيج، ومادة وسرعة وتعايش غير إنساني، كل إنسان يريد أن يفهم الدنيا كسباً، وأن ينتهبها لذة، وأن يسيطر عليها نفوذاً، وما أصعب الحياة الصاخبة، وما أحلى أن يعيش الإنسان في حدود إنسانيته، يفعل ما يرى أنه بحاجة إليه نابعاً من ذاته، ويعمل ما يريد بدافع من حسه وحاجته.. وما أخجل أن يندفع الإنسان وراء التيار، يعمل مالا يريد، لأن المجتمع أراد، ويتحمس لما لا

يحسن لأن المجموعة متحمسة، ويخالف ضميره ومزاجه ومبادئه في كثير من الأحيان، لأن سنة السرعة والحركة تفرض عليه هذا، ولا يستطيع الهرب أو الانطلاق من السلسلة التي تطوقه.

ثم تابعت حديثها بلغة عربية غير سليمة ولكنها مفهومة تجيب على سؤال الصحفي حين سألها عن المرأة. وهل هي متزوجة؟ فأجابت:

لم أتزوج بعد لأنني لم أجد الزوج الذي يقدس المرأة ويميزها، ويقدمها على نفسه ويعرف قدرها كالزوج العربي، هناك يعامل الزوج زوجته على قدم المساواة مع أي جار أو صديق! إنها شيء في حياته يجوز الاستغناء عنه، وفي أحسن الحالات يجوز أن يتساوى معه، أما هنا فالزوجة والمرأة بشكل عام مفضلة مدللة محترمة المكانة، يسعى الرجل لإسعادها قبل أن يسعد نفسه.

وعندما قال الصحفي الدمشقي للمغتربة: إن النساء هنا لا يرضين عن هذه المعاملة إنهن يطالبن بالمساواة مع الرجل:

ضحكت المغتربة ساخرة وقالت: لو ذهبن إلى أمريكا، وأذعن ما يطالبن به هنا، لضحكت كل النساء الأميركيات من هذه المطالب.. إن المرأة الأمريكية تحسد المرأة العربية، وتتمنى حياة زوجية كحياتها..

ونشرت المجلة أيضاً في ص ٨٢٩ من المجلد الثاني ما يلي عن مجلة (وما نزهوم كومبانيون): أصبح الحمل أهم مشكلة من مشكلات الصحة في دوائر الصناعة الأمريكية، فإن العاملات اللاتي يبلغ عددهن ٢٠ مليون امرأة يوشكن أن يصبحن جميعاً في سن الحمل، وأكثر من نصفهن متزوجات، والعاقبة المتوقعة هي: نسبة تغيب عالية، ونسبة إجهاض آخذة في الازدياد، وعواقب سيئة تعرض الصحة للخطر. وقد وجدت شركة كبيرة أن سدس العاملات المتزوجات يتغيبن، أما لأنهن

قد وضعن، أو كن على وشك الوضع، أو أنهن أجهضن، وهذه الشركة لا تثبط الأمومة، ولكن هناك مصانع تطرد المرأة يوم تظهر عليها أعراض الحمل، إذاً هي تخير خياراً أليماً بين طفلها وبين عملها، وكثيراً ما يُخفض أجرها فتستمر في العمل، أو تأخذ طريقها إلى طبيب يجهضها، ويقدر الدكتور موريس نسبة الارتفاع في حالات الإجهاض أثناء الحرب بما يتراوح بين ٢٠ و ٤٠ ٪.

ونشرت مجلة حضارة الإسلام في ص ٦١٩ من المجلد الثاني ما يلي:

جاء في التقرير السنوي لوزارة الداخلية البريطانية أن عصابات النساء والمراهقات زادت زيادة خطيرة مما يهدد الأمن العام.

ألقي القبض على ٧٤٢ ألف فتاة وسيدة خلال العام الماضي بتهمة السطو والسرقة، وعشرة آلاف فتاة تحت سن العشرين بتهمة الدعارة والتسكع والتحريض على الفسق.

وجاء في التقرير أن ٢٦٨٠ فتاة تحت سن الثامنة عشرة دخلن السجن بتهمة السرقة بالإكراه.

وقد صرح مدير سكوتلند يارد بأن عصابات المراهقات والنساء تهدد أمن لندن، وأن نسبة الجرائم التي ترتكبها الفتيات أكثر مما يرتكبه الفتيان، ويرجع هذا إلى الحرية الفردية التي يتمتعن بها، وللبرامج التلفزيونية الشاذة ولانتشار عشرة اللهو والخمر.

ونشرت مجلة حضارة الإسلام في ص ٨١٩ من المجلد الثاني ما يلي:

أحدث تصريح سكرتير الممثلة بريجيت باردو ضجة في الأوساط الفرنسية، فقد عقد مجلس بلدية باريس جلسة خاصة لمناقشة هذا الموضوع لما يؤدي إليه اعتزال الممثلة المذكورة من خلل في الموارد

الاقتصادية لباريس.

وشبيه بالنبأ السابق تصريح أحد وزراء خارجية فرنسا السابقين (بيدو) حين قاوم الحركة التي تنادي بإلغاء البغاء الرسمي في فرنسا معلناً في خطاب رسمي: أن لبغايا باريس فضلاً على فرنسا لأنهن يجلبن لها ملايين الدولارات الأمريكية في كل عام...

ونشرت مجلة (حضارة الإسلام) في ص ١٠٧٩ من المجلد الثاني:

تعالج مجلة (نيودمن) قضية سبق أن عالجتها الصحف كثيراً ولكن هذه المجلة تعود لإثارة الموضوع من جديد، مستعينة بالنتائج المادية والاجتماعية التي أدى إليها اشتغال المرأة خارج البيت.

وقد أوردت هذه المجلة كل الأسباب التي قيلت بقبول توظيف المرأة، وزادت عليها ما يمكن أن يقال في المستقبل، ولكن باستقراء النتائج أكدت أن توظيف المرأة سلاح مضر من جهتين، فهو من ناحية يسد الفرص أمام بعض الرجال، ومن ناحية ثانية يقلل من الاعتناء بالبيوت والاهتمام بالأطفال.

وقالت بأن هذا العصر ينظر إلى الأطفال وكأنهم أنواع خاصة من الآلة والسلع، وأن دور الحضانة، وكل أنواع التسلية والاجتماع التي تقدم لهم لا تعوضهم عن ساعة واحدة يقضونها مع أمهاتهم.

وتقول بأن من الصعب ما دامت الأُم مشغولة بوظيفة خارج البيت، من الصعب أن تجعل للأطفال شخصية فيها خصائص الآباء، وفيها القابلية لنقل تراث الأجداد، لأن الطفل منذ أيامه الأولى يضيع

في جماعة كبيرة تساعد على محو شخصيته، وأكدت المجلة بالنهاية أن عمل المرأة خارج البيت وتركها لأطفالها أصاب الأطفال والمجتمع بكارثة وأوى إلى نتائج خطيرة، وأن الحل الوحيد لهذه المشكلة الاجتماعية الكبرى هو أن تعود المرأة إلى بيتها وتنصرف إلى تدبير شؤون أطفالها ورعايتهم[1].

فابيان.. الموضة جعلتني صنماً:

فابيان عارضة الأزياء المشهورة فتاة في الثامنة والعشرين من عمرها، تركت العطور ودنيا الأزياء وجاءت إلى الحدود الأفغانية لتعيش ما تبقى من حياتها وسط الأسرة المسلمة..

تعترف (فابيان) فتقول:

لولا فضل اللَّه عليّ ورحمته بي، لضاعت حياتي في عالم ينحدر فيه الإنسان ليصبح مجرد حيوان، كل همه إشباع رغباته وغرائزه بلا قيم ولا مبادئ..

ثم تضيف:

كان الطريق أمامي سهلاً ـ أو هكذا بدا لي ـ فسرعان ما عرفت طعم الشهرة، وغمرتني الهدايا الثمينة التي لم أكن أحلم باقتنائها.. ولكن كان الثمن غالياً.. فكان يجب أولاً أن أتجرد من إنسانيتي، وكان شرط النجاح والتألق أن أفقد حساسيتي وشعوري، وأتخلى عن حياتي التي تربيت عليها، وأفقد ذكائي، ولا أحاول فهم أي شيء غير حركات جسدي، وإيقاعات الموسيقى.. كما كان علي أن أحرم من جميع المأكولات

---

(١) (راجع مجلة حضارة الإسلام ج ٢ ص ٢٢٢).

اللذيذة، وأعيش على الفيتامينات والمواد الكيميائية، والمقويات والمنشطات، وقبل كل ذلك أن أفقد مشاعري تجاه البشر.. لا أكره، لا أحب، لا أرفض أي شيء..

ثم تعترف وتقول:

« إن بيوت الأزياء جعلت مني مجرد صنم متحرك مهمته العبث بالقوالب والعقول.. فقد تعلمت كيف أكون باردة قاسية مغرورة فارغة من الداخل.. لا أكون سوى إطار يرتدي الملابس، فكنت جماداً يتحرك ويبتسم ولكنه لا يشعر، ولم أكن وحدي المطالبة بذلك، فكلما تألقت العارضات طلب منهن ذلك، وأما إذا خالفت أيا من تعاليم الأزياء فتعرض نفسها لألوان العقوبات التي يدخل فيها الأذى النفسي والجسماني أيضاً ».

ثم تضيف:

وعشت أتجول في العالم عارضة لأحدث خطوط الموضة بكل ما فيها من تبرج وغرور ومجاراة لرغبات الشيطان في إظهار مفاتن المرأة دون خجل ولا حياء

وتنفعل (فابيان) وهي تقول:

لم أكن أشعر بجمال الأزياء فوق جسدي المفرغ إلا من الهواء والقسوة، بينما كنت أشعر بمهانة النظرات واحتقار الناس لي شخصياً، واحترامهم لما أرتديه.

هذا ما قالته (فابيان) عارضة الأزياء الفرنسية الشابة بعد إسلامها وفرارها من ذلك الجحيم الذي لا يطاق، وهو كلام واضح لا يحتاج إلى تعليق لكل لبيب..

صديقتي لم تنفعها الموعظة:

تقول إحداهن: في فترة دراستي في الجامعة، تعرفت على إحدى الفتيات (هـ)، وكانت مثالاً يضرب في الأخلاق والجمال والاجتهاد، بالإضافة إلى أن تمسكها بدينها كان شديداً لدرجة أنني كنت أفخر بها حقاً وأعتبرها المثل الأعلى للفتاة المسلمة.. وفي يوم من الأيام، ونحن نجلس في مطعم الجامعة، أتت فتاة لا نعرفها وجلست معنا على نفس الطاولة، وبالرغم من أنها لم تعجبني من حيث كلامها وهيئتها، إلا أنني تقبلت الوضع لأعرف ما هو غرضها الذي جاءت من أجله ولكنها أخذت تماطل في الحديث أولاً ولم تأت بالموضوع مباشرة ثم قالت تخاطبنا: لم أنتما هكذا تبدوان وكأنكما نائمتان في هذا العالم؟! أو لبست عدسة لتغير لون عينيها، وربما أصبحت أجمل، وأخذت تسترسل في حديثها هذا وكأنها شيطان ماكر..

وما أن سمعتها تتحدث بهذه الطريقة حتى تركت لها الطاولة، وشددت على صديقتي لتأتي معي ولكنها لم تعرني اهتماماً، فتوجهت فوراً لقاعة المحاضرات بعد أن كدت أنفجر من الغضب من آرائها المسمومة، وما طرحت من أفكار، ولا أعرف ما حل بصديقتي التي كانت تجلس معها.. وفي اليوم التالي وكعادتي ذهبت لحديقة الجامعة وجلست على أحد المقاعد هناك، ثم فتحت قصة لأقرأها حتى تنتهي صديقتي (هـ) من المحاضرة وما أن مرت ساعة من الزمن إلا ورأيت جميع الفتيات يخرجن من القاعة واحدة تلو الأخرى، عندها سألت نفسي أين صديقتي؟! إنها ليست معهن؟! ترى هل هي مريضة أم ماذا؟! وما أن خرجت آخر طالبة حتى سألتها أين صديقتي (هـ) ولماذا لم تحضر معكن؟ فأجابت: إنني لم أرها اليوم بأكمله، أعتقد أنها غائبة؟ فانزعجت كثيراً لأنني أعرف أن غيابها لا يكون لأمر سهل، فكرت

قليلاً.. ثم نظرت إلى الساعة فوجدتها العاشرة تماماً، سرت متوجهة إلى بوابة الخروج لقد انتهى دوامي لهذا اليوم.

وفي اليوم التالي.. تكرر نفس الشيء فانزعجت أكثر، وبقيت على هذا الحال أُسبوعاً كاملاً لا أدري ما الذي حل بها منذ جلوسنا مع تلك الفتاة الشريرة.

وفي يوم السبت وبعد عطلة الأُسبوع وأنا متوجهة لقاعة المحاضرة.. فوجئت!.. بل اندهشت عندما رأيت (هـ) تسير مع تلك الفتاة، وهي التي كانت لا تفارقني أبداً، وعندما نظرت إليها فإذا شعرها الأسود الجميل الطويل قد قص إلى ما فوق رقبتها، وصبغ باللون الأصفر، فبدت وكأنها واحدة لا أعرفها بتاتاً، عندها سألت نفسي.. أهذه (هـ) التي أعرفها؟ أهي تلك الفتاة العاقلة التي ضرب بها المثل؟! لا لا ربما ليست هي، فلم أتعود أن أرى (هـ) تضع سماعة المسجل في أذنها، لقد اختلفت تماماً، إنها تضع جميع أنواع وألوان المساحيق على وجهها وكأنها أتت لتحضر عرساً أو حفلة، وقد كانت من قبل تأتي لطلب العلم لا تهمها هذه الأشياء التافهة التي تدل على نقص في العقل وسوء في الفهم.

وعندما اقتربت مني قليلاً دهشت حقاً، بل كدت أقع على الأرض عندما رأيت تلك الرسمة الخليعة التي وضعت على (بلوزتها) التي واللّه يخجل الإنسان من النظر إليها، وحدثتني قائلة وبكل فخر وكل اعتزاز: أتعرفين أين كنت في الأسبوع الماضي؟ فلم أجبها؟ لأن لساني قد شل تقريباً عندما رأيت ذلك التغير المفاجئ الذي طرأ عليها.. فكررت عليّ السؤال ثانية ولكنها لم تنتظر جواباً بل قالت: كنت في أوروبا، لأنني وجدت أن صديقتي (الفتاة الشريرة) معها الحق كل الحق فيما قالته فلن

أكون متأخرة العقل جاهلة لا أفهم شيئاً كما كنت سابقاً، لقد أصبحت الآن مواكبة لعصري متقدمة أتعرفين (البلوزة) هذه.. إنها صيحة هذا العالم.. وشعري هذا الذي ترينه صبغته... قصصته عند أشهر وأكبر محل (كوافير) في أوروبا. فسألتها بكل دهشة واستغراب.. ما الذي غيرك؟! أعقلك على ما يرام؟! لا أظن ذلك، لأن هذه الأفعال ليست أفعال عقلاء. أين دينك؟ أين أخلاقك؟ أين العلم الذي كنت تأتين من أجله؟ كل هذا تجاهلته من أجل موضة من أجل هذا المنظر السيء الذي أنت عليه الآن؟ وما هذه العدسات التي تضعينها في عينيك.. إن منظرك مضحك جداً، وكأنك مهرج يعبث بنفسه ليضحك الناس لقد أصبحت نكتة الموسم.. فاحمر وجهها وبدا عليها الغضب، لقد أصبح دمها في عروقها.. غدت باهتة الألوان، مكتحلة بلون وجهها الأحمر. فهي تسير وكأن هيئتها قوس قزح مما عملته في نفسها، وعندما استدارت لتسير مع الشيطانة التي معها (الفتاة الشريرة) فإذا بي أرى تنورتها تكاد أن تتمزق على جسمها من الضيق والأسوأ من ذلك فتحة التنورة أين كانت.. ؟! فوق الركبة.. ؟! ألهذه الدرجة تلعب الموضة بأفكارنا، ألهذه الدرجة نكون ضعفاء. أعتقد بل أجزم أن مثل هؤلاء الفتيات لو أن الموضة أمرتهن أن يخرجن من منازلهن بثياب منحرفة لفعلن ذلك، ولو أمرتهن أن يخرجن بدون أن يمشطن شعرهن لفعلن ذلك. هذا حقاً ما دار بذهني عندما رأيت تلك الفتاة التي كانت لي أكثر من أخت، واليوم تبدلت حالها إلى حال تشمئز النفس من رؤيته، لقد تأملت كثيراً وحاولت نصحها مراراً ولكن الصدود كان ردها عليّ دائماً ولم أيأس من إعادتها إلى ما كانت عليه من دين وخلق وحياء وجمال، وبشتى الوسائل حاولت إقناعها، وحاولت أن ألفت انتباهها أكثر من مرة إلى الغرب الذين تمكنوا من الوصول إلى القمر وهاهم الآن يريدون غزو كواكب أخرى،

وسيصلون طالما بقينا أطفالاً نلهو بالألعاب التي تقدم إلينا.

ولكن كلامي معها دائماً كان دون جدوى، إلى أن جاء يوم من الأيام وأنا في طريقي لقاعة المحاضرات، فوجدتها تبكي وبحرقة شديدة، وقد وضعت على رأسها منديلاً أبيض على غير العادة فاستغربت واقتربت منها لأعرف ما سبب حزنها الشديد هذا فكشفت لي عن رأسها فبدا لي وكأنه قد احترق، فسألتها ما الذي فعل بك هذا؟! وكيف حدث هذا؟! فأجابتني والدمع ينهمر من عينيها قائلة: أتعرفين الفتاة التي تقابلنا معها في المطعم فأجبتها: نعم فقالت: لقد أعارتني الكثير من مجلات الأزياء وجعلتني أفصل الكثير من ملابسي كما هي الموضة، حتى شعري غدوت أتبع الموضة في تسريحه وفي يوم من الأيام باعتني زجاجة بها سائل أحمر وقالت لي: هذه هي وصفة آخر التسريحات وأخبرتني أنها أتت بها من أوروبا، وما أن وضعت السائل على رأسي حتى رأيت شعري يتساقط بفظاعة، إنه شيء لم أكن أتصوره أبداً. فندمت يا أختي على كل ما فعلته، لقد خسرت كل شيء خسرت ديني وصديقاتي وخلقي وحيائي وهذه حالي كما ترين، ولكن لن أقول إلا الحمد اللّٰه الذي جعلني أتيقظ لنفسي قبل فوات الأوان ولكن هل تقبلين صداقتي من جديد فأجبتها: نعم مادمت رجعت لرشدك من جديد فأنا صديقتك منذ هذه اللحظة[1].

إن السعادة الأسرية لن تحصل في حياتنا الاجتماعية إلا بالقضاء على منابع الإفساد في حياة الجيل، وهذه لن تتحقق بدون السعي الحثيث بواسطة التربية الدينية الصحيحة، وفق مناهج الإسلام وتعاليم القرآن ونصائح السلف الصالح من العلماء، والتربية الحضارية وفق

---

(١) (راجع ماذا تخفي لنا الموضة ص٢٠).

الأيديولوجية الإسلامية السليمة التي تهدف أولاً وأخيراً لرفع مستوى الأمة دينياً وحضارياً وتربوياً وأخلاقياً وسياسياً واقتصادياً، والمشاركة الفعالة من الآباء والأمهات في رفع عجلة التطور الوطني والديني والأخلاقي داخل أسرهم و مجتمعاتهم.

إن رفض مظاهر التخلف بأنواعه، هذا التخلف التي تهدفه الحملات الصليبية الحاقدة، والشيوعية الماكرة والماسونية العالمية، والتبشير الواهي، مظهر من مظاهر التحرر الإسلامي، والالتزام الواقعي بمضامين الدين وتعاليم شريعة سيد المرسلين ﷺ.

المرأة المسلمة اليوم بحاجة أن تلتزم بمبادئ الإسلام بكامله حتى تحصل على سعادة الدارين (الدنيا والآخرة) وأن تفهم حركية الإسلام والتزاماته، وإيجابياته، لأن الإسلام- يا أختي المسلمة- حركة دائمة نحو السعادة المثلى والحياة الفضلى، نحو الذات ونحو المجتمع ونحو الأمة ونحو الأهداف الحياتية ونحو الجنة الواسعة؛ لأن المرأة في نظام الإسلام هي قاعدة الأسرة الفاضلة، وعنصرها الفعال في بناء مجتمع أفضل.

وتلعب الدور الكبير الذي يفضي بمشاعرها الجياشة والرحمة الواسعة، والسكينة المطمئنة والوفاء المتميز على الرجل، بل على العالم البشري الذي يعرف للمرأة حقها.

يقول تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا

---

(١) سورة الروم آية/٢١.

زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾[1].

وعن الرسول ﷺ قال: « ألا إن خيركم خيركم لنسائه، وأنا خيركم لنسائي » .

وفي حديث آخر قال: « رحم اللّه عبداً، أحسن فيما بينه وبين زوجته فإن اللّه عز وجل، قد ملكه ناصيتها وجعله القيم عليها » .

وقال ﷺ: « إنما المرأة قلادة فانظر ما تتقلد »[2].

الموضة من منظور إسلامي:

لا بد قبل كل شيء أن نعرف على الأقل بعض العلل والفلسفات الإلهية في نطاق الشرعيات، وكما هو معروف ومتفق عليه عند الفقهاء واجب على المكلف أن يتعلم المسائل التي يبتلى بها غالباً، ومن أهم المسائل في هذه الأيام مسألة الواجبات والمحرمات في حياة المرأة المسلمة، حيث إن الإعلام والأهواء والشهوات والمجتمعات الفاسدة والأقمار الصناعية خلطت مفاهيم المرأة، وقلبتها رأساً على عقب، فاختلط عليها الحابل بالنابل كما يقال.

إن اللّه تعالى أمرنا بتكاليف وتعبدنا بأمور ونهانا عن أخرى، لما فيها ولها من سعادة، وفي تركها من شقاء، فأمر بإقامة الصلاة توكيداً لعقيدة التسليم للّه سبحانه وتعالى بما فيها من ركوع وسجود وذكر وترتيل وأوقات، ومقومات من طهارة الماء والمكان والملابس وغير ذلك، والمتمعن في هذه الفلسفات الكبرى يصل إلى حقيقة واقعية وهي أن

---

(١) (سورة الأعراف ١٨٩).

(٢) راجع ميزان الحكمة ج ٤ ص ٢٧٩.

الرحاب الإلهية لا يتم الوصول إليها، أو العروج النفسي والروحي والعقلي نحوها إلا بطهارة النفس وما حولها، والصلاة لها حالة معنوية يصل من خلالها الإنسان إلى الكمالات المعنوية والنفسية كذلك، بالإضافة إلى الصوم وباقي العبادات والمعاملات، من أثر الزكاة، والحج، والجهاد وحقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنه خلاف الحسنة من صلة الرحم وإعانة المحتاج وإغاثة الملهوف والوقوف في صف المظلوم والتعاون لإحداث التغيير الديني والتربوي والاقتصادي والسياسي في المجتمع الإسلامي.

وأما بقية المحرمات من الزنا واللواط ونكاح المحارم والعادة السرية بالخصوص وملاحقة أعراض الناس والاعتداء عليها والمساحقة، وبعض الأمراض الأخلاقية مثل: الغيبة والنميمة وقول الزور والخيانة وسوء الظن والاشتغال بعيوب الناس و... وتبرج النساء والنظر إليهن ومنهن، وكل ما يثير الشهوة بباطل، فهو محرم لا يجوز ارتكابه.

يقول بعض العلماء: إن المحرمات في الإسلام محرمة لحفظ الفطرة الحياتية التي جعلت الشهوة لامتداد الجنس فإذا صرفت في غير ذلك، سببت فساداً كبيراً، ولما في ذلك من حصانة للأسرة عن عدم قيامها بدورها في بناء المجتمع المترابط المتعاون المتحابب أبداً، ولو كان الدين قد أباح الشذوذ الجنسي أو الخلاعة لسبب أمراضاً جسمية وأخرى نفسية وثالثة اجتماعية يكتشفها البشر يوماً بعد يوم.

وفعلاً إن الإسلام يقف أمام الهرطقات والخرافات، والسخافات الخارجة عن نطاق العفة والحجاب والالتزام بمضامين الدين الحنيف وتعاليم سيد المرسلين ﷺ.

وقد حثت الشريعة الإسلامية على الزينة والتجمل واهتمت بها

وجعلتهما النظام الذي من خلاله تستمر الحياة الزوجية ولكنها وقفت منها موقفاً مشرفاً في مرحلة (لا إفراط ولا تفريط) ولا أتوقع أن هناك رجلاً لا يرغب في أن يرى زوجته متزينة متعطرة لابسة أفضل ما عندها من الملابس والحلي، بل إن هذه الأشياء مما تزيد في التودد والعلاقة الحميمة بين الزوجين وتمنع الزوجين من النظر إلى غيرهما، كما هو حال من لا يجد من زوجته الجمال المظهري من الملابس والحلي والزينة فيلجأ إلى الطرق التي يشبع من خلالها فطرته وفضوله، وكل ذلك طبعاً ضمن حدود الضوابط الشرعية، وأنني أعرف كثيراً من الناس نساء ورجالاً يصرون على قضاياهم في تزلزل علاقتهم الزوجية ببعضهم، ونقف عند السبب الأول والأخير وهو فقد الزينة من الزوجة للرجل أو الرجل للزوجة فهو سبب واضح مع أننا نرى كم وكم في نصوص الشريعة الإسلامية وتعاليم الأنبياء والمرسلين والأئمة والعلماء من حث على الزينة داخل الحياة الزوجية بل أنها من الضروريات ونهى الشارع المقدس عن فقدانها بين الزوجين وجعلها رهبنة مرفوضة.

جاء إلى النبي ﷺ ثلاث نساء تقول أولاهن: يا رسول اللّه، لقد عاهد بعلي نفسه بأن لا يعاشر امرأة بعد اليوم، وقالت الثانية: يا رسول اللّه، لقد صام بعلي على أن لا يطعم لحماً بعد اليوم، وقالت الثالثة: يا رسول اللّه، إن بعلي أخبرني بأنه سوف لن يستعمل عطراً بعد الآن.

تقول الرواية: بان الغضب الشديد على رسول اللّه ﷺ لأنه رأى أن الفكر المنحرف بدأ يتفشى بين أفراد المجتمع الإسلامي، وحينها دخل إلى المسجد على غير موعد. وتقول الرواية: إن السرعة التي جاء بها الرسول ﷺ إلى المسجد لم تكن طبيعية، حيث كانت عباءته تخط التراب من بعده كونها كانت معلقة في أحد كتفيه الشريفين، وأمر بجمع

الناس في المسجد، فترك القوم أعمالهم ليتوجهوا إلى باحة المسجد، ما الذي حدث؟

صعد الرسول ﷺ المنبر الشريف ليقف على أول سلالمه، وليخبر الناس بأنه سمع ما يمكن أن يعد بمثابة شيوع للفكر المنحرف بين أصحابه.

ما هو هذا الفكر المنحرف الذي شاع بين القوم؟ بعد ذلك صرح الرسول ﷺ باستطعامه للحم، وتناوله للغذاء اللذيذ، وارتدائه للملابس الجيدة، وتعطره، ومعاشرته للنساء، ومباشرته لهن.

ثم قال: فمن رغب عن سنتي فليس مني.

وقال أيضاً:.. أما إني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن منهاجي وسنتي فليس مني.

لقد تطرق الرسول الأكرم ﷺ إلى رد الأفكار المنحرفة في أكثر من (١٠ موارد)، وقد نقل لنا المرحوم الفيض في كتاب (الصافي) رواية تدل على أن مثل هذه المسألة قد تكررت في زمن الرسول ﷺ، وكان الرسول ﷺ في كل مرة يرد على تلك الأفكار المنحرفة، بل وينزل اللّه فيها آيات تنذر بالعذاب الأليم.

والجدير بالذكر أنه كلما نزلت آية قرآنية تتطرق إلى عدم الانشغال بالدنيا وزخرفها، خاف نفر من المسلمين، وقبضوا أيديهم عن كل ما يمت بصلة للحياة الدنيا، بل واستداروا ١٨٠ درجة جهة أخرى.

نقل المرحوم الفيض في كتابه الموسوم (الصافي) رواية جاء فيها: أن امرأة جاءت إلى عائشة في مسألة خاصة ـ وكانت ذات بعل ـ فسألتها عائشة: هل مات بعلك (لعدم تزينها بزينة المتزوجات) فأجابت: كلا،

ولكنه ذهب مع اثنين من أصحابه إلى الصحراء للتهجد والتعبد بعد نزول إحدى الآيات التي تتحدث عن عذاب الآخرة، لذلك صمم أن لا يعاشرني بعد نزول تلك الآية، وأن صاحبه الأول قرر أن لا يطعم طعاماً لذيذاً، والثاني صمم على ترك معاشرة الناس.

أخبرت عائشة رسول الله ﷺ بالأمر، فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً ودخل إلى المسجد على غير موعد حتى أنه من عجلته، كان طرف عباءته يخط التراب خلفه، فأمر الناس بالاجتماع إليه، وما إن اجتمعوا حتى وقف على أول سلالم منبره ليخبرهم بأنه سمع ما يسيء إلى سمعة الإسلام العزيز وأن البعض قد تركوا نساءهم، ومعاشرة الناس، واستطعام اللذيذ من الطعام وذهبوا إلى الصحاري والجبال للتعبد. بعدها قال: « فمن رغب عن سنتي فليس مني »[1].

إن الشريعة الإسلامية هي القانون الإلهي العام الذي يقوم بتنظيم جميع أمور الناس في معاشهم وما يعود إلى البدن والروح بالنفع الجزيل، ولم يهمل شيئاً مما يحتاج إليه البشر أو يمكن أن يحتاج إليه إلا دلت الشريعة الغراء عليه ووضعت له قانوناً يجلب للبشر كل مصلحة، واهتم المشرع الإسلامي بقضية الحياة الزوجية اهتماماً لا حدود له، وجعل من أهم قضاياه في الآداب والسنن الحياتية للزوجين (قضية الزينة والتجمل) فقد وضعت لهما أحكاماً خاصة خالفت فيها جميع الشرائع التي كانت سبب تدهور وضعية المرأة وبالخصوص الحياة الأسرية في القديم الغابر حيث سمحت للمرأة تظهر زينتها بطرق أخرى.

فتغيرت منهم نساؤهم وأولادهم، وتفشت فيهم الأمراض العقلية

---

(١) راجع ميزان الحكمة ج٤ ص٢٥٠.

والجسمية والروحية وكل ذلك بسبب قانون (الرهبنة الخاطئ) وعدم الأخذ بآداب الزينة والتجمل.

كما كان وضع العرب قبل الإسلام يرون من النسك والعبادة ترك الزينة والتجمل، وطيبات الرزق، حتى أنهم كانوا يحرمون الأسمان والألبان وجميع الطيبات في الطواف، وكذلك كانوا يحرمون اللباس فيه للرجال والنساء، وكانوا يطوفون عراة فتطوف رجالهم نهاراً ونساؤهم ليلاً، فأنكرت الشريعة الإسلامية على جميع الأمم رأيها في ذلك، وقال اللَّه تعالى في سورة الأعراف: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

فتركت تلك الآراء السقيمة وأخذ المسلمون بالزينة في كل موضع، خصوصاً في المساجد عند كل صلاة. وبالأخص في الجمعات والأعياد، فإن المسلمين أعدوا لها ثياب تجمل خاصة، غير ما يلبسونه في سائر الأيام، حتى صار من الأمثال السائرة قولهم: «في ثياب التجمل للجمعة والعيدين» . وكان الحسن بن علي عليهما السلام يلبس أجود ثيابه إذا قام للصلاة، فقيل له: يا بن رسول اللّه لم تلبس أجود ثيابك؟ فقال: «إن اللَّه جميل يحب الجمال، فأتجمل لربي: وهو يقول: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾، فأحب أن ألبس أجود ثيابي» . ولم يكن ذلك مقصوراً على وقت الصلاة بل كان المسلمون يتجملون في كل وقت.

وقد كان علي بن الحسين يشتري كساء الخز بخمسين ديناراً فإذا صاف تصدق به لا يرى بذلك بأسا، ويقول: ﴿قل من حرم زينة اللَّه﴾ الآية. ولما بعث علي عليه السلام ابن عباس إلى الخوارج لبس أفضل

ثيابه، وتطيب بأطيب طيبه، وركب أفضل مراكبه، فخرج إليهم، فقالوا له: يا بن عباس بينا أنت خير الناس إذ أتيتنا في لباس الجبابرة ومراكبهم، فتلا هذه الآية، وقال: فالبسوا وتجملوا إن اللّه جميل يحب الجمال، وليكن ذلك من حلال.

وروى يوسف بن إبراهيم قال دخلت على الصادق وعليه جبة خز وطيلسان خز، فنظر إلي فقلت جعلت فداك هذا خز ما تقول فيه، فقال: «وما بأس الخز» قلت: فسداه إبريسم. قال: «لا بأس به، فقد أصيب الحسين وعليه جبة خز»، ثم نقل قصة عبد اللّه بن عباس مع الخوارج. وسئل الصادق عن الرجل الموسر يتخذ الثياب الكثيرة، والطيالسة المتعددة يتجمل بها، أيكون مسرفاً؟ فتلا قوله تعالى: ﴿لينفق ذو سعة من سعته﴾. وعن الرضا عليه السلام قال: (كان يوسف(ع) يلبس الديباج، ويتزين بالذهب، ويجلس على السرير. وكان علي بن الحسين يلبس الثوبين في الصيف ويتزين في الصيف يشريان له بخمسمائة دينار، ويلبس في الشتاء المطرف الخز يباع في الصيف بخمسين ديناراً ويتصدق بثمنه). وقال أمير المؤمنين علي ليتزين أحدكم لأخيه إذا أتاه كما يتزين لزوجته[1].

زينة الزوجين تسبب توطيد العلاقة:

لقد أكد العلماء والفقهاء على استحباب الزينة والتجميل بأنواع الزينة لما لها من فوائد صحية وأخلاقية على النفس وعلى الحياة الزوجية بين الزوجين، بل ويتأكد الاستحباب للزوجين بأن يتزين كل منهما للآخر لما له من فوائد عدة، أولاً: إن الزوج والزوجة إذا ألف كل منهما

---

(١) (الصافي ج٣ ص٢١٠).

الآخر، واقتربا بشوق وميل نضجت المادة المنوية في بدنيهما تماماً، وانجذبت انجذاباً كاملاً وفي ذلك سلامة بدنيهما وصلاح شملهما وقوته.

كما أن الزينة موجبة للألفة والشوق الكامل لكل من الزوجين إلى صاحبه.

وثانياً: إن تزين الرجل لزوجته عفة للمرأة، وعدم نظرها إلى غير زوجها الذي تجمل لها، لا لجماله فقط بل لتجمله، حيث أن الزوجة تعتقد أن زوجها يحلها محلاً رفيعاً، ولا يهملها، ويتجمل لها، ويتهيأ، فيوجب ذلك رغبة الزوجة به، وعدم اعتنائها بغيره، لأن من طبيعة المرأة النظر إلى زوجها فإن رأته شديد الميل إليها تعلق قلبها به، وانصرف عن غيره، وقدمت له ما عز وهان، وذلك لما جبلت عليه المرأة من النظر إلى غيرها، وتأثير أحواله في أخلاقها تأثيراً تاماً، خصوصاً إذا كان ذلك هو الزوج. وقد اعترف بهذه الخلة للمرأة جميع علماء الأخلاق والتربية وعلم النفس.

من هاتين الفائدتين العظيمتين أمرت الشريعة بتزين الرجل للمرأة كما تتزين المرأة له فقد روى الحسن بن جعفر قال: دخلت على أبي الحسن (موسى بن جعفر) وهو مختضب بالسواد، فقلت: جعلت فداك قد اختضبت بالسواد، قال: « إن في الخضاب أجراً، إن الخضاب والتهيئة مما يزيد في عفة النساء، ولقد ترك النساء العفة لترك أزواجهن التهيئة لهن » . وقال الصادق جعفر عليه السلام: « الخضاب بالسواد مهابة للعدو، وأنس للنساء » . وقال الباقر عليه السلام: « النساء يحببن أن يرين الرجل في مثل ما يحب الرجل أن يرى فيه النساء من الزينة » .

وعن المدائني قال: دخلت على أبي الحسن الثاني (الرضا) فإذا هو قد اختضب، فقلت: جعلت فداك قد اختضبت، فقال: « نعم إن في

الخضاب لأجراً، أما علمت أن التهيئة تزيد في عفة النساء؟ أيسرك أنك دخلت على أهلك فرأيتها على مثل ما نراك عليه إذا لم تكن على هيئة » .

وقال الرضا عن آبائه: « إن نساء بني إسرائيل خرجن من العفاف إلى الفجور، ما أخرجهن إلا قلة تهيئة أزواجهن » ، وقال: « إنها تشتهي منك مثل الذي تشتهي منها » ، وفي الخضاب فوائد كثيرة جداً.

وقال مالك دخلت على أبي جعفر الباقر، وعليه ملحفة حمراء شديدة الحمرة فتبسمت حين دخلت فقال إني أعلم لم ضحكت، ضحكت من هذا الثوب، ألا إن الثقفية أكرهتني على لبسه. ثم قال لا نصلي في هذا فلا تصلوا بالصبغ المفرج.

وفي ذلك كثير من الأخبار.

وبالجملة إن من كان محافظاً على سلامة بدنه وبدن زوجته حريصاً على قوة نسله وصحته غيوراً على عفة زوجته فلا ينبغي له أن يترك الزينة لزوجته في كل حال، وفي ذلك من لذة الاستمتاع ما لا يجده الأشعث الأغبر القذر الوسخ.

كما لا ينبغي للمرأة أن تترك الزينة والتجمل لزوجها. لما في ذلك من الثواب وتوطيد العلاقة الزوجية بينهما، كما يقرر ذلك القرآن والسنة المطهرة والعقلاء.

وقد أكد الإسلام وتعاليمه الحقة على المرأة أن تسعى إلى تلبية أنوثتها وإظهارها في الأطر الإسلامية المباحة داخل الحياة الزوجية فقط.

ونهاها أن تظهر زينتها وجمالها بشكل جذاب في يجذب مشاعر الآخرين مما يهيج شهواتهم ويحرك جمرة الهوى والمجون داخل المجتمع

الإسلامي مما يسبب تدهوره وانهياره وانحرافه عن الخط المستقيم، فعند ذلك تستحق المرأة اللعنة السماوية ودخول نار جهنم بغير حساب.

يقول تعالى: ﴿وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ...﴾.

وجاء في الحديث: «أيما امرأة خرجت متعطرة متبرجة لا زالت تلعنها ملائكة السماء والأرض حتى تعود إلى منزلها وتغتسل من عطرها كما تغتسل من جنابتها.. »[1].

ومن المؤكد أن الإسلام لا يمنع المرأة من الزينة والسعي وراء اكتمال جمالها وإظهار أنوثتها بل يستحب لها استحباباً مؤكداً أن تتزين لزوجها لما لزينتها وجمالها من فوائد تستدعي ميل زوجها لها دون غيرها وعدم لجوئه للطرق الملتوية بسبب عدم تجملها وزينتها ولبس أفخر الملابس وأجملها مع مساحيق التجميل المعتدلة استدعاء لميله وتحريكاً لشهوته، وإدامة للألفة بين الزوجين والمحبة التي هي أساس نظام الأسرة وقوامها المتين.. بل يستفاد من بعض الأخبار المروية عنه ﷺ وعن أهل بيته عليهم السلام وصحبه رضي الله عنهم الوجوب.

جاء في الحديث: «لا ينبغي للمرأة أن تعطل نفسها ولو أن تعلق في عنقها قلادة، ولا ينبغي لها أن تدع يدها من الخضاب، ولو أن تمسحها بالحناء مسحاً..

ويستحب أيضاً للمرأة أن تكتحل. جاء في الرواية عن أبي عبد اللّه قال: قال رسول اللّه ﷺ: الكحل ينبت الشعر، ويحد البصر، ويعين على طول السجود.

---

(١) الصافي ج٢ ص٤٣

ويكره للمرأة أن تترك الطيب، جاء في الرواية عنه ﷺ: الطيب يشد القلب، كما جاء أن النبي ﷺ كان يزهد في الدنيا لكنه يكثر فيها من الطيب وحب النساء.

وفي الرواية عنه ﷺ: أكثر من الطيب فإنه يشد القلب، ويزيد في الجماع.

وقد شرح بعض العلماء المتخصصين في هذا المجال بقوله: إن الطيب يهيج الأعصاب الشهوانية في خلايا المخ مما يزيد فيها ويقويها وقد تحدث الاستنبولي في كتابه دلائل النبوة ص٧٠ عن ذلك فراجع.

وأمرنا الشارع المقدس بلبس الملابس الفاخرة الجيدة، مما يعكس جمال الإنسان سواء كان رجلاً في صفوف الرجال أم امرأة في صفوف النساء حتى قال ﷺ: «بئس العبد القاذورة».

وعن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن الرضا قال:

قال لي: ما تقول في اللباس الحسن؟ فقلت: بلغني أن الحسن كان يلبس وأن جعفر بن محمد بن زين العابدين كان يأخذ الثوب الجديد فيأمر به فيغمس في الماء، فقال لي: البس وتجمل فإن علي بن الحسين كان يلبس جبة الخز بخمسمائة درهم، ومطرف الخز بخمسين ديناراً، فيشتي فيه فإذا خرج الشتاء باعه فتصدق بثمنه وتلا هذه الآية: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾[1].

وعن المنصوري عن الصادق عن رسول الله ﷺ قال:

إن الله يحب الجمال والتجمل، ويبغض البؤس والتباؤس، فإن

---

(١) سورة الأعراف ٣٢.

اللّه إذا أنعم على عبده بنعمة أحب أن يرى عليه أثرها.

وأمرنا الشارع أيضاً باتخاذ الملابس الكثيرة مما لا يكون إسرافاً، والإسراف كما هو معروف منوط بالمسائل العرفية فهو كسائر أمور العرف يتغير حسب الأزمنة والأمكنة والأعراف، هذه الروايات ناظرة إلى الشرائط الخاصة، حيث كانت الشرائط تقتضي انطباق الصغريات المذكورة في هذه الروايات على الكبريات الشرعية، ومنها السرف أو الإسراف، وعلى هذا فليس ميزاناً كلياً يقاس عليه كيفما كان.

عن إسحاق بن عمار قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن الرجل يكون له عشرة أقمصة يراوح بينها؟ قال: لا بأس.

وبالإسناد عن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام: يكون لي ثلاثة أقمصة؟ قال: لا بأس، فلم أزل حتى بلغت عشرة، قال: أليس يودع بعضها بعضاً؟ قلت: بلى ولو كنت إنما ألبس واحداً كان أقل بقاء، قال لا بأس.

عن إسحاق بن عمار قال: قلت لجعفر بن محمد: يكون للمؤمن عشرة أقمصة؟ قال نعم، قلت: عشرون؟ قال: نعم، قلت ثلاثون؟ قال: نعم، ليس هذا من السرف، إنما السرف أن تجعل ثوب صونك ثوب بذلتك.

عن نوح بن شعيب، عن بعض الأصحاب، عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: سألته عن الرجل الموسر يتخذ الثياب الكثيرة الجياد والطيالسة والقمص الكثيرة يصون بعضها بعضاً يتجمل بها أيكون مسرفاً؟ قال: لا لأن اللّه عز وجل يقول: ﴿لينفق....﴾.

وأخيراً:

كما تقدم فإن اللّه سبحانه وتعالى وتعاليم رسوله الكريم ﷺ وتوجيهات العلماء الصالحين عليهم السلام حثت على الزينة والتجمل بين الزوجين لكنهم وقفوا مواقف مشرفة إزاء التبرج وإظهار الزينة لغير الزوج.

ولذلك حرمت الشريعة إبداء الزينة للأجانب فقال تعالى في سورة النور: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ...... وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

وقال ﷺ: أيما امرأة تطيبت وخرجت من بيتها فهي تلعن حتى ترجع إلى بيتها. ولقد نهى النبي ﷺ أن تتزين المرأة لغير زوجها فقال: « فإن فعلت ذلك كان حقاً على اللّه أن يحرقها بالنار » .

إذاً.. إذا كانت (الموضة) لجلب رضا الزوج وتوطيد العلاقة الزوجية، وإبداؤها للزوجين مع بعضهم البعض دون قصد بالتشبه بالغرب وما حوله، كانت هذه من الأمور المحببة جداً بل تكون واجبة خصوصاً في هذا الزمان الذي تمكن من خلاله الزوجان أن ينظرا إلى جمال الرجال والنساء عبر الألبونات والجلسات والمشاهدات عبر الأقمار الصناعية أو الاختلاط في السفرات والأعمال.

إن الرجل ينحرف عن جادة الصواب وكذلك المرأة عندما يشاهد

عبر الأقمار الصناعية، أو المخالطة في العمل ما عليه المرأة الأجنبية من الزينة والتجمل والملابس المغرية والعطورات المتنوعة في كل يوم ولا يشاهد هذا داخل أُسرته ومع زوجته، فيسبب له الانحراف والنفور الطبيعي من الحياة الأسرية فيلجأ عندها إلى طرق أخرى.

إننا اليوم وأمام الأقمار الصناعية والإعلانات التجارية وما يبهر العقل البشري ويسبب له الانحراف الأخلاقي، إذا لم نسع إلى أن نضع تغييراً موافقاً للدين والأخلاق الإسلامية، عبر تزين المرأة وتجملها داخل الأُسرة أمام زوجها؛ وكما أن هذه النصائح للنساء كذلك للرجال فهو لا يقل خطراً عن هذا. لكن بدون الإفراط والتفريط في قضايا التجمل والزينة.

إنني أدعو اليوم إلى التجمل والزينة للزوجين بل كل ما ينفعهم في هذا المجال من أجل أن لا تصاب الأسرة بالانحراف الأسري والأخلاقي في المستقبل، لكن عبر ديننا وأخلاقنا الإسلامية والآداب والأعراف من منظار الشرع الحنيف والأخلاق.

وبعيداً عن التشبه والتقليد الأهوج الخارج عن نطاق الإسلام والأعراف والشرعيات، أن تتزين المرأة بكل مظاهر الزينة داخل الأسرة بين أهلها وزوجها لا مشكلة في ذلك، لكن أن تنجر الفتاة والمرأة بزينتها خارج المنزل ونطاق الأُسرة فهذا من أكبر المحرمات الإسلامية، وخصوصاً ما نسميه اليوم بالتقدم الحضاري وبالخصوص إذا كان ذلك نابعاً من وحي التقليد للغرب، وأعداء الدين مغايراً لما يتبناه الغرب فهو يحرم ذلك.

جاء في الرواية عنه (ص): إن اللّه تعالى أوحى إلى نبي من أنبيائه: قل للمؤمنين لا تلبسوا لباس أعدائي ولا تطعموا مطاعم أعدائي، ولم تعين الشريعة شكلاً خاصاً، ولا لوناً بعينه للباس، وأباحت كل ما

يمكن لبسه، مما هو طاهر موافق للأعراف والشرعيات غير مزرٍ بالإنسان والحياة.

ولن تجد المرأة نظاماً وقانوناً يضمن لها السعادة الزوجية والحياتية والأخروية مثل النظام الإسلامي، لأن الشارع المقدس عندما حرم فقد أباح، وأباح أكثر مما حرم، فقد استوعب التشريع الإسلامي، كافة حاجيات البشر من الصغيرة إلى الكبيرة. يقول الرسول محمد ﷺ في أخريات حياته الشريفة وهو الصادق الذي لا ينطق عن الهوى: «أيها الناس اتقوا اللّه، ما من شيء يقربكم إلى الجنة ويباعدكم عن النار إلا وقد أمرتكم به».

ويقول الصادق عليه السلام: ما من شيء يحتاج إليه ولد آدم إلا وقد خرجت به السنة من الرسول محمد ﷺ[1].

(١) ميزان الحكمة ج٤ ص٥٠.

الفصل الثالث

تعدد الزوجات بين العقلانية واللا عقلانية

لقد سعت الدعاية الأجنبية ودعاة الغرب الحاقدون على الدين الإسلام والمفاهيم والقيم الحقة، والمرأة بشكل عام والمرأة المسلمة على وجه الخصوص إلى أن تصور تعاليم السماء والأنبياء، لشبابنا البسطاء على أنها مبعث التعاسة والشقاء والحرمان، ومصدر لكل مشكلاتهم العلمية والعاطفية والمعالم الاجتماعية وغيرها. فأخذت تلصق بالدين وتعاليمه الحقة كل تهمة رخيصة وغالية.. فقالت عنه: إنه مصدر التعاسة ورمز الجهل والتعصب والمرض، بل أكبر من هذا أنه يسبب الشرور والألم في حياة الإنسان و بالخصوص حياة المرأة والمرأة المسنلمة بالخصوص..

وفي غفلة العقلية المسلمة راح الناس يصدقون شعارات وإعلام وحملات الأعداء حتى أفقدتهم عزهم وعفتهم وشرفهم وحضارتهم المتميزة، فأصيبوا بأفدح المشكلات والأمور التي لا تقف عند حد من الحدود، وبالخصوص على صعيد الأُسرة المسلمة، فأصبحت المرأة المسلمة همها الوحيد أن تقلد نساء أوروبا، بكل ما هن عليه سواء كان إيجابياً أم سلبياً، واعتقدت بمحاولاتهم الهوجاء حينما قالوا: إن الإسلام ظلم المرأة وحجر عقليتها وأفسد عواطفها واحتقر طاقاتها وكفاءاتها إلى غير ذلك من الدعايات المغرضة، والخاطئة التي سببت اليوم شرخاً واضحاً وانعطافاً وانحرافاً في عقلية المرأة المسلمة، مما سبب تدهور

أوضاع الأُسرة.

وإننا نقف على الحقيقة الواضحة وأقولها بكل أسف التي لا تفهمها كل النساء، نساء الإسلام وهي: إن الدين وتعاليم سيد المرسلين ﷺ وأهل البيت عليهم السلام والأصحاب الميامين رضي الله عنهم والعلماء الصالحين، كاملة وشاملة لكل نواحي الحياة الإنسانية، ولا سيما حياة المرأة المسلمة، عندما تكون بنتاً أم أماً أو موجهةً أو مربية في مجتمعها، وإن تلك النظم والتعاليم والمبادئ الحقة شاملة حيث لا تدع صغيرة ولا كبيرة إلا وأحاطت بها، ووضعت لكل شيء حدوداً وضوابط شرعية وقانونية وعرفية أيضاً.

كما أنه يملك ـ الدين ـ رصيداً ضخماً في التشريع الإسلامي حيث يوجد فيه من أرش الخدش والجلد إلى أكبر مسألة تمر على الإنسان في حياته العلمية أو العملية يقول تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾.

نعم يا أختي في اللّه..

إن كل الدلائل تشير إلى أننا على أبواب عصر جديد يختلف تماماً، ـأسلوباً ومنهجاً وتمدناً ومشكلة ونوعية عن العصر الذي عاشه الآباء والأُمهات قبل سنوات عديدة مضت.

إلا أننا اليوم ينبغي أن نكون أكثر تفهماً وحذراً من المستقبل الغيبي، لأرضنا وعقولنا وحياتنا الأسرية الآن ضرورة فهم العصر القادم بتغييراته المختلفة وبوسائله الكثيرة وأوجاعه المتعددة، تفرض علينا دراستها وتوقي الحذر من ملابساتها المختلفة، وإلا فربما نفاجأ بالمستقبل الغيبي لأرضنا ومفاهيم الحياة الإنسانية وبالخصوص الحياة الأسرية

والزوجية.

وهذه البدايات والدلائل تشير إلى أن العالم بدأ يشعر أن الحل الوحيد للمشكلات المتفاقمة يتم بالعودة لنظم ومفاهيم وتقاليد الدين الإسلامي.

فهذه المسيحية تعلن إفلاسها المحتوم حيث انحسرت المسيحية عن مسرح الحياة عملياً، حيث لم يعد لها أي وجود فعلي.

ويختلف مصير هذه الكنائس من إقليم إلى إقليم، ففي لندن مثلاً تحولت إحدى الكنائس الشهيرة إلى مسرح تمثل عليه فرقة (الملكة اليزابيث)، لأن صحن الكنيسة المستديرة يصلح بصفة خاصة لمسرحيات شكسبير، وكنائس أخرى أغُلقت وتحولت إلى محطات بنزين أو متاحف أو منازل للسكن.

ومن ناحية المحتوى فقد أوضح صاحب كتاب (الحق الذي يقود الحياة): إن تقاليد وعقيدة اليهود ما هي إلا رمز خارج عن محتواه الحقيقي.. إن الأشخاص الذين يلبسون الصليب أو يملكونه في بيوتهم لاعتقادهم أن ذلك تكريم ليسوع المسيح يواجهون قراراً خطيراً..

وتقول الإحصاءات: إن عدد المسلمين الذين يمارسون عباداتهم ويذهبون إلى المساجد بانتظام في ١٩٩٥ بلغ ٥٣٦ ألفاً مقابل ٨٥٤ ألف مسيحي يذهبون إلى الكنيسة وخلال الفترة من عام ١٩٩٢ حتى ١٩٩٤ زاد عدد مرتادي المساجد ٣٢ ألف مصلي، بينما تراجع عدد المسيحيين الذين يواظبون على الذهاب إلى الكنيسة بمقدار ١٤ ألفاً كل عام..

ودعا روجر سيزيدي ـ أسقف منطقة باركنجهام بشرق لندن ـ رجال الكنيسة إلى التعلم من تجربة الإسلام في جذب أعداد متزايدة

خصوصاً وسط الشباب وذلك من خلال الاطروحات ذات الصلة بالمساواة والعدالة الاجتماعية[1].

التعدد تاريخ وموقف:

لم يكن الإسلام أول من سن مبدأ التعدد - تعدد الزوجات - بل يؤكد علماء التاريخ البشري أنه كان موجوداً في الأُمم القديمة كلها تقريباً، فقد كان عند الأثينين والصينيين، والهنود والبابليين والأشوريين والمصريين، ولم يكن له عند أكثر هذه الأُمم حدود وقد سمحت شريعة (ليكي) الصينية بتعدد الزوجات إلى مائة وثلاثين امرأة، وكان عند أحد أباطرة الصين نحو من ثلاثين ألف امرأة.

وعندما نقرأ ما سطره العلماء عن تاريخ الشعوب والأُمم التي أباحت نظام (تعدد الزوجات) نقف عند حقيقة واضحة أنه ليس هناك ديانة أو حضارة، قديمة أو حديثة إلا وأباحته وجعلته نظاماً مشروعاً في مبدئهم وحياتهم ونظامهم البشري.

تعدد الزيجات في مصر الفرعونية:

عرف قدماء المصريين التعدد في الزوجات للرجل الواحد وخاصة في طبقة الفراعنة ولم يكن للتعدد حد، وممن عددوا زوجاتهم من الفراعنة أمنحوتب الثاني وأمنحوتب الثالث، وتحوتمس الثاني والثالث، ورمسيس الثاني الذي تزوج من نفرتاري ونفرو ورعمار وأيست تفرت وابنة ملك الحثيين، وإن كان الفراعنة قد عددوا زوجاتهم وتزوج الأخ أخته والأب ابنته، إلا أن عامة الشعب المصري القديم كانوا

(1) مجلة الأُسرة العدد ٧٤

يكتفون بزوجة واحدة في الأغلب.

وجاء على لسان المؤرخ هيرودوت أن نظام الزواج الفردي هو الذي ساد بين المصريين، وقرر المؤرخ تيودور الصقلي أن المصريين عرفوا نظام تعدد الزوجات، وأن طبقة الكهنة وحدهم هم الذين مارسوا الزواج الفردي، وجاء في ورقة بردية يرجع تاريخها إلى الأُسرة العشرين أن المصريين مارسوا تعدد الزوجات.

ورغم التباين في وجهات النظر بين المؤرخين فقد رأينا في رحلات كثيرة وطبعاً في الأُسرة الملكية تعدد الزوجات موجوداً بدون حد.

تعدد الزيجات في بلاد ما بين النهرين:

كان الزواج الفردي في بلاد ما بين النهرين هو القاعدة، وكان القانون لا يبيح للرجل إلا زوجة شرعية واحدة، ولكن هذه القاعدة لم تطبق بصفة مطلقة. فقد جاء في قانون حمورابي والقوانين الآشورية ما يفيد أن الزوج كان في إمكانه أن يتخذ أكثر من محظية إذا أراد، وتمكث في بيته وتعيش فيه حياة النساء. كان في وسع الرجل أن يتزوج زوجة ثانية إذا كانت الأُولى عاقراً، ولكن الزوجة الثانية تكون منزلتها أقل من الزوجة الأولى، وكان في مقدور الزوجة الأولى أن تهب زوجها إحدى جارياتها لتكون سرية له، وكانت هذه السرية تنال حريتها إذا حملت.

وكان تعدد الزوجات عند البابليين موقوفاً على حالات ثلاث:

أولها مرض الزوجة بمرض عضال، فكان الزوج لا يطلقها، بل له أن يتزوج بامرأة أخرى. وثانيها جاء في المادة ١٤١ من قانون حمورابي ما يشير إلى حق الزوج في الزواج من ثانية إذا كانت زوجته الأولى قد دأبت على الخروج من منزل الزوجية والتصرف بحمق مصغرة في ذلك

شأن زوجها. وتظل الزوجة الأولى بعد ثبوت تصرفها المشين ـ قضائياً ـ كجارية في منزل الزوجية جزاء رادعاً لتصرفها الخاطئ.

والسبب الثالث هو عقم الزوجة الأولى. فمن حق الرجل أن يتزوج بأُخرى.

وأما في المجتمع الآشوري فقد كان في وسع الزوج أن يتزوج من ثانية دون أن يقيده القانون بضرورة وجود سبب يبرر لها ذلك، فزواج الرجل من امرأة لا يحول دون اتخاذ زوجة ثانية إن شاء.

تعدد الزيجات عند البراهمة والصابئة:

أ- الصين

كان الزواج المتعدد مباحاً بدون حد عند البراهمة، وفي الصين لم يستطع كونفوشيوس المصلح الاجتماعي العظيم أن يقنن الزواج والطلاق، بل ترك الأمر لما اصطلح عليه الناس في عاداتهم وفي مناطقهم المختلفة، وكان الصينيون ينظرون إلى تعدد الزوجات على أنه وسيلة لتحسين النسل.

ب- الهند

عرفت الهند تعدد الزوجات وكان الزوج في طائفة البراهمة يختار زوجته من خارج مجموعته العائلية وله أن يتزوج من زوجات كثيرات، ولكن واحدة منهن فقط تكون لها السيادة على الأخريات.

وكان الأمراء والأغنياء يتزوجون عدة زوجات، أما الرجل العادي فلا يتزوج مرة ثانية إلا إذا كانت زوجته الأولى لا تلد إلا إناثاً فيضطر إلى الزواج مرة أُخرى.

جـ- اليابان

كان الرجل من عامة الشعب يقتصر في الغالب على زوجة واحدة، أما إذا كان من أبناء الطبقة العليا فقد كان من حقه أن يتخذ الخليلات، وكان الامبراطور يتزوج كما يشاء ويتخذ من السراري ما شاء بدون تقييد لحريته لكي يضمن اتصال النسل الامبراطوري. وتصف الروايات التاريخية الصينية اليابانيين بأنهم أقزام لا يلبسون الأحذية، ويطيعون القانون، ويعددون الزوجات.

د- الصابئة

أما الصابئة وهم عبدة النجوم ومظاهر الطبيعة الأخرى فقد أباحوا تعدد الزوجات بدون حد.

تعدد الزيجات في أفريقيا:

تعدد الزوجات في أفريقيا يعد من الملامح البارزة لنظام الزواج والأسرة لدى الشعوب الأفريقية. وكان للرجل الأفريقي أن يتزوج بأي عدد شاء من النساء ففي قبائل الأوينورو من العار الشديد بالنسبة للرئيس الصغير أن يكون لديه أقل من عشر زوجات. أما الفقراء فللرجل من ثلاث إلى أربع زوجات على الأقل، وفي قبائل النانـدي للرجل الثري عدد من النساء يصل إلى ٤٠ زوجة. وفي المقابيلي تعدد الزوجات هو القاعدة، ومتوسط عدد النساء اللاتي يحوزهن رجل واحد بين اثنين وعدة مئات.

تعدد الزيجات عند اليونان:

كان تعدد الزوجات عند اليونانيين هو أساس نظام الأُسرة، وقد ورد في الإلياذة لهو ميروس أن الملك بريان كان يجمع بين أكثر من زوجة،

وكذلك كان فيليب المقدوني يجمع بين سبع زوجات، وقد فعل مثله ابنه الإسكندر الأكبر.

الرومان بين وحدانية الزوجة وتعدد الزيجات:

كان الرومان يبيحون التعدد كما كان اليونانيون يفعلون، ثم عمدوا بعد ذلك إلى نظام الزوجة الواحدة الرومانية مع جواز التسري بأي عدد من الخليلات (الجواري) والعشيقات، وكان البغاء منتشراً انتشاراً واسعاً، وكان الرجال يتخذون بيوتاً للدعارة خاصة وعامة، وكانت الامبراطورة مسالينا مثالاً للعهر والامبراطور جوستانيان تزوج من عاهرة. ولم يعرف نظام الزوجة الواحدة إلا عند الرومان قبيل المسيحية.

وتعليقنا على ذلك أن الاقتصار على الزوجة الواحدة في المجتمع الروماني أدى إلى انتشار الزنا والبغاء والفوضى الجنسية، لدرجة أن الأخ يعاشر أخته، وإذا كانت الامبراطورة مثالاً للدعارة فما بالنا بالشعب!! وكانت بيوت الدعارة علنية يعرفها الجليل والحقير منهم، وهكذا فإن الضرورات الواقعة جعلتهم يبيحون الزنا، واتخاذ الأخدان والخليلات، فأهانوا المرأة وداسوا كرامتها ومرغوا عزتها وشرفها في التراب. فتدهورت أخلاق الأُمة الرومانية وانحلت عراها.

التعدد في الديانات السابقة:

(أ) التعدد في عهد الخليل إبراهيم عليه السلام

حدثنا القرآن الكريم في قصصه عن سيدنا إبراهيم أبي الأنبياء، فعلمنا أنه كان متزوجاً من السيدة سارة ابنة عمه هارون، فلما لم يرزق منها بذرية، ولم تنجب منه رشحت له جاريتها هاجر ليتزوج منها، فرزق

منها بإسماعيل، وبعد ذلك رزق إبراهيم من سارة بإسحاق، أي أن إبراهيم جمع بين زوجتين في وقت واحد، وكذلك فقد ثبت في التوراة أن يعقوب عليه السلام جمع بين أربع زوجات، وأن عيسو أخا يعقوب جمع بين خمس زوجات، كذلك عدد.

(ب) التعدد عند اليهود

لا ينكر اليهود اليوم ما سجله التاريخ، وما ورد في كتاب العهد القديم والتلمود من أن تعدد الزوجات كان مباحاً في شريعة موسى، ومطلقاً من كل قيد أو حد مع إباحة اتخاذ السراري دون تحديد للعدد أيضاً، فجدعون أحد أنبيائهم جمع بين نساء كثيرات لا حصر لهن ولدن له سبعين ولداً، وتقول بعض المراجع العلمية ـ كما هو في عقيدة اليهود الضالين ـ: إن داود عليه السلام جمع بين ٩٩ زوجة، وطمع في زوجة أحد قواده وسعى في قتله ليتزوجها وقد عاتبه الرب في ذلك. كما عدد سليمان زوجاته فوصل عددهن إلى المئات بين الزوجات الشرعيات والإماء. ولم يلحق بسليمان اللوم إلا عند مطاولته لإحدى زوجاته في إقامة الشعائر المخالفة للدين. وأنا أرى أن هذه أكذوبة إسرائيلية لأن هذا يستحيل على الرجال العاقلين فما بالنا إذا كان داود وسليمان نبيين. كما جمع إينا ملك يهود بين أربع عشرة زوجة.

نظام التعدد في الإسلام:

اتفق العلماء على أن الدين مركب من أشياء أربعة: ثلاثة منها لا تتطور مهما كانت الأسباب والظروف والأحوال في الماضي أو الحاضر أو المستقبل، بل تبقى ثابتة وراسخة كرسوخ الجبال في الأرض وهي: العقائد أو (المبادئ) والتعاليم أو (الدساتير) والشرائع أو (النظم)

وواحد فقط هو القابل للتغيير والتحويل والتبديل وفق الظروف والأحوال والأزمان وتطور العلم والتقدم الحضاري والتكنولوجي والتفتح العقلي، حيث لا تبقى على حال من الأحوال الثابتة، ومع تغيره وتطوره وتبدله إلا أنه يبقى محافظاً على كينونته وفق الشارع المقدس لا يحيد عنه قيد أنملة وهو: (التطبيق الخارجي للأحكام).

لكونه له ارتباط وثيق بالماديات ولكون الماديات متطورة ومتبدلة ومتغيرة، يتغير ويتطور التطبيق الخارجي للأحكام الإسلامية، ولذلك نرى الفقهاء يحكمون حسب تطور البشر على امتداد الزمان وفق ما يرونه صالحاً وموافقاً لحكم اللّه سبحانه وتعالى ومبادئ الأنبياء والرسل وأهل البيت عليهم السلام والأصحاب رضي الله عنهم، ولا يقف الفقهاء من ذلك الحكم المتطور والمتغير موقف المحايد لكونه مخالفاً لبنود الشريعة السماوية المحمدية.

وقد عرف الناس قبل أربعة عشر قرناً مغزى الكثير من السنن الكونية، والمبادئ العلمية والأخلاقية والتربوية والاقتصادية التي سنها النظام الإسلامي الحنيف وخصوصاً ما يتعلق بنظام (الأسرة) المسلمة قبل الإسلام وبعده. وإلى أن تقوم القيامة.

فتشريع نظام (تعدد الزوجات) كان نظاماً معمولاً به قبل الإسلام بطريقة غوغائية مخالفة للفطرة والأخلاق والعقل فقد كان يحق للرجل أن يتزوج من النساء ما يشاء من العدد بلا مبرر للتعدد، بل تبعاً لأهوائه في قضاء شهواته الجنسية، ولما جاء النظام الإسلامي عالج هذا الموضوع الحيوي معالجة حكيمة بحيث لم يمنع تعدد الزوجات، وإنما حدده وأطره وقيده بقيود شرعية واقتصادية وجسمية معروفة.

بل كان أول عمل إصلاحي قام به الدين الإسلامي هو

تحديد (التعدد) فقد أمر الرسول الأعظم محمد ﷺ غيلان بن أسلمة أن يطلق ستة من نسائه، وجاء في الأثر عن الصادق: أنه سئل عن مجوسي، أسلم وله سبع نسوة أسلمن معه كيف يصنع؟ قال يمسك أربعاً ويطلق ثلاثاً.

وثاني عمل إصلاحي قام به الدين الإسلامي على صعيد (التعدد) اشترط شروطاً شرعية واعتبرها المسوغ الشرعي لنظام (التعدد) منها. العدالة في المعاملة والنفقة حيث نهى الشارع المقدس الزوج عن التمييز في المعاملة بين الزوجات بأي شكل من الأشكال. جاء في الأثر عن رسول اللّٰه ﷺ أنه قال: من كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما في القسم من نفسه وماله جاء يوم القيامة مغلولاً مائلاً شقة حتى يدخل النار[1].

إن اللّٰه سبحانه وتعالى أوجب على الرجل أن يراعي العدالة والإنصاف في سلوكياته نحو زوجاته، ووقف موقفاً مخالفاً لمن لا تكون عنده المقدرة المالية والجسمية والإدارية، والعقلية القادرة على العدالة والإنصاف، أن لا يقحم نفسه في هذه المعركة لأنه سوف يكون مأثوماً على أي حال.

بل حرم بعض الفقهاء نظام (التعدد) إذا كان الرجل يعلم من نفسه عدم العدالة الكاملة مع نسائه.

وهذا معناه أن الذي يسوغ له التعدد هو ذلك الرجل الحازم العادل القوي إدارياً، الذي يخاف اللّٰه والآخرة والحساب إذا وقف بين يدي جبار السماوات والأرض في المملكة الإلهية غداً.

---

(١) (أخرجه الترمذي في السنن ج٤ ص٥٠).

دروس في آية التعدد:

القارئ لتفاسير المسلمين يخرج بحقيقة واضحة ليس عليها غبار، بل هي واضحة كوضوح الشمس في رابعة النهار، ولا يجهلها أحد وهي إن الإسلام عبر هذه الآية: ﴿... فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ﴾[1].

يفهم منه أنه أباح (التعدد) وحدده بشروط وبعدد معين، وأنه فضل الاكتفاء بواحدة خوفاً من عدم تحقيق العدالة، ومنع الرجل أن يقحم نفسه في مهب هذه المعركة الضروس إذا كان غير قادر على إيجاد (العدالة) في الأُسرة، هذا أولاً.

وثانياً: أفادت الآية الكريمة اشتراط القدرة على الإنفاق على الزوجة الثانية وأولادها، بالإضافة إلى أن لا يحرم الأسرة الأولى حقوقها المالية والعاطفية والجنسية وغير ذلك، بناء على قوله تعالى: ﴿أن لا تعولوا﴾. أي أن لا تكثر عيالكم، بل واجب على الرجل أن يعول الجميع مادياً وعاطفياً أيضاً.

ثالثاً: أن لا يميل الرجل كل الميل مع الزوجة الثانية أو الثالثة ويترك الأولى أو الثانية معلقة في الهواء، لا للأرض ولا للسماء أي لا هي ذات زوج ولا هي مطلقة، كما يفعل بعض المغفلين الذين أساؤوا لنظام (التعدد) بزواجهم الخاطئ، حيث أعرف من القصص المزمنة للعيون مالا يقف عند حد، وكم وكم أُسرة انهارت بسببهم، وكم وكم زوجة أقدمت على الخيانة الزوجية والفجور والمحرمات بسبب زواجهم

---

(١) (سورة النساء/٣).

الخاطئ، لأنهم نسوا الزوجة الأولى وأهملوا أولادهم وزوجاتهم، والحال أن ليس كل الرجال سواء وليست كل النساء سواء.

وهناك شريحة فهمت من لفظة (العدالة) العدالة المادية فقط، وهو بطبيعة الحال فهم خاطئ، إذ المقصود بالعدالة هنا، العدالة الكاملة من الماديات والمعنويات مع الاستطاعة، وفي اعتقادي: أن الرجل العاقل والمدرك لخطر ترك المرأة (كالمعلقة) يستطيع أن يعدل حتى في العدالة العقلية والعاطفية فيغدق على زوجاته الحنان والعاطفة والماديات أيضاً.

كما يقول تعالى: ﴿فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ﴾.

كما هو حال الأنبياء والأوصياء والعلماء (رضوان اللّه عليهم).

رابعاً: من المعلوم في الدين بالضرورة أن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم مفسر لكتاب اللّه، وأنه لا يفعل حراماً، ولا يسمح بحرام، ولا يقر عليه، وقد ثبت أن العرب الذين دخلوا في الإسلام كان كثير منهم تحته أكثر من أربع زوجات، فمنهم من كان عنده ست، ومنهم من كان عنده ثمان، ومنهم من كان عنده عشر فأمرهم أن يختار كل واحد أربعاً من زوجاته ويفارق سائرهن، ولو كان التعدد حراماً بنص هاتين الآيتين لأمرهم أن يختاروا واحدة منهن ويفارقوا سائرهن.

ومن الثابت أن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم قد عدد زوجاته، وأن أصحابه قد عددوا الزوجات في حياته وعلى مسمع منه وعلم، ولم ينكر عليهم، فإذا قيل أن تعدد زوجات النبي ﷺ خاص به مع أن خصوصيته في الزيادة على الأربع لا في الزيادة على واحدة بإجماع المسلمين فكيف أقر النبي ﷺ تعدد زوجات أصحابه؟ وكيف رضي بذلك وسكت عنه؟

ولا أعتقد أن عاقلاً يزعم أن أصحابه والتابعين وجماهير المسلمين خلال أربعة عشر قرناً لم يفهموا هاتين الآيتين حق الفهم، وأن اللَّه ادخر هذه الفضيلة لأصحاب هذا الفهم، إن قال أحد مثل هذا حكم بنفسه على عقله.

في اعتقادي أن الذين قالوا مثل هذا ليسوا من الجهل والغباوة إلى هذا الحد، ولكنهم بين فريقين: بين مخلص حسن النية رأى شدة هجوم الغربيين على نظام التعدد في الإسلام، فظن أنه بمثل هذا القول يخلص الإسلام مما يتهمونه به، ومثل هذا ضعيف الإيمان ضعيف الشخصية، لا يثق بما عنده، ويخشى ما عند أعدائه، فينهزم أمامهم لأول حملة مصطنعة! وأرى أن عصر هؤلاء ولى، وأن الغربيين قد أصبحوا بحاجة إلى ترميم بنيانهم المتداعي، فلم يعودوا يصلحون للهجوم على الناس... ولم يعودوا يخيفون من يهاجمون..

وبين آخر سيئ النية يريد أن يخدع المسلمين عن دينهم، فيزين لهم التبرؤ مما فعله رسولهم وصحابته وجماهير ملايين المسلمين مدة أربعة عشر قرناً، بحجة أنهم لم يفهموا القرآن كما ينبغي، ومثل هذا مهتوك الستر لا يمكن أن يخدع أحداً، وقد أصبح المسلمون من الثقة بدينهم، والوعي لدسائس خصومهم بما لا تنطلي عليهم مثل هذه الدسائس، ولا هاتيك التحريفات!.

وكلنا يعلم أن رسول اللَّه ﷺ اختار في حياته المدنية بعض الأرامل من النساء زوجات له، وكانت أكثر نسائه من الأرامل والعوانس، وكان لهن في الغالب أبناء من أزواجهن السابقين، والمرأة البكر الشابة الوحيدة التي تزوجها النبي ﷺ هي عائشة التي كانت تفتخر بذلك.

ولقد ضرب الرسول ﷺ في تعامله مع زوجاته أروع ألوان العدالة ولم يميز إطلاقاً بينهن في التعامل.

سأل عروة بن الزبير خالته عائشة عن أسلوب تعامل الرسول ﷺ مع نسائه فأشارت إلى أنه ﷺ لم يفضل أيا منهن على غيرها، وتعامل مع الجميع بالعدالة والمساواة نادراً أن يمر يوم في حياته ولم يتفقد جميع نسائه ولو بالسلام عليهن.. وإذا أراد أن يخلو يخبر من كانت الليلة لها فيستجيزها فإن أجازت ذهب وإلا فلا.

وينقل أنه أيام مرضه وعدم قدرته على الحركة كان ينقل فراشه في كل ليلة إلى من كانت الليلة ليلتها.

وكان الإمام علي عليه السلام أيام كانت له نساء متعددات لا يتوضأ إلا في بيت التي لها اليوم أو الليلة.

التعدد ضرورة اجتماعية:

مما لا شك فيه - عزيزي القارئ - أن الإسلام دين الحق والاطمئنان والثقة معاً لأنه يقوي النفس بالإيمان والعلم والأخلاق والتعاليم الحقة التي توصل-الإنسان- إلى ساحة الأمان في الدارين (الدنيا والآخرة) مما يجعله يتفتح على حياة الواقع، فيحس بالأمة ومشكلاتها المتفاقمة، ويحمله مسؤولية الإصلاح الجذري في الحياة الإنسانية.

فالإنسان المؤمن مسؤول عن تغيير واقعه المأساوي الفاسد كماً وكيفاً، حيث يحتم علينا ديننا كرساليين، وكمؤمنين بقيم السماء وتعاليم الأنبياء عليهم السلام أن نسعى لإيجاد الحلول المناسبة للمشكلات المتفاقمة في مجتمعنا الإسلامي اليوم، وليس من الإصلاح أن يرتفع مستوى معيشتنا

إن لم يرتفع مستوى همتنا على إيجاد الحلول، ورفع آلام المحتاجين الذين ينظرون لنا بنظرة المنقذين نحو حياة أفضل.

نتيجة تراكم الوضع الفاسد في مجتمعنا الإسلامي، وبالخصوص على صعيد تزايد العوانس في المجتمع بسبب تفاقم الأخطار، وتحمل المسؤوليات.

إن كل مجتمع يتزايد فيه عدد العوانس يزداد فيه نسبة الجرائم والمنكرات والفساد، وهذه الأوضاع المزرية بطبيعة الحال تناط مسؤوليتها على أعناق حملة الدين والفهم والوعي، هم المسؤولون عن إيجاد الحلول المناسبة والعلاجات الشاملة لكل مشكلات الأُمة والمجتمع الإسلامي وإلا فإنهم محاسبون يوم القيامة أشد الحساب. يقول تعالى مهيباً بالمسلمين أن يتحملوا مسؤولياتهم الدينية والإصلاحية:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ..﴾[1].

ويبدو من خلال هذه الآية أن وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تعني السعي الحثيث، وبذل قصارى الجهد، وصب الجهود في بوتقة واحدة من أجل إصلاح الأرض بمن عليها وإقامة المجتمع الصالح، ولا يتحقق ذلك إلا بالقضاء على بواعث الفساد في الأرض، وإن بقاء الفتاة إلى عمر متأخر بدون زواج خطر يهدد المجتمع الإسلامي والأُسرة المسلمة بالانهيار والسقوط في وحل الرذيلة والمنكر والانحراف، لذلك فإن الزواج وتعدده ضرورة اجتماعية ملحة اليوم.

---

(١) (سورة آل عمران ١٠٤).

وإليك بعض المبررات الاجتماعية:

١ـ عند زيادة النساء على الرجال في الأحوال العادية، كما هو الشأن في كثير من البلدان كشمال أوروبا، فإن النساء فيها في غير أوقات الحروب وما بعدها تفوق الرجال بكثير. يقول بعض المتخصصين في هذا المجال: قال لي طبيب في دار للتوليد في هلسنكي (فنلندا) أنه من بين كل أربعة أطفال أو ثلاثة يولدون يكون واحد منهم ذكراً والباقون إناث.

ففي هذه الحالة يكون التعدد أمراً واجباً وأخلاقياً واجتماعياً، وهو أفضل بكثير من تسكع النساء الزائدات عن الرجال في الطرقات لا عائل لهن ولا بيت يؤويهن، ولا يوجد إنسان يحترم استقرار النظام الاجتماعي يفضل انتشار الدعارة على تعدد الزوجات، إلا أن يكون مغلوباً على هواه، كأن يكون رجلاً أنانياً يريد أن يشبع غريزته الجنسية دون أن يحمل نفسه أي التزامات أدبية أو مادية نحو من يتصل بهن، ومثل هؤلاء خراب على المجتمع، وأعداء للمرأة نفسها، وليس مما يشرف قضية الاقتصار على زوجة واحدة أن يكونوا من أنصارها، وحياتهم هذه تسخر منهم ومن دعواهم.

ومنذ أوائل هذا القرن تنبه عقلاء الغربيين إلى ما ينشأ من منع تعدد الزوجات من تشرد النساء وانتشار الفاحشة وكثرة الأولاد غير الشرعيين، وأعلنوا أنه لا علاج لذلك إلا السماح بتعدد الزوجات.

فقد نشرت جريدة (لا غوص يبكلي ركورد) في عددها الصادر بتاريخ ٢٠ نيسان ١٩٠١ نقلاً عن جريدة (لندن تروث) بقلم إحدى السيدات الانجليزيات ما يلي:

« لقد كثرت الشاردات من بناتنا، وعم البلاء، وقل الباحثون عن

أسباب ذلك، وإذ كنت امرأة تراني أنظر إلى هاتيك البنات وقلبي يتقطع شفقة عليهن وحزناً، وماذا عسى يفيدهن بثي وحزني وإن شاركني فيه الناس جميعاً؟! لا فائدة إلا في العمل بما يمنع هذه الحالة الرجسة، ولله در العالم الفاضل (تومس) فإنه رأى الداء ووصف له الدواء الكامل الشافي وهو «الإباحة للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة» وبهذه الوسيلة يزول البلاء لا محالة وتصبح بناتنا ربات بيوت، فالبلاء في إجبار الرجل الأوروبي على الاكتفاء بامرأة واحدة.

إن هذا التحديد بواحدة هو الذي جعل بناتنا شوارد، وقذف بهن إلى التماس أعمال الرجال، ولا بد من تفاقم الشر إذا لم يبح للرجل التزوج بأكثر من واحدة.

فعدد الرجال المتزوجين الذين لهم أولاد غير شرعيين أصبحوا كلاً وعاراً وعالة على المجتمع، فلو كان تعدد الزوجات مباحاً لما حاق بأولئك الأولاد وأمُهاتهم ما هم فيه من العذاب الهون، ولسلم عرضهن وعرض أولادهن.. إن إباحة تعدد الزوجات تجعل كل امرأة ربة بيت وأم أولاد شرعيين» .

وتدل الإحصائيات التي تنشر في أوروبا وأمريكا على ازدياد نسبة الأولاد غير الشرعيين زيادة تقلق الباحثين الاجتماعيين، وهؤلاء ليسوا إلا نتيجة اقتصار الرجل على امرأة واحدة، وكثرة النساء اللاتي لا يجدن طريقاً مشروعاً للاتصال الجنسي.

٢ـ عند قلة الرجال عن النساء قلة بالغة نتيجة الحروب الطاحنة، أو الكوارث العامة. وقد دخلت أوروبا حربين عالميتين خلال ربع قرن، توفي فيهما ملايين الشباب، وأصبحت جماهير من النساء ما بين فتيات وما بين متزوجات، قد فقدن أزواجهن، وليس أمامهن ـ ولو وجدن

عملاً ـ إلا أن يتعرفن على المتزوجين الذين بقوا أحياء، فكانت النتيجة أن عملن بإغرائهن على خيانـة الأزواج لزوجـاتهن. أو انتـزاعهم مـن أحضان زوجاتهن، وليتزوجن بهم.

وقد وجدت النساء المتزوجات في هذه الأحوال من القلق، وتجـرع الهجر والحرمان ما يفوق مـرارة انضـمام زوجـة أخـرى شـرعية إلى كـل واحدة منهن، وقامت في بعض بلاد أوروبا، وبخاصـة في المانيـا جمعيـات نسائية تطالب بالسماح بتعدد الزوجات، أو بتعبير أخف وقعاً في أسماع الغربيين وهو " إلزام الرجل بأن يتكفل امرأة أخرى غير زوجته.

وضرورات الحروب ونقصان الرجال فيها لا تدع مجالاً للمكابرة في أن الوسيلة الوحيدة لتلافي الخسارة البالغة بالرجال هو السـماح بتعـدد الزوجات.

وهذا الفيلسوف الانجليزي (سبنسر) برغم مخالفتـه لفكـرة تعـدد الزوجات، يراها ضرورة للأمة التي يفنى رجالها في الحروب.

يقول (سبنسر) في كتابه (أُصول علم الاجتماع):

إذا طرأت على الأمة حـال اجتاحـت رجالهـا بـالحروب، ولم يكـن لكل رجل من الباقين إلا زوجـة واحـدة، وبقيـت نسـاء عديـدات بـلا أزواج، ينتج عن ذلك نقص في عدد المواليد لا محالة، ولا يكون عددهم مساوياً لعدد الوفيات فإذا تقاتلت أمتان مع فرض أنهمـا متسـاويتان في جميع الوسائل المعيشية وكانت إحـداهما لا تسـتفيد مـن جميـع نسـائها بالاستيلاد، فإنها لا تستطيع أن تقـاوم خصـيمتها الـتي يسـتولد رجالهـا نساءها، وتكون النتيجة أن الأمة الموحدة للزوجات تفنـى أمـام المعـددة للزوجات » .

ونحن نقول زيادة على هذا إن الأُمم المتحاربة ولو كانت كلها تذهب إلى وحدة الزوجة، إلا أن الأمة المغرقة في الترف هي التي تتعرض للفناء أمام الأمة التي هي أقل حضارة وأقرب إلى الفطرة، لأن نساء الأمة المتحضرة المغرقة في الترف تميل دائماً إلى الإقلال من النسل كما هو في فرنسا، بخلاف الأمة الأخرى فإنها تنجب أكثر كما هو في روسيا، فلا بد للأمة الأولى من أن تلجأ إلى تعدد الزوجات لتستدرك نقصان التناسل فيها.

ضرورات التعدد الشخصية:

في اعتقادي أن كل رجل عنده غريزة التعدد فطرة جبل عليها، فرغبته تدعوه إليها، ولكن قد تتاح لشخص الظروف والأسباب فيقدم عليها وقد تمنع شخصاً آخر فيقف متحسراً متمنياً ذلك، وهناك بعض الظروف القاهرة التي لا مناص للفرار منها شئنا أم أبينا وهي كما يلي:

١ ـ أن تكون زوجته عقيماً، وهو يحب الذرية، ولا حرج عليه في ذلك، فحب الأولاد غريزة في النفس الإنسانية، ومثل هذا ليس أمامه إلا أحد أمرين: إما أن يطلق زوجته العقيم، أو أن يتزوج أخرى عليها، ولا شك في أن الزواج عليها أكرم بأخلاق الرجال ومروءاتهم من تطليقها، وهو في مصلحة الزوجة العاقر نفسها، وقد رأينا بالتجربة أنها ـ في مثل هذه الحالة ـ تفضل أن تبقى زوجة ولها شريكة أخرى في حياتها الزوجية، على أن تفقد بيت الزوجية، ثم لا أمل لها بعد ذلك فيمن يرغب في الزواج منها بعد أن يعلم أن طلاقها كان لعقمها، هذا هو الأعم الأغلب، إنها حينئذ مخيرة بين التشرد أو العودة إلى بيت الأب، وبين البقاء في بيت زوجها لها كل حقوق الزوجة الشرعية وكرامتها الاجتماعية، ولها ما للزوجة الثانية من حقوق ونفقات.

نحن لا نشك في أن المرأة الكريمة العاقلة تفضل التعدد على التشرد، ولهذا رأينا كثيراً من الزوجات العقم يفتشن لأزواجهن عن زوجة أخرى تنجب لهم الأولاد.

٢ـ أن تصاب الزوجة بمرض مزمن أو معد أو منفر بحيث لا يستطيع معه الزوج أن يعاشرها معاشرة الأزواج، فالزوج هنا بين حالتين: إما أن يطلقها وليس في ذلك شيء من الوفاء ولا من المروءة ولا من الكرم والأخلاق، وفيه الضياع والمهانة للمرأة المريضة معاً، وإما أن يتزوج عليها أخرى ويبقيها في عصمته، ولها حقوقها كزوجة، ولها الإنفاق في كل ما تحتاج إليه من دواء وعلاج، ولا يشك أحد في أن الحالة الثانية أكرم وأنبل، وأضمن لسعادة الزوجة المريضة وزوجها على السواء.

٣ـ أن يشتد كره الزوج لها بحيث لم ينفع معه علاج التحكيم والطلاق الأول ولا الثاني، وما بينهما من (هدنة) العدة التي تمتد في كل مرة ثلاثة أشهر تقريباً، وهنا يجد الزوج نفسه أيضاً بين حالتين: إما أن يطلقها ويتزوج غيرها، وإما أن يبقيها عنده لها حقوقها المشروعة كزوجة، ويتزوج عليها أخرى، ولا شك أيضاً في أن الحالة الثانية أكرم للزوجة الأُولى، وأكثر غرماً على الزوج، ودليل على وفائه ونبل خلقه، وهو في الوقت نفسه أضمن لمصلحة الزوجة خصوصاً بعد تقدم السن وإنجاب الأولاد.

٤ـ أن يكون الرجل بحكم عمله كثير الأسفار، وتكون إقامته في غير بلدته تستغرق في بعض الأحيان شهوراً، وهو لا يستطيع أن ينقل زوجته وأولاده معه كلما سافر، ولا يستطيع أن يعيش وحيداً في سفره تلك الأيام الطويلة، وهنا يجد نفسه كرجل بين حالين، إما أن يفتش عن

امرأة يأنس بها عن طريق غير مشروع، وليس لها حق الزوجة، ولا لأولادها ـ الذين قد يأتون نتيجة اتصال الرجل بها ـ حقوق الأولاد الشرعيين، وإما أن يتزوج أخرى ويقيم معها إقامة مشروعة في نظر الدين والأخلاق والمجتمع، وأولادها منه أولاد شرعيون يعترف بهم المجتمع، وينشؤون فيه كراماً كبقية المواطنين، وأعتقد أن المنطق الهادئ والتفكير المتزن، والحل الواقعي، وكل ذلك يفضل التعدد على الحالة الأولى.

٥ـ بقيت حالة أريد أن أكون فيها صريحاً أيضاً، وهي أن يكون عنده من القوة الجنسية مالا يكتفي معه بزوجته، إما لشيخوختها، وإما لكثرة الأيام التي لا تصلح فيها للمعاشرة الجنسية ـ وهي أيام الحيض والحمل والنفاس والمرض وما شابهها ـ وفي هذا الحالة نجد الأولى والأحسن أن يصبر على ما هو فيه، ولكن: إذا لم يكن له صبر فماذا يفعل؟ أنغمض أعيننا عن الواقع وننكره كما تفعل النعامة؟ أم نحاول علاجه؟ وبماذا نعالجه؟ نبيح له الاتصال الجنسي المحرم؟ وفي ذلك إيذاء للمرأة الثانية التي اتصل بها، وضياع لحقوقها وحقوق أطفالها، عدا ما فيه من منافاة لقواعد الدين والأخلاق؟ أم نبيح له الزواج منها زواجاً شرعياً تصان فيه كرامتها، ويعترف لها بحقوقها، ولأولادهما بنسبهم الشرعي معه.

هنا تتدخل مبادئ الأخلاق والحقوق، فلا نتردد في تفضيل الحالة الثانية على الأولى ولا بد لي هنا من ذكر حديث جرى بين أحد أساتذة العلم والفكر، وبين أحد الغربيين يلقي الضوء على هذا الموضوع..

يقول: حينما سافرت إلى أوروبا في مجموعة من جامعة دمشق في رحلة استطلاعية للجامعة والمكتبات العامة، كان ممن اجتمعت بهم في

لندن (البروفسور إندرسون) رئيس قسم قوانين الأحوال الشخصية الشرقية في معهد الدراسات الشرقية في جامعة لندن، وجرى بيننا ـ فيما جرى من الأحاديث ـ نقاش حول تعدد الزوجات في الإسلام.

سألني أندرسون: ما رأيك في تعدد الزوجات؟

قلت له: نظام صالح يفيد المجتمعات في كثير من الظروف إذا نفذ بشروطه!

قال: أنت إذاً على رأي محمد عبده بوجوب تقييده؟

قلت: قريباً من رأيه لا تماماً، فإني أرى أن يقيد بقدرة الزوج على الإنفاق على الزوجة الثانية ليتمكن تحقيق العدل بين الزوجات كما طلب الإسلام.

قال: وهل مثلك في هذا العصر يدافع عن تعدد الزوجات؟

قلت: إني أسألك فأجبني بصراحة! من كانت عنده زوجة فمرضت مرضاً معدياً أو منفراً لا أمل بالشفاء منه وهو في مقتبل العمر والشباب فماذا يفعل؟ فلا يوجد أمامه إلا ثلاث حالات: إما أن يطلقها، أو يتزوج عليها، أو أن يخونها ويتصل بغيرها اتصالاً غير شرعي؟

قال: بل هناك رابعة، وهي: أن يصبر ويعف نفسه عن الحرام.

قلت: وهل كل إنسان يستطيع أن يفعل ذلك؟

قال: نحن المسيحيون نستطيع أن نفعل ذلك بتأثير الإيمان في نفوسنا.

فتبسمت وقلت: أتقول هذا وأنت غربي؟ أنا أفهم أن يقول هذا القول مسلم أو مسيحي شرقي، فقد يستطيع أن يكف نفسه عن الحرام،

لأن محيطه لا يهيئ له وسائل الاختلاط بالمرأة في كل ساعة يشاء وأنى يشاء، ولأن تقاليده وأخلاقه لا تزالان تسيطران على تصرفاته، ولأن الدين لا يزال له تأثير في بلاده.

أما أنتم الغربيون الذين لم تتركوا وسيلة للاتصال بالمرأة والاختلاط بها والتأثير عليها وإغرائها إلا فعلتموها، حتى لم تعودوا تستطيعون أن تعيشوا ساعة من نهار أو ليل دون أن تروا المرأة وتخالطوها منذ تغادروا البيت حتى تعودوا إليه، أنتم الذين يضج مجتمعكم بالأندية والبارات والمراقص، وتغص شوارعكم بالأولاد غير الشرعيين.. تدعون أن دينكم يمنعكم من خيانة الزوجة المريضة، وكيف ذلك وخيانات الزوجات الجميلات الصحيحات الشابات تملأ أخبارها أعمدة الصحف والكتب، وتصم الآذان، وتشغل دوائر القضاء؟

قال: إنني أخبرك عن نفسي، فأنا أستطيع أن أضبط نفسي وأصبر.

قلت: حسناً، فكم تبلغ نسبة الذين يضبطون أنفسهم من المسيحيين الغربيين أمثالك بالنسبة إلى الذين لا يصبرون.

قال: لا أنكر أنهم قليلون جداً.

قلت: وهل ترى أن التشريع يوضع للقلة التي يمكن أن تعد بعدد الأصابع؟ أم للكثرة والجمهرة من الناس؟ وما فائدة التشريع الذي لا يستطيع تطبيقه إلا قلة محدودة؟

فسكت وانتهت المناقشة فيما بيننا.

أقول هذا لأبين أن الذين يزعمون بأن الغريزة الجنسية ليست كل شيء في حياة الإنسان، وأن هنالك قيماً أثمن وأغلى كالوفاء والصبر يحرص عليها الحر الكريم، وأن تبرير التعدد بالحاجة الجنسية هو هبوط

بالإنسان إلى مستوى الحيوان.. هذا الكلام وأمثاله، كلام جميل، وخيال خصب، يقبل لو قيل في ظل غير هذه الحضارة، ومن غير هؤلاء الذين يتكلمون هذا الكلام... لو قيل من عباد زهاد تعف ألسنتهم وأقلامهم وأعينهم عما حرم اللّه من زينة المرأة ومفاتنها، وأهواء الحياة وشهواتها! أما من أولئك فلا، وخير لهم أن يحترموا واقع الحياة التي تعيشها الإنسانية، ويعالجوا مشاكلها بصراحة الحكيم المجرب، لا بمراوغة المجادل المكابر[1].

مضار عدم التعدد:

لقد عاش الإسلام ومبادئه الحقة ما يقارب أربعة عشر قرناً من الزمن، له هيمنته وحيويته ونظامه المتميز على سائر الأديان والأنظمة الأرضية والسماوية، ومسيطراً على نصف الكرة الأرضية، حيث عاشت في ظله الشعوب الإسلامية، والمرأة بالخصوص في سعادة من العيش، ومناعة من الأمن، وسؤدد من المقام بين سائر البشر والأُمم، وما أسرع ما انقلبت تلك السعادة إلى ويلات، وتلك المناعة إلى مذلات وتلك الأخلاق إلى مفاسد وانحرافات، فأصبحت المرأة تعيش أسوأ ظروف عيشها من الاحتقار والمهانة وغير ذلك. فبقيت أعداد النساء في تزايد مستمر لا يقف عند حد من الحدود، فتفشت فيهن روح الخمول والكسل وانتشرت في أوساطهن الإغراءات والموضة القاتلة والخيانة الزوجية، وبقي بعضهن يعانين من شبح العنوسة القاتل.

ولهذا تفشت في مجتمعاتنا الخيانة الزوجية، والعلاقات الغرامية، والفساد الذي يندى له الجبين، وكل ذلك بسبب تزايد عدد العوانس

---

(١) المصدر السابق ص٨٥.

في المجتمع الإسلامي.

حيث لا يوجد مجتمع إلا وفيه ما يربو على الألف من العوانس.. وهذه الظاهرة ليست متمركزة في مكان معين أو بلد معين إنما هي من أفدح المشكلات الاجتماعية التي انتشرت في كل بلد، وفي كل زمان وفي أغلب البيوت ولا يكاد يخلو منها مجتمع، حيث كتب على بعض النساء أن يعشن حياة العنوسة المؤبدة، ويقضين جل وقتهن في طي النسيان والحرمان، وفي الحقيقة والواقع الذي لا مراء فيه أن إحدى الأسباب الرئيسية التي تسببت في تفاقم المسألة هي فقد نظام (التعدد) في المجتمع الإسلامي، وإنني لأستغرب من امرأة لا تطلب من زوجها أن يمضي في قافلة (التعدد) وترضى من زوجها أن يمضي في قافلة العاهرات والزناة الذين يهتكون الأعراض بسفراتهم المتواصلة من بلد إلى بلد!!.

أما وقفت هذه المرأة مع نفسها وحاسبتها عن التصرف في حق اللّه وحق المجتمع الإسلامي؟

أما وقفت مع نفسها لتنظر أيهما أفضل عند اللّه سبحانه وتعالى وأجلب للرزق والثواب، الزواج من امرأة فاتها القطار، وأصبحت عانساً تنتظر من يخلصها من كابوس العنوسة القاتل؟ أو ترفض ذلك بحجة الناس وكلامهم، لا شك أن المرأة العاقلة المثالية المؤمنة التى تتطلع إلى النجاة بين يدي اللّه تبارك وتعالى، وتحث زوجها على المشاركة في القضاء على بواعث الفساد الأخلاقي والخلقي عبر (تعدد الزوجات) لهي امرأة مؤمنة، عرفت مبادئ وتعاليم الدين الحنيف حق المعرفة، وسارت على منهج النساء اللواتي سطر التاريخ البشري والإسلامي أسماءهن وحياتهن فأصبحن نماذج مثالية وقدوات حسنة لكل امرأة تريد العفة والحياة الزوجية الكريمة والسعادة الأبدية.

والذي لا شك فيه أن المرأة في هذا العصر العصيب تدرك خطر العنوسة القاتل، وكل امرأة تدرك هذا الخطر فهي دائماً تبتهل للّه سبحانه وتعالى أن لا يجعل بنتها أو بناتها في هذا المأزق العصيب لأن حياة العوانس في بلاد الإسلام إنذار وتنبيه لمن هن على أعتاب الحياة، حتى يتخذن من العانسات عبرة وعظة ولا يسرن على الدرب الذي أوصلهن إلى محطة العنوسة القاتلة. ولو أسطر لك قصص العنوسة وخطرها الفادح لما وقفت عند حد معين، ففي كل يوم تطالعنا الصحف والمجلات والكتب الإسلامية وغيرها، بقصص مرعبة تبين أن المجتمعات الإسلامية مقبلة على خطر محدق بسبب العنوسة مما يسبب تزايد عدد ارتكاب الجرائم وانتشار الفساد في الأرض مما سوف تعرفه في مظانه في الصفحات القادمة إن شاء اللّه تعالى.

٢ـ ومن مضار عدم التعدد، أن تغطي المرأة على فطرة الرجل، التي جبلت على حب التعدد من النساء، وليس هناك رجل ينكر هذه الحقيقة أنه يحب أن يتزوج أكثر من واحدة، لكن ينقسم الرجال إلى أقسام منها: رجل لا يملك القدرة المالية، وثانٍ لا يستطيع أن يعدل بينهما، وثالث، يخشى من زوجته وهم كثيرون!!

ورابع يسير بالتعدد المغلوط عبر سفراته ورحلاته من بلد إلى بلد حيث يقضي وطره هنا وهناك.

ومما لا شك فيه أن نظام (التعدد) هو النظام الذي عبره يستطيع الإنسان المؤمن أن يعبر عن حبه ويلبي نوازع فطرته السليمة، وليس عيباً أن يفصح الرجل عن كثرة حبه للنساء، كما كان ذلك واضحاً في سيرة الرسول ﷺ وأهل البيت عليهم السلام والأصحاب رضي الله عنهم.

جاء عن رسول اللّه ﷺ قوله: «حُبب إليَّ من دنياكم ثلاث،

الطيب والنساء وقرة عيني الصلاة » .

بل اعتبرتها الأحاديث من صفات المؤمنين.. يقول ﷺ: « كلما ازداد العبد إيماناً ازداد حبه للنساء » . وكلمة الإيمان هنا تدل بوضوح على أن المراد بالحب حب الزواج، لأنه من صلب الدين، وسنن المرسلين عليهم السلام ... وهذا الربط بين الإيمان والزواج إنما هو لمجرد التلبية لنداء الجنس وغريزته والوقاية من الحرام والمعصية، وإلا فالزواج من حيث هو ليس بواجب. أجل تكره العزوبة، بل وتحرم إذا قادت إلى الحرام. جاء في الرواية عنه ﷺ: ما تلذذ الناس في الدنيا والآخرة بلذة أكثر من لذة النساء، إن أهل الجنة ما يتلذذون بشيء أشهى عندهم من النكاح(١).

وقد تحدث الأنبياء والأوصياء والصحابة والتابعون والعلماء عن الجنس ولذته، ليشيروا إلى أن الحديث عنه ليس عيباً، إنما العيب في الفحش والخيانة الزوجية، والعلاقات الغرامية التي تفشت في مجتمعاتنا بصورة مرعبة جداً ، حيث تسببت في انتشار الأمراض والأوبئة ومنع نزول الخيرات والرحمات الإلهية على الأرض.

ومما لا شك فيه أن هناك أيضاً مضار كثيرة إذا لم يسر المجتمع الإسلامي على منهج الأنبياء والصالحين من أهمها ما يلي:.

العنوسة شبح مرعب:

ومن مضار عدم (التعدد) الحقيقية الملموسة في المجتمع الإسلامي العنوسة القاتلة التي باتت شبحاً مرعباً يهدد كيان الأسرة المسلمة اليوم، وسوف آخذ قارئي إلى بعض معانيها، وحقيقتها، وبعض قصصها الواقعية المأساوية.

---

(١) (نفحات محمدية ص ١٤٣).

معناها:

عنست المرأة تعنس، عنوساً وعناساً أي طال مكثها في بيت أهلها بعد إدراكها سن الزواج الشرعي والعرفي[1].

حقيقتها:

أن تتأخر المرأة عن الزواج، وتعد مشكلة عظيمة في حقها وحق أهلها، مما تنعكس هذه الحالة على وضعية المجتمع الإسلامي، حيث تحدث فيها المشكلات الأخلاقية التي لا يعالجها إلا الزواج المبكر أو التعدد، وكما أوضحت إليك ـ عزيزي القارئ ـ أن هذه المشكلة (العنوسة) لا يكاد يخلو منها مجتمع من المجتمعات الإسلامية، وإن تفاوتت البلاد في حدتها أو خفتها.

كما أن للعنوسة مساوئ ومضاعفات على هيكل البنية الاجتماعية للمجتمع الإسلامي والأمة المسلمة فهي تشيع في المجتمع الأمراض الأخلاقية والمحرمات، ورذيلتي السحاق واللواط وتعرض المجتمع الإسلامي لتفشي مختلف الأمراض النفسية، والجنسية وازدياد نسبة البطالة وحالات الاغتصاب والتفسخ الأخلاقي.

كما هو حال المجتمع الغربي وبعض الدول العربية اليوم، حيث أثبتت الإحصائيات في الولايات المتحدة الأمريكية أنه بلغ عدد النساء المغتصبات في كل سنة مائة وثمانين ألف امرأة (١٨٠٠٠٠).

وفي فرنسا (٣٠٠٠٠) ثلاثون ألف فتاة يفقدن عذرتهن بالاغتصاب في كل سنة، وجاء في تقرير للدكتور (ليربت)، وهو طبيب فرنسي: أنه

---

(١) راجع لسان العرب ج٢ ص٩٠٠.

يموت في فرنسا ثلاثون ألف نسمة بأمراض الزهري المختلفة كل عام، ويموت في أمريكا بين ثلاثين وأربعين ألف طفل بمرض الزهري الموروث كل سنة، والجدير بالذكر أن هذا المرض سببه انتشار الزنا لأن المرأة غير المتزوجة والواصلة إلى مرحلة العنوسة تمضي إلى حوانيت البغاء لإشباع رغبتها الجنسية. !!

نعم هذه حقيقة العنوسة المرة التي تنعكس ظروفها ومشكلاتها على وضعية المجتمع والأمة فتخلف آثاراً سلبية لا حصر لها ولا عد.

ومن أخطر المراحل التي تمر على الفتاة العانس أن يقف قطار الزواج في محطاته الأخيرة.. وتتطلع الفتاة فترى دقات عمرها تتقدم وشبابها يهرم وكم وكم من مرة تنتابها، وهي ترى مثيلتها ومن هم أصغر منها سناً أصبحن أمهات ومسؤولات عن بيوت وأولاد وأزواج.. كم من ألم يمزق قلبها عندما ترى هذا المنظر الحزين إنها في حزن شديد وكآبة دائمة وإن علت وجهها الابتسامة المشوبة بالضباب الكثيف.. حتى وإن جلس حولها الإخوة والأهل، أو جمعت من المال أوفره، أو وصلت من علو المنزلة أرقاها، فلن تستطيع تعويض طارق الأمس.

جاء في الحديث، نزل جبرئيل على النبي ﷺ فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام، ويقول: إن الأبكار من النساء بمنزلة الثمر على الشجر فإذا أينع الثمر، فلا دواء له إلا اجتناؤه وإلا أفسدته الشمس وغيرته الريح، وإن الأبكار إذا أدركن ما تدرك النساء فلا دواء لهن إلا البعول، وإلا لم يؤمن عليهن الفتنة، فصعد رسول الإسلام ﷺ المنبر فجمع الناس ثم أعلمهم ما أمر اللّٰه عز وجل به[1].

---

(١) الحجاب ص ٢٧.

وأما القصص الواقعية التي تعج بها ساحة المجتمع الإسلامي، وأُسرة اليوم فهي أكثر من أن تحصى، وأكتفي هنا ببعضها خوفاً من الإطناب في الموضوع.

١- أفكر في إحراق شهاداتي:

تحت هذا العنوان تحدثت إحداهن قائلة:

ظاهرة العنوسة أصبحت في هذه الأيام شبحاً مخيفاً يهدد كثيراً من الفتيات لا سيما العاملات منهن، والجامعيات اللاتي رفضن الزواج في وقته بحجة الدراسة والعمل، فكانت النتيجة القاسية أن بقين بغير زواج.. وفيما يلي نستمع إلى اعتراف بعضهن.. تقول إحداهن:

لقد كنت في مقتبل عمري أحلم بذاك القدر العالي من التعليم.. ولا أذكر أنني كنت أحلم بالرغبة في أن أصبح أماً وزوجة في المستقبل.. ولكن كان التعليم عندي يسبق كل الأهداف لدرجة أنني كنت أرفض الاعتراف برغبتي في الزواج..

وبقي الحال كذلك حتى حصلت على الماجستير، وانتهت رحلة المعاناة الدراسية، وبدأ الفراغ يتسرب إلى الأعماق.. واستيقظت على الحقيقة وهي أنني أصبحت أكثر رغبة في الزواج..

وفتح والدي الباب للخطاب.. وكلما تقدم شاب فر مدبراً لما وضعناه أنا وأبي من شروط ومواصفات قياسية، وإحقاقاً للحق فقد كان والدي أكثر تعاطفاً، معي ولا يريد إرغامي على شيء لا أريده..

ومضت ست سنوات بعد تخرجي حتى تجاوزت الثلاثين من عمري، وهنا كانت الصدمة عندما جاء آخر خطابي والذي أنشد فيه مواصفاتي.. ولكنه احتفظ لنفسه بهذا الحق.. حق وضع الشروط والمواصفات.. وقد جمع

حقائبه وانسحب حينما علم بعمري الحقيقي.. بل قالها صريحة: «لا حاجة لي بامرأة لم يعد بينها وبين سن اليأس سوى القليل».

سمعت هذا لأدرك الهزيمة المرة.. وأيقنت أنني دخلت في زمن العنوسة الذي تتحدث عنه وسائل الإعلام من حين لآخر.

واليوم، وبعد أن كنت أضع الشروط والمواصفات والمقاييس في فارس أحلامي، وكنت أتعالى يوم ذاك.. اليوم بدأوا يضعون مقاييسهم في وجهي، وهو ما دفعني أن أفكر كثيراً في أن أشعل النار في جميع شهاداتي التي أنستني كل العواطف حتى فاتني القطار.

بدأت أحمل في نفسي الحسرة على أبي الحنون الذي لم يستعن بتجاربه في الحياة في تحديد مسار حياتي.

نعم.. إن تعليمي قد زادني وعياً وثقافة، ولكن كلما ازددت علماً وثقافة ازددت رغبة في أن أكون أماً وزوجة.. لأنني أولاً وأخيراً إنسانة.. والإنسان مخلوق على فطرته.

ثم تقول: إنني أروي ذلك لكم للعبرة والعظة فقط، ولأقول:

نعم، من أجل الحياة.

من أجل الزواج.

لا، للعنوسة.

متجاوزة بهذا كله زمن الصمت.

فمن هو فارس أحلامي يا ترى؟.

٢- خذوا شهاداتي وأعطوني زوجاً:

وهذا أيضاً اعتراف من إحداهن حيث صاحت وقالت أمام جمع غفير من النساء في إحدى عيادات المرضى تقول:

خذوا شهاداتي وأعطوني زوجاً.

ثم تعترف وتقول:

السابعة من صباح كل يوم وقت يستفزني، يستمطر أدمعي.. أركب خلف السائق متوجهة صوب عيادتي، بل مدفني، بل زنزانتي، وعندما أصل مثواي أجد النساء بأطفالهن ينتظرنني، وينظرن إلى معطفي الأبيض، وكأنه بردة حرير فارسية، هذا في نظر الناس، ولكنه في نظري لباس حداد لي!!

ثم تواصل اعترافها فتقول:

أدخل عيادتي، أتقلد سماعتي وكأنها حبل مشنقة يلتف حول عنقي، العقد الثالث يستعد الآن لإكمال التفافه حول عنقي، والتشاؤم ينتابني على المستقبل.

أخيراً تصرخ وتقول:

خذوا شهاداتي ومعاطفي وكل مراجعي وجلابيب السعادة الزائفة وأسمعوني كلمة (ماما).

أسباب العنوسة:

يرجع كثير من الباحثين الأسباب الرئيسية للعنوسة للعانس نفسها، حيث هي السبب الأول والأخير في بقائها عانساً، وقد تتدخل أسباب اجتماعية وثقافية واقتصادية وأُخرى نفسية، فتسبب تفاقم مشكلة العنوسة وتزايد عددها في المجتمع الإسلامي بالخصوص.

حيث أن هناك قسماً كبيراً من الفتيات يفضل الدراسة والتعليم على الزواج، مما يجعل الفتاة تعزف عن الدخول إلى عالم الحياة الزوجية،

وبعد أن تنتهي من مراحل التعليم ترى نفسها على عتبة العنوسة المتفاقمة التي لا حل لها إلا أن تكون زوجة ثانية أو ثالثة ولعلها تكون الرابعة.

والدين الإسلامي وتعاليم السماء والأنبياء عليهم السلام لا ينهى عن التعلم، بل على العكس إنه يأمر بالعلم ويحث عليه، وكم فتاة استطاعت أن توفق بين الزواج والتعلم، إنني أعرف شريحة كبيرة من أبناء المجتمع الإسلامي قد تصل إلى نسبة ٦٠ ٪ من الرجال والنساء استطاعوا أن يوفقوا بين الزواج والتعلم.

لقد استقرأ بعض المتخصصين في مجال التربية والتعليم من مجموعة من الطلاب والطالبات وعددهم بين (١١٠) طلاب و (١١٠) طالبات، و اختبر منهم (١٠٠) من كل مجموعة، فكانت المحصلة مطابقة للنسبة المئوية لكل من الطلاب والطالبات كل على حدة أي ٤٣٪ من البنين و ٧٩٪ من البنات أن الدراسة سبب قوي من أسباب ظاهرة العنوسة، بينما رأى ٥٣٪ من البنين و٢٦٪ من الفتيات أنه سبب ثانوي، ويلاحظ في هذا الإحصاء ارتفاع نسبة الطالبات اللاتي رأين أن الدراسة سبب قوي لظاهرة العنوسة إذ إن ٧٩٪ نسبة عالية جداً.

بينما يعتقد جمع كبير من الفتيات أن التعليم الجامعي مقدم على الزواج الذي به يحصل الستر للبنت في المجتمع الإسلامي، وكثير من الأُسر تفضل زواج بناتها بعد المرحلة الثانوية، أو الجامعية حسب الظروف والأحوال وتكون الفتاة حينئذ ما بين سن ١٨ و٢٣ سنة. فتكون المحصلة مطابقة للنسبة المئوية وهي كما يلي:

السبب	قوي	ضعيف	لا أدري
١ـ حب المفاخرة والمظاهر الخادعة	٤٦	٤٥	٩
٢ـ كون الزواج يعرقل الدراسة	٤٣	٥٣	٤
٣ـ ضعف الوعي الديني بأهمية الزواج لدى الفتاة	٥٩	٣٢	٦
٤ ـ ضعف الوعي الديني بأهمية الزواج لدى ولي أمر الفتاة	٥٦	٣٦	٨
٥ ـ عدم الرغبة في الاقتران بزوج لانشغالات أهم!!	٢٥	٦١	١٤
٦ ـ التأثر بالثقافات الوافدة من المجتمعات الغربية	٦١	٣٤	٥
٧ ـ تأخر النضج الفكري لدى الجنسين لاستيعاب أهداف الزواج	٥٧	٣٥	٨
٨ ـ تغير أنماط الحياة المعاصرة	٥٥	٤٣	٢
٩ ـ تعالي الفتاة المتعلمة (الجامعية)	٧٣	٢٦	١
١٠ ـ تعالي الفتاة (الموظفة، العاملة، الثرية، الوجيهة،....)	٦٩	٢١	١٠
١١ ـ جهل الفتاة أو وليها بأحكام الإسلام و شؤون المرأة المسلمة	٦٠	٣٥	٥[١]

ولا يقف السبب الثقافي عند حد التعليم إنما هناك الكثيرات من النساء كانت هي السبب في أن تظل عانساً،

(١) راجع كتاب تأخر الزواج ص٨٥.

حيث يتقدم الشبان لخطبتها فتراهم أقل منها ثقافة ووعياً فترفض الزواج منهم، وكم مرت علي حوادث اجتماعية من هذا القبيل، حيث سألت فتاة لماذا ترفضين فلاناً أن يكون زوجاً لك؟! قالت بكل صراحة: إنه أقل مني مستوىً في ثقافته، وبعد إصرارها على الطلاق أصبحت عانساً وهي بعد لم تدخل الحياة الزوجية!!

وهناك في المجتمع الإسلامي نسبة ٣٠٪ من الفتيات يرفضن الزواج من شاب غير مثقف. !!

أسباب اقتصادية:

مما لا شك فيه أن الاقتصاد عصب الحياة البشرية اليوم، فكل شيء يرتكز عليه حتى شدة العبادة والالتزام الديني متوقف في هذه الأيام على الاقتصاد، يقول الحديث عنه ﷺ: «نعم العون على الدين الغنى»، كما جاء عنه في هذا الصدد كثير من الأحاديث التي تؤكد على طلب المال وجمعه من مصدر حلال حيث يقي الإنسان به عرضه ونفسه وأهله، مما له دور فعال في الحفاظ على الحياة البشرية، عن رسول اللّه ﷺ قال: «خير المال ما وفي به العرض».

نعم أيها الأحباب: إن الدين الإسلامي قد جاء لصنع الإنسان وبناء المجتمع الإسلامي و المحافظة على وحدته وتماسكه ومبادئه وناسه نساءً ورجالاً، وإذا ملك الإنسان ما يحتاج إليه في حياته العائلية، والاجتماعية تمكن من السير وفق مبادئ الدين، وحافظ على حقوق المجتمع... ومن الواضح أن الإسلام ينظر إلى

المسائل الاقتصادية نظراً واقعياً فلا يسلخها عن سائر أحكام الدين بل يجعلها جزءاً منه.

إن الإسلام يرى استقامة الحياة البشرية بنظام الاقتصاد، النفسية، والعائلية، والأفراد والمجتمع كل ذرة من ذراته وكل حركة من حركاته يعتمد على الاقتصاد... فلذلك لا يرى ـ الإسلام ـ للإصلاح الأخلاقي المجرد أي معنى وفائدة، إذ لا يمكن أن يكون الفقير التعيس الفاقد حاجاته الحياتية مسلماً خلقياً عملياً، مع ما يكابده من الفقر وما يعيشه من العوز والمتربة، مما يقربه إلى الكفر والإلحاد أو إلى ترك العمل بالتكاليف وارتكاب الفسوق أو عدم رعاية ما يلزم رعايته.

ولذلك كان الأئمة والأصحاب والعلماء من السلف رضي الله عنهم يحرصون على أن لا يبقى في المجتمع فقير، يشتكي الحاجة، حيث إنهم كانوا لا يدعون الفقراء يعانون شدائد الفقر المخرجة لهم من الدين والمسقطة لشخصيتهم وكرامتهم الإنسانية. واليك بعض الروايات التي تثبت ذلك:

أ ـ ما رواه أحمد بن العتمة، عن عمه قال: رأيت في المدينة رجلاً على ظهره قربة، وفي يده صحفة.. فأتيته حتى عرفته، فإذا هو علي بن أبي طالب فأتى رجلاً فأطعمه.

ب ـ قال أبو الطفيل الكناني: رأيت علياً يدعو اليتامى فيطعمهم العسل حتى قال بعض أصحابه: لوددت أني يتيم.

ج ـ خرج الحسن بن علي من ماله مرتين، وقاسم اللّه ثلاث مرات، حتى أنه كان يعطي من ماله نعلاً ويمسك نعلاً ويعطي خفاً

ويمسك خفاً.

د- وجد على ظهر الحسين بن علي يوم الطف أثر، فسألوا زين العابدين عن ذلك فقال: هذا مما كان ينقل الجراب على ظهره إلى منازل الأرامل واليتامى والمساكين.

هـ- كان علي بن الحسين يخرج في الليلة الظلماء فيحمل الجراب على ظهره، وفيه الصرر من الدنانير والدراهم وربما حمل على ظهره الطعام أو الحب، حتى يأتي باباً باباً فيقرعه ثم يناول من يخرج إليه. وكان يغطي وجهه إذا ناول فقيراً لئلا يعرفه، فلما توفي فقدوا ذلك فعلموا أنه كان علي بن الحسين. ولما وضع على المغتسل نظروا إلى ظهره وعليه مثل ركب الإبل مما كان يحمل على ظهره إلى منازل الفقراء والمساكين.. وكان يعول مئة من فقراء المدينة. وكان يعجبه أن يحضر طعام اليتامى والأضراء والزمنى والمساكين، الذين لا حيلة لهم، وكان يناولهم بيده. ومن كان له منهم عيال حمل إلى عياله من طعامه..

و- كان أبو عبد اللّه إذا ذهب من الليل شطره أخذ جراباً فيه خبز ولحم ودراهم، فحمله على عنقه، ثم ذهب به إلى أهل الحاجة من أهل المدينة فيقسمه فيهم..

ز- عن معلى بن خنيس: خرج أبو عبد اللّه في ليلة وقد ذهب من الليل شطره وهو يريد ظلة بني ساعدة، فإذا نحن بقوم نيام، فجعل يدس الرغيف والرغيفين، حتى أتى على آخرهم..

ح- كان الإمام موسى بن جعفر الكاظم يتفقد فقراء المدينة في

الليل فيحمل إليهم الزنبيل فيه العين والورق والدقيق والتمور، فيوصل إليهم ذلك، ولا يعلمون من أي جهة هو.

ط ـ عن معمر بن خلاد قال: كان أبو الحسن الرضا إذا أكل أتى بصحفة فتوضع قرب مائدته، فيعمد إلى أطيب الطعام مما يؤتى به، فيأخذ من كل شيء شيئاً، فيوضع في تلك الصحفة ثم يأمر بها للمساكين..

وعندما نقف على الأسباب الحقيقية في حياة المرأة العانس، نرى أن الحقوق من العامل الاقتصادي يشكل نسبة ٤٥٪ من المهر والمعيشة وتوفير المسكن والملبس و.. وغير ذلك.

في حين رأى ٩٢٪ من البنين و٦٩ ٪ من البنات أن غلاء المهور سبب من أسباب العنوسة.

ورأى ٦٠ ٪ من البنين و٥٠ ٪ من البنات أن غلاء المعيشة سبب قوي لتواجد العنوسة وارتفاع نسبتها في المجتمع الإسلامي. وهناك أسباب أخرى سوف نعرضها في الجدول وهي على النحو التالي:

ويتضمن هذا النموذج النقاط الأساسية التي ترجع إليها الأسباب الاقتصادية لظاهرة العنوسة أو تأخر سن الزواج، أو العزوف عن الزواج على تفاوت ملحوظ بين هذه التعبيرات الثلاثة، وتندرج باقي الأسباب الفرعية تحت الأسباب الأساسية.

وكانت الإجابات التي حصلت عليها من قسم البنين من واقع (١٠٠) نموذج منتقى على النسبة المئوية على النحو التالي:

السبب	قوي	ضعيف	لا ادري
١ـ غلاء المهور	٩٢	٨	٠
٢ـ الفقر	٦٦	٢٩	٥
٣ـ ارتفاع تكاليف الزواج فوق المستوى المتوسط	٨٩	٥	٦
٤ـ صعوبة العثور على المسكن المناسب	٥٨	٣٥	٧
٥ـ عدم توفر فرص العمل المناسبة	٦٨	٢٥	٧
٦ـ خوف التنازع بعد الزواج على مرتب الفتاة الموظفة	١٨	٦٧	١٥
٧ـ خوف الفتاة على فقد مرتب الوظيفة بسبب ترك العمل من أجل الزواج المجهول المصير	٢٣	٤٥	٣٢
٨ـ عدم القدرة على مواكبة الطفرة وآثارها في المملكة	٢٣	٤١	٣٦
٩ـ غلاء المعيشة	٦٠	٣٣	٧
١٠ـ أسباب أخرى (فضلاً) تذكر:			

هذا وقد ذكر الطلاب إضافات طفيفة أغلبها ذكرت في الأسباب الاجتماعية والثقافية المتقدم ذكرها، ولعلي أشير إلى بعضها في مكانها إن شاء اللّٰه تعالى.

وكانت الإجابات التي استخلصت من قسم البنات من (١٠٠) نموذج منتخب مختار على النسبة المئوية على النحو التالي:

السبب	قوي	ضعيف	لا ادري
١ـ غلاء المهور	٦٩	٢٦	٥
٢ـ الفقر	٤٠	٤٩	١١
٣ـ ارتفاع تكاليف الزواج فوق المستوى المتوسط	٦٥	٣٠	٥
٤ـ صعوبة العثور على المسكن المناسب	٢٨	٧٠	٢
٥ـ عدم توفر فرص العمل المناسبة	٤٥	٤٧	٨
٦ـ خوف التنازع بعد الزواج على مرتب الفتاة الموظفة	١٨	٦٨	١٤
٧ـ خوف الفتاة على فقد مرتب الوظيفة بسبب ترك العمل من أجل الزواج المجهول المصير	٢٤	٦٢	١٤
٨ـ عدم القدرة على مواكبة الطفرة وآثارها في المملكة	١٨	٥٠	٣٢
٩ـ غلاء المعيشة	٥٠	٥٠	٠
١٠ـ أسباب أخرى (فضلاً) تذكر[١]:			

نتائج العنوسة:

والحقيقة التي لا يستطيع أحد من المسلمين أن ينكرها، أن العنوسة معول دمار أخلاقي وخلقي في جسد الأُمة الإسلامية وشرايين المجتمع الإسلامي، وأن غفلة المجتمع الإسلامي عن انتزاع بوادرها ومحاربتها واقتلاعها من جذورها تسبب تفاقم المشكلة مما يزيد ارتفاع عدد الضحايا من النساء.

---

(١) راجع كتاب تأخر الزواج ص٧٥.

والحقيقة أن مسؤولية المؤمنين أضخم من مسؤولية غيرهم، ومسؤولية رجال العلم والدين أضخم أيضاً من غيرهم، ذلك أنهم هم الذين أخذوا على عاتقهم محاربة الفساد وإصلاح المجتمعات الإسلامية، إن التجربة والسير وفق سنن التغير الطبيعية توصل الإنسان المؤمن إلى الحق وتمكنه من الوصول إلى سلم الكمالات النفسية وتخوله من الإصلاح الجذري في الأمة والمجتمع الإسلامي، وعندما ننظر إلى قضية (العنوسة ونتائجها المرعبة) بنظرة موضوعية واعية، فإن الأمر لا يمكن أن يستهان به، إذ أنه يرتبط بكياننا ووجودنا وأسرنا ومجتمعنا بل وكل ما لنا من حقوق وواجبات ومسؤوليات.. إن تواجد العوانس بعددهن المتزايد في المجتمع الإسلامي اليوم عامل من عوامل الشقاء، وبادرة من بوادر إعلان الفساد في المجتمع الإسلامي والأسر المسلمة اليوم. فالأمراض النفسية والجسمية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية تبعث على الشقاء المحتوم في مجتمعنا.

وإذا ما حدث خلل في مسار الحياة الاجتماعية للإنسان من ذلك (انتشار مشكلة العنوسة)، ثم استمر طويلاً دون علاج ولا استيعاب لأسبابه وآثاره القريبة والبعيدة، خلق عواقب وخيمة في الأخلاق والاقتصاد، والاجتماع، ودمار النسل حيث شرع اللّه سبحانه وتعالى الزواج لاستمرار النسل، ومن الأخطار التي تنجم من العنوسة وترك الزواج فقد الترابط الاجتماعي حيث بالزواج تحدث علاقات اجتماعية حميمة بسبب (الزواج) مما يؤدي إلى التعارف وشد أواصر المجتمع الإسلامي مع بعضه البعض، وإذا فقدنا الزواج قلّت بذلك صلات القرابة بين الناس في المجتمع الإسلامي الواحد.

وقد تؤدي العنوسة إلى انحرافات أخلاقية شنيعة بسبب الوقوع في حبائل الشيطان مما يسبب انتشار الفساد الذريع في جسد الأمة والمجتمع

الإسـلامي، ولسـت هنـا أتهـم (العـوانس) أنهـن يسـببن الانحرافـات الاجتماعية، لا والعياذ باللّٰه من ذلك.

فهناك الكـثير مـن (العـوانس) الصـابرات القانتـات العابـدات الطيبات الملتزمات بمبادئ الدين والأخلاق والقيم الإسلامية الحقة.

ولكن إذا ارتفعت نسبة تزايد العوانس قد تنهي المجتمـع وتـؤدي به إلى الانزلاق و الانحراف الأخلاقي، وهناك في مجتمعنا الإسلامي اليـوم العشرات، بل المئات من القصص الواقعية التي نستشف منهـا أن أحـد عوامل شقاء المجتمع الإسـلامي، وفسـاده تواجـد (العـوانس) وانحـراف بعضهن عن طريق الصـواب، ولا يسـتطيع أحـد أن ينكرهـا، فهيجـان الغريزة هو العامل الأكبر في حياة الشاب والفتاة والمرأة والرجل فإمـا أن تصرف بطريق الحرام وإما أن تصرف بطريق الحلال.

ومما لا شك فيه عندما تصرف الغرائز في غـير محلـها وفي غـير مـا يرضي اللّٰه سبحانه وتعالى ينتشر عند ذلك الفساد والأمـراض النفسـية والجسـمية والعقليـة، وتنتشـر الأوبئـة مـن الزنـا واللـواط والمسـاحقة والعلاقات الغرامية المدمرة. ممـا يتسـبب في انهيـار الأسـرة والمجتمعـات الإسلامية.

وقد لاحظ علماء الغرب النفسـيين أن العنوسـة تسـبب القضـاء على غريزة الأبوة والأُمومة حيث أن المرأة بتأخرها عـن الـزواج تقضـي على عوامل الغريزة في حياتها مما يسـبب لهـا تفـاقم الأمـراض النفسـية المتزايدة.

العنوسة والحلول:

قليل من الناس من يعترف بأخطائه وخطايـاه ممـا يزيـد في الطـين

بلة، ويزيد تفاقم المشكلات الاجتماعية في المجتمع الإسلامي، وللأسف ـ إن شريحة كبيرة ترى أن مشكلات المجتمع الإسلامي لا تمت لها بصلة وخصوصاً من لا يوجد عنده بنات أو أخوات أو عمات أو خالات بهذه المشكلة، فيرى أن مشكلة (العنوسة) مشكلة ثانوية بالنسبة لمشكلات عدة في المجتمع الإسلامي، مع أننا لو وقفنا قليلاً على والواقع لوجدنا أنها من أهم المشكلات الاجتماعية، لأنها تهدد كيان الأُسرة والمجتمع، وتنذر بالأخطار الأخلاقية والخلقية، حيث عن طريقها تتفاقم وتتزايد نسبة الجريمة وارتفاع معدل الفساد في المجتمع الإسلامي كما هو حاصل اليوم.

لذلك يوحي الواقع المأساوي الذي تعيشه جملة كبيرة من الفتيات (العانسات) في مجتمعنا إلى ضرورة النهضة الإصلاحية والعودة الهادفة لربوع المبادئ الإسلامية، والتقاليد والأعراف الاجتماعية والدينية في أُمتنا ومجتمعنا وأسرنا الفاضلة، ونسعى سعياً حثيثاً لإيجاد الحلول المناسبة التي من خلالها نضمن استقامة المرأة، والفتاة والشاب معاً، وبها يصلح المجتمع الإسلامي البتة.

وفي اعتقادي أن هناك حلولاً كثيرة جداً منها: الالتزام بالمناهج الإسلامية كنظرية وتطبيق، ورفع الحواجز أمام الزواج من غلاء المهور والافتخار بالأنساب والأحساب وتشجيع الآباء والأمهات على زواج أولادهم الزواج المبكر وغيرها.

إلا أن أهم علاج لهذه القضية هو نظام (التعدد) كما أو ضحناه في الصفحات السابقة فراجع.

الفصل الرابع



المرأة.. ووعي الواجبات والمحرمات:

لقد أمرنا اللَّه تعالى بتكاليف ونهانا عن أُمور ولم يأمر بهـا إلا لما فيها من سعادة وحكمة دائمة، وفلسـفة حكيمـة لصـالح الإنسـان إذ لا يوجد شيء من دون سـبب، ولا معلـول مـن دون علـة، خصوصـاً وأن حكمته سبحانه وتعالى اقتضت أن يكون الإنسان مخـيراً لا مسـيراً ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[1].

وقال: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[2].

فالإنسان يقدم بإرادته واختياره على عوامـل الخـير والسـعادة، أو أسباب التعاسة والشقاء، وليس مكتسباً للفعل من قوة وقـدرة خارجيـة فرضت عليه مرادها أو فعلها، شاء أم أبى..

لذلك نهى اللَّه عـن كـل شـيء مـن شـأنه أن يـؤدي إلى الإهانـة والأذى النفسي أو الجسدي للإنسان، ليس من الآخرين من بـني جـنس البشر، بل من الإنسان نفسه بحق نفسه.

وعندما نقف عند الغاية الحكيمة التي مـن خلالها جـاءت فلسـفة الشريعة الإسـلامية بالواجبـات والمحرمـات، نقـف علـى فلسـفة وغايـة

(١) سورة الإنسان/ ٣.

(٢) سورة النساء/ ٧٩.

وحكمة ليس لها مثيل في أي دين من الأديان.

لقد أمر اللّه تعالى الإنسان بالتكاليف الشرعية، ولم يأمره بها إلا لما في فعلها من سعادة، وفي تركها من شقاء، فأمر بإقامة (الصلاة) توكيداً لعقيدة التسليم للّه الحق بما فيها من ركوع وسجود وذكر وترتيل، وبما في مقدمتها من الطهارة عن الخبائث والأحداث، فتسبب تهيئة نفسية وراحة معنوية، حيث تسمو النفس إلى رحاب اللّه العظيم.

وأمر بالصوم لما فيه من ترويض للنفس على الطاعة وسموها إلى سلم الكمالات المعنوية، والإنسانية والنفسية العالية، والارتقاء بها إلى الضبط والتحكم بالشهوات المباحة في أوقاتها المخصوصة.. لعلها تخفف من طغيانها ونزوعها للشر.

ولما للصوم من فوائد نفسية ومعنوية واقتصادية واجتماعية وجسمية أيضاً.

وعلى هذا فقس سائر الواجبات من (الزكاة والخمس) و (الحج) و(الجهاد) و (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

وسائر الأخلاق الكريمة من (صلة الرحم) و (إعانة المظلوم) و (بر الوالدين و (دفع الصدقات الواجبة) و (التبري والتولي) وغيرها.

وأما عن فلسفة المحرمات فهي أكثر من أن تحصى، فقد حرم الزنا واللواط ونكاح المحارم، والعادة السرية والمساحقة وتبرج النساء، والخيانة الزوجية والتطلع لأعراض الناس وتناولها بالغيبة والنميمة والكذب وقول الزور وإشاعة الفحشاء وتفشي المنكر والخرافات والبدع و... وغير ذلك، وكل ذلك لحفظ فطرة الحياة الإنسانية من أجل المحافظة على نظام الإنسانية من العودة إلى حياة الغاب، وإيجاد السعادة في

الدارين (الدنيا والآخرة)، لما في ذلك من حصانة الفضيلة الإسلامية والمحافظة على الجيل الناشئ في ظل أُسرة أفضل.

ولما فيها من أضرار وعواقب وخيمة على الفرد والمجتمع، حيث تتفشى الأمراض المختلفة، النفسية منها والجسدية، والعقلية والتربوية والاجتماعية الكثيرة.

نعم هكذا يعلمنا الدين الحنيف، وتدرسنا حكمته السامية، حيث (أبى اللّٰه سبحانه أن يجري الأشياء إلا بأسبابها)، ولذا شرع بعض الآداب والسنن الخاصة بحياة المرأة المسلمة كـ(بنت) وكـ(أم)، وكـ(زوجة) مثالية، حيث من وقف على مبادئ الإسلام يرى كم وكم أمرها ونهاها، تعالي معي أختي في اللّٰه نتعرف سوية على ما أمر اللّٰه سبحانه وتعالى المرأة وعن ماذا نهاها؟!

ولا سيما على صعيد الوعي المتكامل للحياة الإنسانية، وبالخصوص الحياة الزوجية والأُسرية معاً، حيث بالوعي المتكامل يرسم للمرأة المسلمة خريطة الحياة السعيدة من ألفها إلى يائها، لا سيما إذا كانت المرأة المسلمة صاحبة شخصية مثالية في أُسرتها وحياتها الزوجية، وبالخصوص إذا كانت شخصية هادفة، ومبدئية تطرح مبدأها وثقافتها، من خلال وعيها المتميز في كل مناسبة ترى إمكانية الاستفادة منها، في كسب رضا الأهل والزوج والأبناء والمجتمع الإسلامي. من هنا جاءت أهمية الوعي المتكامل في حياة المرأة المسلمة.

المرأة والوعي الروحي:

من أهم المسائل الحساسة والإيجابية في حياة المرأة المسلمة، قضية الوعي الروحي لأنه مسألة هامة في حياة البشر، ولأن تربية الروح

واتصالها الدائم باللّه سبحانه وتعالى، والتعلق الشديد بأوامره ونواهيه وطاعته المطلقة في كل الأمور هي من الأمور المهمة جداً.

فقد تصلي المرأة وتلتزم ببعض الأمور الواجبة أو المستحبة، ولكنها على غير استعداد تام أن تقلع عن بعض العادات والتصرفات الهوجاء، والخرافات الكثيرة والانزلاقات المتعددة في طريق الشيطان والهوى، والنفس الأمارة بالسوء، وتعيش هذه الحياة مضطربة الأفكار والهواجس الكثيرة، مما يعكر عليها حياتها الزوجية والأُسرية أيضاً، وقد تعيش ولو لحظة واحدة حياة هادئة، وقد يكتب لها النجاح المؤقت لكنها سرعان ما تنهار وتفشل بسبب فقدان (الوعي الروحي) والاتصال باللّه سبحانه وتعالى، لأن المرأة المستهترة بالقيم والتعاليم والأخلاق الإسلامية، والتقاليد والعادات الاجتماعية الحسنة، ـمع ما هي عليه من التزام مؤقتـ سوف تنزلق في خضم الرذائل والمنكرات والتقصير والإغراءات الكثيرة في يوم من الأيام، وكل ذلك بسبب فقدانها عامل (الوعي الروحي والاتصال باللّه سبحانه وتعالى).

ولذلك فإنها بحاجة ماسة للوعي الروحي اليوم أكثر من ذي قبل، حيث تكالب على شخصيتها الإعلام المقروء، والمسموع بشتى وسائله وتطوراته، ليجعلها سلعة رخيصة، وعارضة متبرجة بجسدها الغالي وعقليتها الفذة، وروحها الملائكية.

فالوعي الروحي لها يعتبر في هذا الصراع سلاحها الأخير، حيث إنها إذا نزلت إلى معترك الصراع الاجتماعي وانغمست في الحياة المادية، تنزلق كما انزلق من انزلق في أوحال الرذيلة والجرائم والفساد والانحراف.

ومن نافلة القول ـيا أختي في اللّهـ أن الإسلام يحتم عليك التزود

بقوة الروحيات، والاتصال الدائم باللّٰه سبحانه وتعالى والخشية منه في كافة الأحوال والظروف الحياتية حتى تضمني استقامتك وسلوكك اليومي داخل الأُسرة، والمجتمع الإسلامي حيث تمنعك من الانسياق وراء متع الحياة الدنيوية الرخيصة، وتجنبك السقوط الحتمي في شراك الشيطان، والهوى، والنفس الأمارة بالسوء المنصوبة لك في كل زاوية من زوايا حياتك.

والحديث اليوم عن التوجه الروحي عند الإنسان، فإذا نظرنا إلى الإنسان من ناحية تركيب جسمه، لوجدناه يتكون من قبضة روح وقبضة طين، ولذلك فهو بحاجة مستمرة إلى الغذاء الروحي وإلى الغذاء المادي وإذا لم تكن هناك موازنة دقيقة بين هاتين التغذيتين، فإن سلوكه في المجتمع، سيصاب بالخلل وسيؤدي به إلى الانحراف عن الصراط المستقيم الذي رسمه اللّٰه سبحانه وتعالى له، إذ نزول الإنسان إلى معترك الصراع الاجتماعي وانغماسه في الحياة المادية، يحتم عليه التزود بقوة روحية، تضمن استقامة سلوكه اليومي، وتمنعه من الانسياق وراء متع الحياة الدنيوية الرخيصة، وتجنبه السقوط في شراكها الخبيثة، المنصوبة في كل زاوية من زوايا المجتمع، وعندما نقول الصراع الاجتماعي، لا نقصد المعنى العلمي لهذه الكلمة، إذ أن الإنسان يحتاج إلى القوة الروحية حتى في ذلك، ومن هنا فإن الشريعة الإسلامية تؤكد وإلى درجة كبيرة على أهمية التوجه الروحي عند الإنسان.

فالنبي ﷺ في حديث شريف يشبه الصلاة بالنهر الجاري الذي يغتسل فيه الناس وينظفون بمياهه الطاهرة أجسامهم الوسخة فالصلاة إذن تنظف الأرواح وتزيل عنها ما يعلق بها من ذنوب ومعاصٍ وسيئات، ويجب أن لا يساء فهم التوجه الروحي، فيقال إنه مجرد ممارسة

عبادية روتينية يؤديها الإنسان كالصلاة والصيام والحج وما أشبه ذلك، إذ إن المقصود من التوجه الروحي هو أن يتفاعل الإنسان مع هذه الممارسات كما وعليه أن يعرف خلفياتها والأهداف التي تقام من أجلها حيث إنها وسائل لأهداف وغايات معينة، يقال إن بعض العلماء رأى في منامه العباس بن علي فقال له: كلما أردت الاقتراب من اللّه سبحانه وتعالى وجدت نفسي بعيداً عنه، فأجابه العباس بأن السر في ذلك يكمن في مسألة الأحكام، فهي عند الناس العاديين ثلاثة أصناف، الحلال والحرام والمباح، أما عند طبقات الأولياء فإن الأحكام خمسة أصناف وهي المستحب والمكروه بالإضافة إلى الأحكام الثلاثة السابقة، ولذلك فإن الكثير من العلماء يذهبون هذا المذهب فهم يقولون إن المستحب هو في مصاف الواجب، وكذلك المكروه فهم يقولون إنه في مصاف الحرام إذ ليس من الممكن أن يبقى الإنسان يتعامل من خلال زاوية حادة فإذا ترك الإنسان الواجب فهو قد يترك الصلاة اليومية، وإذا فعل الحرام فقد يشرب الخمر مرة من المرات، حيث إن اللّه سبحانه لم يمنح الإنسان العصمة باستثناء الرسل والأنبياء وأهل البيت النبوي، الذين يعملون بالأحكام الخمسة، والتي تجعلهم يسيرون على الصراط السوي، دون أن ينحرفوا إلى اليمين أو إلى الشمال..

فالتوجه الروحي هو ما عبر عنه النبي ﷺ في خطبته التي ألقاها في آخر جمعة من شهر شعبان، حيث وصل إلى نقطة مركزية عندما سأله الإمام علي عليه السلام عن أفضل الأعمال، إذ قال: «الورع عن محارم اللّه» ومعنى ذلك أن يتجنب الإنسان السقوط في مستنقع الذنوب والمعاصي، وهذا لا يمكن أن يحدث إلا بعد أن يعرف أن هناك حداً فاصلاً بين الصلاة وغيرها من الممارسات العبادية التي يؤديها، وبين هذا المستنقع الآسن الذي يدخله بسبب ارتكابه الذنوب والمعاصي، ومما لا شك فيه

أن الأجواء التي يعيش الإنسان في وسطها، تؤثر بشكل مباشر على توجهه اليومي، فإذا كانت روحية فسوف تمنحه المناعة عن ارتكاب الذنوب والمعاصي والعكس صحيح أيضاً فعندما تكون عادية فسوف تفقده المناعة، وتؤدي به للانزلاق إلى حضيض هذه الذنوب والمعاصي، فإن الإنسان إذن مطالب بأن يراقب وباستمرار تصرفاته وتعامله اليومي مع المجتمع، مثله في ذلك مثل الذي يسير في الصحراء، فإذا لم يلتفت إلى الوراء بين فترة وأخرى وينظر إلى آثار أقدامه واستقامة سيره، فإنه سيضل الطريق ولن يصل إلى الهدف الذي ينشده، وقد يؤدي به الضلال إلى أن يقضي على حياته بالجوع والعطش.

وتعتبر الصلاة فضلاً عن الممارسات العبادية الأخرى العنصر الأساسي في توفير الأجواء الروحية، ونقصد بالصلاة الواجبة منها كالفرائض اليومية، بالإضافة إلى النوافل والصلاة المستحبة وبالدرجة الأولى صلاة الليل، حيث ورد عن النبي ﷺ. كما ورد عن أهل بيته عليهم السلام في وصفهم للمؤمن والخصال التي يحملها الشيء الكثير..

والمقصود من صلاة الإحدى والخمسين، وهي مجموعة ركعات الصلاة اليومية الواجبة والنوافل ومن ضمنها نافلة الليل، وتعتبر الصلاة الحد الفاصل بين الإسلام والكفر ولذلك فإن الصادق عليه السلام وفي معرض ذكره عقوبة الزاني وعقوبة تارك الصلاة فإنه لا يصف الأول بالكفر، في حين يلصق هذه الصفة بالثاني، وفلسفة هذا التفريق هي أن الأول قد دفعته الشهوة إلى ارتكاب معصية الزنا، أما الثاني فإن الشهوة ليست هي السبب في ارتكابه معصية ترك الصلاة.

وهناك مسألة مهمة هي أن المقصود من الأجواء الروحية هي الأجواء التي يوفرها الإنسان لشخصه ولا ينسى الملاذ والحلال لأن

القرآن الكريم صريح حيث يقول ﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ فحب الدنيا ليس محرماً، بل هو أحد المكروهات، ومن الواضح أن الشخصية الإسلامية المتكاملة، يجب أن تكون بعيدة كل البعد عن حب الدنيا، ولهذا السبب نجد أن اللّه سبحانه يمتحن العالم المصاب بهذا المرض، أعني مرض حب الدنيا وذلك بهدف علاجه، وإخراج حب الدنيا من قلبه.

ومن المسائل الأخرى التي من الضروري أن نذكرها هي أن التوجه الروحي عند الإنسان يظهر من خلال إلقائه محاضرة أو جلوسه بالسيارة، وبصورة عامه من خلال جميع أقواله وأفعاله فعلى سبيل المثال في بعض الأحيان نمسك كتاباً لكي نقرأه ولكننا نجد صعوبة في إكمال قراءته، وفي أحيان أخرى نجد كتاباً آخر فنجد أنفسنا مرغمين وبصورة غير إرادية على قراءته ومتابعة كل ما ورد فيه سطراً سطراً، بل كلمة كلمة وحرفاً حرفاً.. والسبب في ذلك يعود إلى أن كاتب هذا الكتاب ذو توجه روحي وقد صب روحه بين سطور كتابه في حين أن كاتب الكتاب الأول يفتقر إلى هذه الناحية، ولذلك تجد كتابه جافاً وعسير الفهم إلى درجة كبيرة، الأمر الذي يحول بين القارئ وبين مواصلة قراءة ما ورد فيه.

ومن هذا المنطلق فإن الإنسان صاحب التوجه الروحي يؤثر بصورة مباشرة وعميقة على جميع من حوله من الناس، بل وقد يستحوذ على عقولهم ومشاعرهم، من خلال قيامه بالأعمال الخارقة، والتي قد تصل في بعض الأحيان إلى مستوى المعجزات، وبهذا الصدد تروى قصة ذلك الحمال ـ ولا ندري هل إنها حقيقة أم لا، وقد سمعتها كثيراً من بعض الأساتذة الكبار؟.

شاهد هذا الحمال طفلاً يسقط من أحد سطوح المنازل، فقال له

قف وأمره بعدم السقوط، وبالفعل بقي الطفل على تلك الحالة قدم على السطح وقدم متأرجحة في الهواء إلى أن أنقذه من السقوط والموت المحتوم الذي ينتظره، أثر هذا الحادث تجمع الناس حول ذلك الحمال وسألوه عن السر في إنقاذه الطفل، بعد أن اتهموه بالسحر وممارسة القضايا السحرية، فأجابهم الحمال: إني إنسان عادي ولست بساحر كما تزعمون ولكن هناك شيئاً واحداً قد التزمت به هو الصلاة في أوقاتها فما أن يؤذن المؤذن سواء لصلاة الصبح أم الظهر أم العصر أم المغرب أو العشاء حتى أبادر إلى الصلاة ولو كنت في الشارع أو في أي مكان آخر، حيث أفرش عباءتي وأتوجه إلى القبلة لتأدية هذا الواجب الشرعي، وبعبارة أخرى فإن هذا الحمال يجسد في سلوكه طاعة اللّه سبحانه، فإذن ليس غريباً أن يمنحه اللّه سبحانه هذه القدرات، وقد قال جل وعلا في حديثه القدسي: «عبدي أطعني تكن مثلي تقول للشيء كن فيكون» ..

كما أن هذا التوجه الروحي هو بالذات سر الأعمال الخارقة والمعجزات التي كان يقوم بها الرسل والأنبياء والصالحون من عباده.

والذي يقرأ التاريخ يعرف أن النبي ﷺ عندما دخل إلى المدينة، استقبله أهلها بحفاوة وتكريم، وكل واحد منهم طلب منه أن يحل في ضيافته، ولكن النبي ﷺ رفض كل هذه الدعوات وأوكل الأمر إلى ناقته، فإذا دخلت أحد البيوت فإنه سيحل ضيفاً عند أهله، وبالفعل دخلت الناقة إلى بيت أبي فاقدة البصر، وقد خاطبت النبي ﷺ قائلة: يا رسول اللّه أتمنى أن أراك فمسح النبي ﷺ بيديه على عينيها ففتحتا وأخذت تبصر الأشياء التي حولها، حينذاك استغرب بعض الحاضرين من ذلك..

نماذج روحية:

عندما نقرأ تاريخنا المشرف تتراءى لنا صفحات كثيرة من تاريخ العباد، والزهاد من النساء والرجال، حيث بصفائهم الروحي والتزامهم المبدئي أحدثوا انعطافة كبرى في تاريخ الإنسانية، وعلموا الجيل كيف يحرر عقله من الخرافات والسخافات والمهاترات الفكرية والعقائدية المختلفة، وبثوا في الأُمة الإسلامية روح التقوى والعلم والأخلاق والتطلع إلى رحاب اللّه جل وعلا، وكانت ممارساتهم منهاجاً واضحاً لنا جميعاً وبالخصوص للعنصر النسائي حتى تصل المرأة المسلمة إلى مرحلة (الاصطفاء)، كما قال تعالى في سورة مريم عليها السلام: ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ﴾.

ولا يتحقق هذا الاصطفاء في المرأة المسلمة إلا بعد أن تحقق في شخصيتها حقيقة العبودية العقلية والنفسية والروحية؛لأنها دائماً وأبداً تعمل على تطهير الذات الإنسانية من شوائب الدنيا ورواسب الوضع المتخلف (الماضي) وتفتح أمام العابد آفاق الحياة السعيدة.

وقد استطاعت جملة من النساء أن يحققن هذا العامل وذلك التطهير في شخصيتهن في تاريخ المرأة المسلمة المشرف و منهن:

١- خديجة بنت خويلد:

ولدت سنة ٦٨قبل الهجرة كما يقول صاحب الأعيان ج٧ ص١٠٩ عرفت بخصالها الحميدة والفريدة في أُسرتها ومجتمعها، وبيتها كان بيت مجد وعفة وطهر، فقد كانت تعرف في وسط مجتمعها بالسيدة الطاهرة، وكانت عابدة من العباد، وزاهدة من الزهاد، لا تفتر عن ممارسة العبادة قط، فهي أول من صلى خلف النبي صلى الله عليه وآله من النساء، وبذلت كل مالها

من أجل نصرة الدين والمبادئ الحقة في سبيل اللّه سبحانه، حيث لعبت أموال خديجة دوراً بارزاً على الساحة الجهادية في عهد الرسالة المحمدية. يقول عنها رسول اللّه ﷺ: «ما دخلت عليها إلا ووجدتها ساجدة وعابدة للّه سبحانه».

لقد كانت خديجة رضي الله عنها مثالاً للإخلاص والوفاء، فلم تبال عندما تنكرت لها قريش، ولم تكترث بجفاء نساء مكة لها.. حيث وقفت رضي الله عنها بجانب رسول اللّه ﷺ متحملة شظف العيش وقساوة الظروف الاجتماعية والسياسية، وساندته بكل قواها إلى أن توفيت رضي الله عنها وأنزل اللّه لها كفناً من الجنة إجلالاً سماوياً لهذه المرأة العظيمة.

٢- فاطمة الزهراء عليها السلام نموذج ثان:

كانت فاطمة الزهراء عليها السلام ابنة رسول اللّه ﷺ من ربات العبادة، والزهد الذتي تشرف التاريخ الإسلامي بذكرهن وحياتهن وعبادتهن حتى قال عنها الإمام البخاري في كتابه فضائل فاطمة: كانت الزهراء عليها السلام أعبد أهل زمانها، وكانت تقوم الليل كله بالعبادة حتى تورمت قدماها من كثرة العبادة.

ويقول الحسن البصري: ما كان في هذه الأمة أعبد من فاطمة، كانت تقوم حتى تتورم قدماها، حتى قال فيها رسول اللّه: وأما ابنتي فاطمة فإنها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين...

ونقلت بعض الروايات أن الزهراء عليها السلام كانت تقف كثيراً عند عبارة ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ مما تسبب في ورم رجليها.

وفي رواية نقلها الأصبهاني في كتابه حلية الأولياء ج٢ ص٦٠: عن الإمام الحسن عليه السلام أحد سبطي رسول اللّه ﷺ أنه كان يرى والدته

الزهراء عليها السلام تدعو للجار بشكل خاص، وللمسلمين بشكل عام، فقال لها بأن تدعو له أيضاً فتجيبه أن الجار مقدم علينا (الجار ثم الدار).

وناهيك عن زهدها وعفتها وجهادها في سبيل اللّه من أجل رفعة الدين ونشر المبادئ والقيم والتعاليم للناس، ولا تحتاج حياتها لمزيد بيان لمالها من مكانة وسمو عند اللّه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم والملائكة والناس أجمعين، حيث تحدث الكتاب والمؤرخون عن ذلك فراجع.

٣- سكينة بنت الحسين عليها السلام:

تعد سكينة بنت الحسين عليها السلام من أهل العبادة والزهد والتقوى والدرجات الرفيعة في تاريخ النساء المسلمات المجاهدات، من أجل المبادئ والتعاليم، فقد كانت سيدة نساء عصرها، وأوفرهن ذكاءً وعقلاً وأدباً وعفة، وكانت تزين مجالس نساء أهل المدينة بعلمها وأدبها وتقواها، وكان منزلها بمثابة حوزة علمية ضخمة جداً حيث كانت تدرس الفقه والحديث والأخلاق، وكما تقول الدكتورة بنت الشاطئ في كتابها بنات النبي ج١ ص٥٠: إن سكينة يغلب عليها الاستغراق مع اللّه، وكانت منقطعة إلى الطاعة والزهد والعبادة.

٤ ـ السيدة زينب بنت علي عليها السلام:

ومن بين النساء الشهيرات من أهل بيت النبوة زينب بنت علي، فهي منقطعة النظير في العبادة والاستغراق في الطاعة، والخضوع والخشوع للّه سبحانه وتعالى، فقد نقل المؤرخون في مصادرهم أنها كانت لا تترك المستحبات فضلاً عن الواجبات وبالخصوص الصلوات فكانت تصلي الليل كله حتى في أحرج الظروف والأوقات، رآها علي بن الحسين السجاد في ليلة الحادي عشر من محرم بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، وهي

تصلي مع ما نزل على رأسها من الآلام والمصائب والمحن، وكان بيتها معقلاً غنياً بالعلم والشرف والعفة والطهر والأخلاق والدين.

٥ - السيدة نفيسة نموذج خامس:

هي بنت الحسن بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ولدت بمكة سنة خمس وأربعين ومائة للهجرة، ونشأت بالمدينة المنورة وعرفت بالعبادة والزهد والتقوى والعفة والصلاح، ينقل في أحوالها أنها كانت تصوم النهار وتقوم الليل، وكانت ذات مال ومكانة، وكانت تعرف بكثرة العبادة والروحانيات تزوجت بإسحاق بن جعفر الصادق بن الباقر المعروف بإسحاق المؤتمن فولدت منه القاسم وأم كلثوم، ثم هاجرت من المدينة على أثر اضطرابات حدثت في عصرها إلى مصر واستقرت هناك.

تعرف بصاحبة الكرامات الكثيرة والعبادة الطويلة حتى وصل بها الحال أنها خطت قبرها بنفسها وكانت تنزل فيه وتصلي وتقرأ القرآن والدعاء قد ختمت ستة آلاف ختمة، وأمرت إذا ماتت أن تدفن فيه، وفعلاً حدث ذلك، ويقال إنها ماتت بمصر في شهر رمضان سنة ثمان ومائتين، وحينما حضرتها الوفاة كانت صائمة فألزموها أن تفطر فقالت: واعجباً لي منذ ثلاثين سنة وأنا أسأله أن ألقاه، وأنا صائمة هذا لا يكون، كيف أفطر؟!!ثم قرأت سورة الأنعام فلما وصلت قوله تعالى ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ماتت.

كراماتها:

نقل عنها من الكرامات الشيء الكثير جداً منها أن النيل توقف فضج الناس، وأتوها فأعطتهم قناعها، وقالت: اطرحوه فيه، فإذا الماء

يجري من ساعته، ومنها أن أمتها جوهرة خرجت ليلة من الليالي ذات مطر شديد لتأتيها بماء للوضوء، فخاضت، ماء المطر ولم تبتل قدماها، وهناك الشيء الكثير ذكره الشيخ الصبان في كتابه إسعاف الراغبين الطبعة القديمة طبعة ٢١٢.

٦ - أم ذر الغفارية نموذج سادس:

هي زوجة أبي ذر الغفاري رضي اللّه عنه، الصحابي الجليل الذي ذكره الرسول الكريم بقوله: ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر.

كانت شاعرة من شواعر العرب، وكان رسول اللّه ﷺ إذا أراد أن يبتسم قال لأبي ذر: يا أبا ذر... حدثني عن بدء إسلامك؟

قال أبو ذر: كان لنا صنم يقال له (نهم) فأتيته فصببت له لبناً، ووليت فحانت مني التفاتة، فإذا كلب يشرب ذلك اللبن فلما فرغ، رفع رجله فبال على الصنم فأنشأت أقول:

ألا يانهم أني قد بدا لي ... مدى شرف يبعد منك قربا

رأيت الكلب سامك خط خسفٍ ... فلم يمنع قفاك اليوم كلبا

فسمعتني أم ذر فقالت:

لقد أتيت جرماً، وأبت عظماً، حين هجرت نهما؟!

فلما أخبرتها الخبر... فقالت:

ألا فابغنا رباً كريماً ... جواداً في الفضائل يا وهب

فما من سامه كلب حقير ... فلم يمنع يداه لنا برب

فما عبد الحجارة غير غاو ... ركيك العقل ليس بذي لبب

فقال ﷺ صدقت أم ذر... فما عبد الحجارة غير غاو.

٧- دارمية الحجونية نموذج سابع:

لا يخفى أن قوة العقيدة، وعزة النفس، يسجلان للإنسان أسمى الفضائل ويجعلان منه مثلاً سامياً وقدوة صالحة، فلا يزيده مر الليالي والأيام إلا رفعة وإعظاماً.

لقد سجل التاريخ على صفحاته موقف دارمية الحجونية، فسجل الصراع بين الحق والباطل وبين قوة السلاح وقوة العقيدة.

حج معاوية بن أبي سفيان، فسأل عن امرأة من بني كنانة، كانت تنزل بالحجون، يقال لها دارمية الحجونية، وكانت سوداء كثيرة اللحم فأخبر بسلامتها، فبعث إليها فجيء بها.

فقال: ما حالك يا ابنة حام؟ فقالت: لست لحام أن عبتني، أنا امرأة من كنانة. قال صدقت، أتدرين لم بعثت إليك.

قالت: لا يعلم الغيب إلا اللّه. قال: بعثت إليك لأسألك علام أحببت علياً وأبغضتني وواليته وعاديتني؟

قالت: أو تعفيني يا أمير. قال: لا أعفيك. قالت: أما إذا أبيت فإني أحببت علياً على عدله في الرعية، وقسمه بالسوية، وأبغضتك على قتالك من هو أولى منك بالأمر، وطلبتك ما ليس لك بحق، فأمر لها بالعطاء فانصرفت[1].

المرأة والوعي الأخلاقي..

لا شك ـ أختي في اللّه ـ أن هناك مسافة شاسعة تفصل بين الدين الإسلامي ومبادئه وعلومه وأخلاقه، وبين واقع المسلم المعاصر، فالمسلم

---

(١) للمزيد راجع معجم أعلام النساء لعمر رضا كحالة.

الحقيقي هو الذي يكيف نفسه وواقعه حسب المفاهيم والنظم الأخلاقية الإسلامية، ويحاول بقدر الإمكان أن يلتزم بما جاء في دستور الدين، وخصوصاً على صعيد الأخلاق الأُسرية بين المرأة وزوجها، بين الأولاد وآبائهم وأُمهاتهم، بين الأُسرة مع الأهل والجيران والأصدقاء وغيرهم. إذ إنه ليس بمسلم حقيقي ذلك الذي يحاول تكييف الدين ومفاهيمه، ونظمه وأخلاقه وفق ما تشتهيه نفسه كما هو الحال بالنسبة للمسلم المعاصر.

إن هناك مسافة شاسعة بين المرأة المعاصرة، وبين الأخلاق الأُسرية والاجتماعية، فقد تحولت معظم الأُسر اليوم إلى بؤرة يغرف منها الأطفال سوء الخلق والتعامل السيئ مع الآخرين، ومما زاد في الطين بلة أن تفقد الأُسرة أو تهمل الأخلاق وضبط الأعصاب والمحافظة على المواقف المشرفة وتوجيه المجتمع الإسلامي نحو حياة أفضل وأسرة تنعم برفاه الحب والحرية والكرامة والتعاليم والمبادئ.

وقد يحدث لأقل الأسباب ولأقل الأمور، أن ينشب الخلاف والسباب البذيء بين الناس والزوجين، فتتحول حياة الأُسرة إلى جحيم لا يطاق فيحدث الطلاق الذي يهتز له العرش الإلهي.

وللأسف الشديد أقولها، إن تدخل الأهل والجيران وبعض الأصدقاء في النزاع الحادث بين الزوجين أو الأسرتين، يزيد من تفاقم حدة المسألة الخلافية بينهما، ويعكر صفو إيجاد الحلول المناسبة لحل النزاع، وكل هذا منهي عنه في دستورنا الأخلاقي في الحياة الأسرية، وكم وكم من أسرة أو زوجين نشب بينهما نزاع بسيط ينتهي ببساطة، ولكن تصرفات الأهل، أو بعض الأصدقاء أو الصديقات أدى إلى نزاع لا حل له إلا الطلاق!!

ولذلك أكد الدين بمفاهيمه ونظمه ومعطياته الأخلاقية على الالتزام بمبادئ الأخلاق الأسرية والاجتماعية، حيث هي السبيل الوحيد لتغيير ما بالنفس والحياة من مشكلات مستعصية لا حل لها إلا (بالطلاق) وأهم من الأخلاق الاجتماعية الأخلاق الزوجية بين الزوجين مع بعضهما وبينهما وبين الأولاد داخل الأسرة الواحدة.

إن الأخلاق - يا أختي في اللّه - هي بمثابة العمود الفقري الذي يحفظ المجتمع أولاً، وأُسرتك ثانياً من السقوط والانهيار الحتمي في حمى الرذائل والمنكرات، والتقصير تجاه الحقوق الزوجية والاجتماعية والدينية والتربوية، فهي أساس وجود المجتمعات وزوالها، يقول ﷺ: إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم خلقاً.

وقال ﷺ: «أول ما يوضع في ميزان العبد يوم القيامة حسن الخلق»[1].

يقول الشاعر:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وعندما نقرأ ما سطره العلماء عن أهمية الوعي الأخلاقي للمرأة المسلمة نجدهم يقدمونه على (العلم) لكونه أهم من العلم ولا علم بلا أخلاق، وابتداءً من عالم الذرة وانتهاء بعالم الرياضيات ومروراً برجال الدين وحملة الفضيلة، أو المخترعات أو مربيات الأُسرة والأطفال والمدارس، بل كل العلماء وكل الناس نساءً ورجالاً، صغاراً وكباراً نجدهم يحتاجون إلى الأخلاق، وإلا فحياتهم وأُسرهم وعلاقاتهم الفردية والأسرية والاجتماعية ستؤول إلى الدمار والخراب، ففقدان الأخلاق يعني فقدان

(١) الفضيلة الإسلامية ج١ ص٩٥.

الثواب واكتساب الإثم والعصيان والتمرد، والجرأة على النظام الإسلامي بكل ما في الكلمة من معنى. يقول رسول اللّه ﷺ لعلي: إن اللّه تبارك وتعالى، ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق، كما يعطي المجاهد في سبيل اللّه، يغدو عليه ويروح.

المرأة بين النجاح والسعادة:

كل امرأة تسعى أن تكون سعيدة في حياتها الزوجية، وليست بالمرأة العاقلة من تقول إني لا أسعى جاهدة لهذا الغرض، فكل امرأة تحب أن تكون أُسرتها من أفضل الأسر في المجتمع الإسلامي، أولادها من أفضل الأولاد في المجتمع الإسلامي، حياتها أفضل حياة وأنجحها في المجتمع الإسلامي، لكن هذا الطموح وتلك الأُمنيات لا تأتي من وحي الفراغ والشعارات والكلام عفوياً بلا تعب أو كفاح، بل هي - يا أختي - وليدة استعدادات نفسية وإرادية وعقلية وهي ثمرة نضال يقوم على نظام وأسس سليمة، ووسائل ناجحة تؤدي إليه.

ومن هذه الأُسس والوسائل، أن تكون المرأة صاحبة خلق عالي المستوى على الصعيد الفردي، والأسري والاجتماعي وبالخصوص في الحياة الزوجية فإنها أهم من كل شيء في حياة المرأة والرجل.

إن الكلمة الطيبة يجيء بها قائلها في موضعها تفعل فعل السحر، وتحدث أكبر الأثر، وتكون لها العاقبة المحمودة في النفوس، وخاصة النفوس الكريمة العنصر، التي لا تحمل الضغن والحفيظة، ولا تصر على الحقد.

ها هو ذا الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم، وقد ظفر بالمشركين، ودخل مكة عام الفتح، يقول لصناديد قريش: "ما تظنون

أني فاعل بكم" ؟ قالوا: خيراً، أخ كريم، فما كان منه إلا أن قال: " اذهبوا فأنتم الطلقاء " وهكذا من عليهم الرسول بالحياة، بالرغم مما لقي هو والمسلمون منهم من قبل من الأذى فكان منهم من أسلم وحسن إسلامه، وقاتلوا مع الإسلام، بعد أن قاتلوه دهراً طويلاً.

وها هو عمر بن عبد العزيز رضي اللّه عنه يأمر بعقوبة رجل عقوبة شديدة، وكان قد نذر لئن أمكنه اللّه منه ليفعلن به وليفعلن، فقال له رجاء حيوة: قد فعل اللّه ما تحب من الظفر، فافعل ما يحب من العفو، وكان أن عفا عنه. فهذه كلمة طيبة أحسن رجاء بن حيوة توجيهها في موضعها للخليفة العادل، وكان لا يغضب إلا للحق، فذهبت بغضبه، وجعلته يجنح إلى العفو الذي يحث اللّه عليه في كثير من آيات القرآن الكريم.

وفي الخصومة والجدل تفعل الكلمة الطيبة فعلها المحمود، وربما كانت المجادلة بالحسنى أقرب إلى الإقناع والوصول إلى الحق قال تعالى ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مسلمون﴾. ومثل هذا قوله تعالى في سورة أخرى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن﴾.

وقد كان الرسول ﷺ في هذا مضرب المثل، سواء مع صحابته الأكرمين، أم مع خصومه المشركين، وأهل الكتاب المعاندين، هؤلاء الذين كانوا يعرفونه خاتم الأنبياء والمرسلين، كما يعرفون أبناءهم. فلم يك ﷺ قط سباباً ولا فحاشاً في القول، ولم يقل لأحد ممن كان يقوم على خدمته: لم فعلت هذا، أو لِم لَم تفعل ذاك؟ ولم يكن جافياً في خطابه لأحد ممن حوله، وفي هذا يقول اللّه جل ذكره: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ

اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾.

وكان في خطابه لأهل الكتاب، الذين ملك عليهم العناد في الحق أمرهم، كان يقول لهم كما أمره ربه الذي أدبه فأحسن تأديبه: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾. وهو يقول لهم كما في آية أخرى من القرآن: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، وذلك بدل أن يقول مثلاً: إن ما أنتم عليه هو الباطل ومأواكم النار إن أعرضتم عما جئتكم به.

وبلغ من عناية القرآن الكريم بوجوب الإحسان في القول ابتغاء أثره الطيب، أن أمر بذلك موسى وهارون عليهما السلام في مخاطبة فرعون الذي كان يقول لقومه: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾، ويقول: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾، أمرهما باللين في خطابه، وذلك إذ يقول لهما: ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾. وأمرنا سبحانه ـ بصفة عامة ـ بإحسان القول، وذلك في قوله: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً﴾، ومن على المؤمنين بقوله: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾.

وإذا كان هذا هو أثر الإحسان في القول من ناحية ذهابه بالحفيظة والغضب، والإقناع في الخصومة، والنجاح في الداعي إلى الإصلاح والخير، فإن أثر الإحسان في العمل يكون أكثر وأكبر.

إن هذا الأثر يظهر في جودة الزرع إن أحسن الزراع القيام عليه ورعايته، وفي شهرة الصانع وكثير ربحه إن أتقن صناعته وأجادها، وفي رواج تجارة التاجر إن أحسن عرضها وتنظيمها، وصدق الناس في

معاملته معهم.

كما يظهر ذلك الأثر بوضوح في تقدير رئيس العمل للمستخدم الذي يقبل بنفس راضية على عمله، ولا يضن بجهد في القيام به كما ينبغي، وفي نجاح الطالب الذي يحسن الإصغاء لما يسمع من أساتذته، والذي يقبل على دراسة الكتب العلمية بقلب واعٍ، وعقل متنبه، ونفس مستشرفة للعلم والمعرفة.

وفي الأثر: إن اللَّه يحب المتقن عمله، أو كما جاء في رواية أُخرى: إن اللَّه يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه. ولا عجب أن يحب اللَّه جل وعلا من يتقن عمله ويحسنه ليؤدي الغاية المطلوبة منه، فهو الذي يقول عن بعض العوالم التي خلقها: ﴿صنع اللَّه الذي أتقن كل شيء﴾، ويقول في سورة أخرى، وقد ذكر خلق السماوات والأرض وما بينهما: ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾.

وكما يظهر أثر إتقان العمل وإحسانه في أمور هذه الحياة، يظهر أيضاً في العبادات وقبول اللَّه لها، وإثابته عليها خير الثواب، فكم من مصل ليس له من صلاته إلا حركاته التي لا روح فيها، وكم من صائم ليس له من صيامه إلا ما يقاسيه من جوع وعطش.

ذلك بأن كلا من هذين الصنفين أتى بشكل العبادة ورسومها، وغفل عن معناها وروحها، وما يجب لها من خشوع وطمأنينة وآداب وإخلاص للَّه وحده. ولهذا يقول اللَّه في شأن المصلين الذين أحسنوا صلاتهم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾. فلكل عبادة مقومات وآداب لا تكون العبادة بدونها عملاً له قيمة، بل تكون جسماً أو رسماً لا روح فيه ولا معنى له.

وبعد، علينا أن نتقي اللّٰه في كل ما نقول وما نعمل، بأن نحسن ما نتناوله في مختلف شؤون حياتنا، وأن نتريث حتى يأتي ما نفعل على أحسن وجه، فإن اللّٰه يحب الرفق في الأمر كله، ويحب المحسنين.

لا تكوني كزوجة ليوتولستوي:

إذا كان النكد أُسلوباً تتعامل به المرأة في حياتها الأُسرية مع زوجها، أهلها أولادها، أقاربها، لا شك أنها سوف تحول الحياة إلى جحيم لا يطاق، والنكد سوء خلق يحاسب اللّٰه سبحانه وتعالى عليه الإنسان كما هو موضح في الروايات والأحاديث الشريفة.

وهو حية رقطاء، ليس للدغتها من دواء، وهي التي قتلت تولستوي.

كان تولستوي قصصياً عبقرياً، وستظل روايته (الحرب والسلم) درة على مفرق رأس الأدب العالمي، وكذلك روايته (أنا كارنينا). كان هذا الأمير ثرياً نبيلاً، تزوج عن عشق مشبوب، فجمع بين الشهرة والحب، وبلغ من زوجته قمة الهناء والسعادة، حتى أنهما كانا يسجدان للّٰه شكراً على ما حباهما من النعمة، لكن الحال سرعان ما تغير، فقد زهد تولستوي في الدنيا، واعتنق مبادئ أقرب إلى الروحانية الصوفية، فعاش عيشة متقشفة، وأخذ يدعو إلى إنصاف الفقراء، كما كرس حياته لإصدار نشرات تدعو إلى السلام وتنفر من الحرب، وكان يفلح الأرض بيده، ويصنع أحذيته بنفسه، ويكنس غرفته، ويأكل في وعاء من الخشب، أما زوجته فقد كانت تعشق الترف، وتشتهي أن تظل ذات مال وجاه، ومن ثم أخذت تخلق له كل منغصات الحياة، وصارت تلعن وتشتم حين قرر أن الأدب يجب أن يكون في خدمة الإنسان فلا يجوز أن يتقاضى صاحب الكتب عنها أجراً، وعندما كان لا ينصاع لرأيها تهب

في نوبة عصبية هستيرية، فتهدد بالانتحار، بل وتمسك زجاجة السم وتقربها إلى شفتيها، هكذا كانت حياة تولستوي الإنسان العبقري، مع زوجته العبقرية أيضاً، ولكن في خلق النكد والمنغصات، وذات مساء وعلى غير انتظار عادت إليها طبيعة المرأة، وطبيعة الأمومة المتلهفة إلى زوج يحميها ويغار عليها، فطلبت من تولستوي أن يعيد عليها قراءة بعض الرسائل التي كانا قد تبادلاها أول عهدهما بالحب والزواج. وأجابها تولستوي إلى ما طلبت، فاستعادت من نفسها ذكريات الحب السابق بينهما، وقارنت ذلك بواقع عواطفها آنذاك، فبكت ندماً، وبكى تولستوي أسفاً على ضياع زوجته، ولكن الزوجة لم ترتدع عن أخلاق النكد، وفي الثامنة والثمانيين من عمره، وجد تولستوي نفسه مضطراً لأن يتسلل من البيت فيهيم على وجهه في شتاء جليدي قارس، وبعد بضعة أيام وجدت جثته في إحدى محطات السكك الحديد، زري الهيئة، رث الثياب، ولكن في وجهه مهابة وجلال فماذا أفاد النكد تلك الزوجة؟ لقد أفقدها زوجها، وحرم العالم عبقرية رجل من النادر أن يظهر لها مثيل.

ومثل هذه زوجة إبراهام لنكولن الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية الذي مضى ذكره، فبالرغم من عظمة هذا الفلاح الأمريكي الصلب، ومع خشونة تقاطيعه، كان قلبه طيباً إلى درجة عظيمة، أما زوجته فكانت مثال الشراسة وسلاطة اللسان، ومما يذكر عنهما أن زوجها أخطأ ذات مرة خطأً تافهاً، وهما يتناولان طعام الإفطار مع صاحبة المنزل الذي كانا يستأجرانه فقذفت مسز لنكولن زوجها بفنجان القهوة الحار في وجهه، أما هو فلم يتحرك، وظل ساكناً كالطفل الصغير، وأما المضيفة فأسرعت بخرقة مبللة جاءت بها ومسحت وجهه وملابسه، وأما الزوجة فقد صبت جام غضبها عليه وانهال من فمها

سيل من اللعنات والشتائم، وأخيراً انتهى الأمر بهذه السيدة إلى الجنون، ويقول بعض الكتاب: ليس مقتل لنكوولين هو المأساة الكبرى في حياته، وإنما زواجه من مثل زوجته[1].

الأخلاق السيئة تتجسم في الآخرة:

وكذلك الأمر بالنسبة للنزاعات والخلافات والكلام البذيء، الذي يصدر من الزوج تجاه زوجته أو المرأة تجاه زوجها، فذاك سيتجسد لهما بشكل حيوان متوحش في الآخرة، أو نار جهنم، فالظاهر هنا هو الكلام البذيء، والباطن هناك هو جهنم، وما يفعله الإنسان هنا في الحياة لا بد أن يلقاه على حقيقته في تلك الحياة الآخرة، إما خيراً أو شراً.

إن الآية المباركة التي تقول: " كلما دخلت أمة لعنت أختها.. " تريد الإفصاح عن قانون تجسم العمل، أو بعبارة أخرى تريد القول بأن الاختلاف الموجود هنا بينكم، وداخل بيوتكم، ستنتقلون معه إلى جهنم وستكونون مختلفين أيضاً في ورودكم إلى تلك النار التي سعرها الجبار العظيم، فمن كان لعاناً وبذيئاً في هذه الدنيا الدانية، وكان يلعن أيضاً سينتقل بحاله هذه مع ذلك الذي يلعنه إلى نار جهنم، أو سيتجسد ذلك اللعن إلى أفاعٍ وحيات وحيوانات متوحشة تلتهمه فلا يموت، بل يبقى حياً خالداً في ذلك العذاب إلا أن يأذن اللّه له غير ذلك.

وعلى العكس من ذلك أولئك الذي لم يبدوا منهم في الحياة الدنيا غير الكلام الطيب، والعمل الحسن والذين قال فيهم القرآن المجيد:

---

(١) راجع كتاب النصائح ص٩٥.

﴿عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾

هؤلاء كانوا مع أزواجهم منسجمين ومتلائمين ومتراحمين بعضهم مع بعض، ولهذا تمكنوا من تلك السرر الموضونة، ومن تلك الجلسة التي هم فيها متقابلون والتي يتشكر فيها البعض من البعض الآخر، ويقول: إنك كنت السبب في ورودي إلى الجنة، وأنت الذي كنت السبب في هدايتي إلى الطريق القويم.

على أية حال، إذا ما حكمت الألفة والمودة والمحبة في البيت حظي الجميع بفضل اللّه في الدنيا والآخرة، فالمرأة تبتسم بوجه زوجها حينما يعود إلى البيت، والرجل يتشكر لزوجته حينما يأكل طعامها الذي صنعته بيدها وبشكل إجمالي تكون الأخلاق الإسلامية البديل من تلك المشاكل والنوائب والمعضلات التي يصنعها الإنسان لنفسه، فاز أفراده بخير الدنيا والآخرة.

التفاهم في البيت:

هناك قاعدة مفقودة في حياتنا الزوجية وهي شكر كل منا الآخر، إن المرأة التي تتعب وتنهك قواها من جراء الأعمال المنزلية، وتربية الأولاد ومتابعة تلبيات الزوج وإشباع رغباته المتكررة.. بحاجة إلى أن يشكرها على هذه الخدمة المنزلية.. وكما أن المرأة تنهك في الخدمة المنزلية، كذلك الرجل فهو أيضاً تنهار قواه ويتعرض لمواقف حرجة وخطيرة في عمله وجهاده على قوت عياله، فهو أيضاً بحاجة لتقدير جهوده واحترام عمله وشكره على توفير القوت والمتطلبات التي لا تنتهي..

إذن كل من الزوجين بحاجة لهذه القاعدة المهمة. أتذكر كلاماً

لبعض الأساتذة الكبار وهو يحث الزوجين على هذه القاعدة، حيث اعتبرها من قواعد استمرار الحياة الأُسرية نحو السعادة الدائمة. يقول:

اشكروا بعضكم البعض في البيت، واعتبروا أنفسكم مقصرين بحق من تعيشون معهم تحت سقف واحد، أقول قولي هذا للرجال والنساء الخيرين، وأؤكد على الرجال أن يلتزموا بهذا الأمر المهم كونهم لا يمتثلون في الغالب لأوامر أحد.

أتمنى للرجال أن يبتعدوا ما أمكن عن حالات الغضب بالاستعاذة باللّه من الشيطان الرجيم، وبالصلاة على محمد وآل محمد، وإذا اتفق أن غلبهم الغضب يوماً، ثم هدأت ثورتهم بعد ذلك ينبغي لهم أن يعتذروا لأزواجهم عما بدر منهم، بل ويطلبوا العفو، ولا يتكبروا أبداً، لأن طلب العفو والاعتذار ذاك يعتبر بمثابة بناء للنفس، وتعلم للصبر، فالبيت يجب أن يكون مدرسة وأفضل المدارس، وأحسن الكتب الأخلاقية، وأسمى معلمي الأخلاق للرجل وامرأته، وبالخصوص للنساء، وإذا رأت المرأة زوجها غاضباً، ثم هدأت سورة غضبه ولم يعتذر فلتبادر هي بالاعتذار، ولا تركبها حالات القهر والانفعال والغضب، لأن ذلك ليس من الافتخار في شيء، بل من عمل الشيطان الذي يوسوس في صدور الناس كي يجعل من البيوت ناراً يتدفأ عليها، ولا تنسوا بأن الخصام والغضب يجر الإنسان إلى جهنم جراً، وأن التبسم والتعقل يجره إلى جنة اللّه الواسعة ورحمته التي وسعت كل شيء.

فمن رأى من صاحبه عدم اعتذار فلا بأس أن يتقدم هو للاعتذار، ولو لم يكن مقصراً، فإن ذلك يخجل صاحبه منه ويعلم بأنه المقصر، وهذا من العقل والرحمة واللطف..

فمن رام حياة سعيدة في الدنيا والآخرة، فما عليه إلا أن يكون

عاقلاً حينما تلتهب نار الغضب والنزاع، وأن يركن إلى الأرض إن كان واقفاً بالإضافة إلى محاولة مس صاحبه، لأنه يقال إن مس الطرف المقابل يطفئ نار الغضب بسرعة عجيبة.

هذا ناهيك عن السعي الحثيث جهد الإمكان أن لا تحدث خلافات أو نزاعات في البيت ولو لساعة واحدة، لأن ذلك سيؤثر مستقبلاً على العلاقات الاجتماعية في البيت الأسري مما قد يجر إلى مضاعفات غير حسنة.

فالرجل يجب عليه أن يظهر رجولته ويتجاوز هذه الهفوات باعتباره رب الأُسرة، والمرأة عليها أن تتواضع أمام زوجها وتكون مصداقاً للآية التي تقول:

﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّٰهُ﴾

إن الزوجة الصالحة تمتلك صفتين لا غنى عنهما، الأولى: التواضع لزوجها ولو كان مقصراً، والثانية: العفة في الخلوة والحضور.

فالزوجة العفيفة لا ينبغي لها أن تكون محجبة أمام زوجها، وسافرة متبرجة في غيابه، والجدير بالذكر أنها يجب أن تلتزم بحجابها أمام إخوة زوجها وأقاربه كونهم يعتبرون أجانب إذا ما حكمنا الشرع في ذلك، ناهيك عن التزامها في الشارع وفي المدرسة، وفي البيت لكي يرضى اللّٰه عنها ولكي تكون قدوة لباقي النساء اللاتي لم يتعرفن بعد على الدين.

قد يكون الاختلاف في بعض الأحيان طبيعياً، فالرجل يريد أمراً، وزوجته تبغي أمراً آخر، عندها يقع الاختلاف، لكننا نجد في بعض الأحيان أن الرجل وامرأته وصلا إلى حالة من النضوج والرزانة بحيث يحاول كل منهما نبذ الاختلاف أصلاً، وهذا شيء حسن ويتفق مع

المقررات الإسلامية السامية.

أما تلك المرأة التي لا تسكت حينما ترى زوجها غضباناً أسفاً، لا تعدو أن تكون من الصابين الزيت على النار، وفي حقيقة الأمر أنها تصب الزيت على نار جهنم التي ستلتهمها يوماً ما:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾

لقد حث القرآن الكريم على تفادي الاختلافات والنزاعات في البيت وفي غيره، لكنه أكد على نبذها في البيت بشكل أعمق لأن تلك النزاعات تسقط هيبة الرجل أمام زوجته، وتسقط هيبة المرأة أمام زوجها، عندها تنفلت عرى المحبة والود والأُلفة ويضحي الزوجان كرجل وامرأة غريبين عن بعضهما البعض، فلا يعتمد أحدهما على الآخر حتى في أبسط المسائل وهذا ما لا يرضاه الشرع المقدس.

إذا بلغ الحال بالزوجين إلى هذه المرحلة يبدو الضجر والملل عليهما، عندها لا يتمكنان من تقديم أبناء نشطين فاعلين عاملين للمجتمع، لذا ينبغي بكم أن تحذروا بلوغ هذه المرحلة الخطيرة، وعلى حد قول العامة: «اليد المنكسرة يمكن أن تقدم عملاً، لكن القلب المنكسر لا يقوى على ذلك».

قال الرسول الأعظم ﷺ:

إياك والضجر والكسل فإنهما يمنعان حظك من الدنيا والآخرة.

فالرجل الذي يسري إليه الخمول والضجر لا يعدو أن يكون عضواً زائداً في المجتمع لا نفع فيه، والمرأة التي انكسر قلبها لا يتأتى لها مداراة زوجها ولا يمكن لها القيام بالأعمال المنزلية، وتربية الأولاد:

﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.

وهذه الآية تنطبق أيضاً على جميع المسلمين في الكرة الأرضية، فلو اجتمع المسلمون على كلمة واحدة، والتزموا بها قولاً وفعلاً لدانت لهم جميع الحكومات والشعوب الغربية والشرقية، ولكن إذا تنكروا للاجتماع على كلمة سواء بينهم تدنت هيبتهم وتسافلت، ونظرت إليهم الأمم على أنهم خدم يجب استغلالهم إلى أقصى الحدود.

فالرجل اللعان لا ينبغي له أن يتصور بأنه بلعنه ذاك سيلحق الضرر بزوجته أكثر مما يلحقه بشخصيته التي ستخدش بل ستتهاوى من جراء ذلك اللعن أو السب، أو التعرض لبذيء الكلام.

أما الزوجة التي لا تتمكن من قلب زوجها، ولا يسعها التمكن أطلب منها مراجعة الأحاديث التي تواترت إلينا من الرسول الأكرم ﷺ وأئمة أهل بيته صلوات اللّه وسلامه عليهم، لتتعرف على كيفية الحظوة بقلب الزوج، ويمكن أيضاً أن تسأل النساء الخيرات الصالحات ليرشدنها إلى الطريقة المثلى في كسب قلب زوجها بصورة سليمة.

إن إحدى المسائل التي تسهم في إسخاط الرجل على زوجته: النزاع والخلاف وعدم الائتمار بأوامره، هذا إذا كانت تلك الأوامر مطابقة للشرع الإسلامي الحنيف ـ وعدم السكوت عنه في حالة غضبه، وعدم التودد إليه والتحبب، وقد حث القرآن الكريم على نبذ الفرقة والخلاف، والاعتصام بحبل اللّه المتين الذي هو إحدى نعم اللّه تعالى على هذا البشر.

لقد عد القرآن المجيد النزاعات والخلافات من المسائل الخطيرة والخطيرة جداً في حياة البشر إلى درجة صورها لنا كالوادي الذي تلتهب

فيه النيران، وقد جلس عليها المتنازعون والمختلفون، فلو قفز أحد المتنازعين في ذلك الوادي الممتلئ ناراً لأصبح في عداد ألسنة اللهب المتطايرة منه.

وبعبارة أُخرى لو جلس أحدهم على صخرة تطل على وادٍ سحيق، وكان أسفل الصخرة خالياً أو مجوفاً، فما إن يتحرك قليلاً حتى يرى نفسه في قعر ذلك الوادي، وهذا هو تصوير الاختلاف والنزاع في القرآن الكريم:

﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

قال في بداية الأمر اعتصموا بحبل اللّه جميعاً وتوحدوا، وكونوا إخواناً فيما بينكم، بعد ذلك قال: واذكروا نعمة اللّه عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته ـ نعمة الاتحاد والأخوة والألفة ـ إخواناً.

ألا تذكرون حينما كنتم على شفا حفرة من النار ـ النزاعات والخلافات التي كانت سائدة بينكم ـ فأنقذكم منها ـ ووجدتم النجا من الخلاف النعمة الإلهية ـ كذلك يبين اللّه لكم آياته لعلكم تهتدون.

ينبغي للمرأة وزوجها أن يشكرا اللّه كثيراً على هكذا نعمة، وأن يطلبا منه أن يديم عليهما المحبة والألفة، وهذا يحتاج إلى بذل نفسي خاص ومدروس إذ يجب على المرأة الطالبة لديمومة هذه النعمة أن تلتز بأوامر اللّه عليها، وبحق زوجها عليها والذي ألزمها اللّه به، وكذا الأمر بالنسبة للزوج، إذ يجب عليه ـ إذا كان راغباً في حياة سعيدة ومثمرة ـ

أن يلتزم بالأخلاق الفاضلة، والصبر الجميل، وبالمجاملات الحسنة كيما يفوز برضا اللّه ورضا زوجته التي تعاشره وتسكن إليه.

وحسب قانون تجسم العمل تكون الزوجة السيئة الخلق! والزوج المتنازع مع زوجته لأتفه الأسباب، جالسين على شفا حفرة من النار، فهل تعلمون متى سيصيران إليها؟ أجل، بمجرد أن يفارقا الحياة.

لقد سقط أحدهم من أعلى بناء مسكنه فمات من ساعته، فرآه بعضهم في المنام وسأله عن أحواله، قال: لم أر منكراً ولا نكيراً، ولم أشعر بضغطة القبر، بل كان سقوطي من أعلى البناء مباشرة إلى جهنم!.

أيها الرجل أيتها المرأة! إن هذه الدنيا ستمر على الجميع وستزول، ولكن هناك شيئان لن يزولا أبداً، أولهما التضحية والإيثار، وثانيهما نعمة الجنة، وعذاب جهنم الأليم.

فمن التزم بالتضحية والإيثار جعل اللّه له نوراً يتميز به عن غيره في صفوف الحشر الرهيبة، وهذا باق له في عالم الخلود.

لقد أصبحت النزاعات بيننا لا تقتصر على الجهلة والأميين، بل تجاوزتهم إلى المثقفين والتجار والكسبة والطلاب، بل نرى في بعض الأحيان أن المثقف الفلاني يتنازع ويتخاصم أكثر من ذلك الذي ينعت بالأمية، ونرى الدكتور الحاصل على أعلى الشهادات جيد الأخلاق خارج منزله، لكن زوجته التي تنتظر قدومه طول النهار وتسعى ما أمكنها لإسعاده تئن من سوء أخلاقه في البيت، ونرى السيدة المثقفة المتمدنة تنسجم وتتناغم مع الكثير من السيدات في مجال عملها، وفي محل مسكنها، لكن لو تأتى لكم فتح قلب زوجها لشاهدتم ما يعاني ذلك القلب من تلك المثقفة، حتى لنسمع صوت ذلك القلب يقول:

خلصوني من ذلك العفريت الذي اسمه (شريكة حياتي).

لذا ينبغي لكم ولنا الاتعاظ بتلك الأمثال، واعلموا أن علماء النفس يقولون إن ما يحدث في المجتمع يمكن أن يعتبر مرآة لأفكار المجتمع، وحقاً ما يقولون، عليه أنقل لكم هنا أحد الأمثال العامة التي سمعناها من أفراد هذا المجتمع.

يقال إن أحد السادة صعد المنبر ليقول: من كان غير راضٍ عن زوجته فليقف، فوقف الجميع باستثناء رجل واحد ظلَّ جالساً في مكانه، عندها صاح الذي على المنبر من شدة فرحته: الحمد لله وجدنا من هو راض عن زوجته ولكن لم تمض إلا لحظة حتى صاح الجالس: كلا أيها السيد! إن امرأتي كسرت إحدى قدمي لذا لم أتمكن من القيام.

وضعنا الحالي أيها السادة يشبه ذلك الوضع بالضبط لذا لا يمكن أن نجد رجلاً راضياً ١٠٠٪ عن زوجته، وفي المقابل لا نجد امرأة راضية ١٠٠٪ عن زوجها.

إن بعض الروايات تقول: إذا كانت الخلافات تحدث بين اثنين من المسلمين فمن الأولى أن تحدث بين الرجل وزوجته كونهما يعيشان تحت سقف واحد، لذا ينبغي ومنذ اليوم الأول أن يتصالحا، ولا بأس أن تعتذر المرأة لزوجها ولو كان مقصراً، وقد ذكرت الروايات المتواترة بأن المرأة يجب أن تذهب في اليوم الأول إلى زوجها لتعتذر منه، وإلا كان ذلك في اليوم التالي، فإن توانت في ذلك ذهب هو إليها كي لا يبقى في القلب ما يجر إلى الحقد والضغينة، وهذا حتى إذا كان في الأمر خطأ أو ترجيح.

أما إذا لم تذهب المرأة في اليوم الأول ولا الثاني ولا الثالث، ولم يتنازل الرجل شيئاً قليلاً فسيبدأ الحقد يمد جذوره إلى أعماق قلبيهما، وتصبح القضية أعمق من تلك المشكلة التي بدأت بأقل من ذلك.

نقلت كتب الحديث أكثر من عشرة روايات بصدد هذا الموضوع عن الرسول الأكرم ﷺ وأهل بيته، ونقل العلامة المجلسي رضوان الله عليه أكثر من ثلاثين رواية تهتم بهذا الموضوع كلها تتعرض إلى مسألة واحدة، وهي أن أهل البيت من آل الرسول الأكرم ﷺ يقولون بخروج المتخاصمين من ربقة الإسلام إذا مضى عليهما أكثر من عشر ليالٍ بدون صلح.

إذا كنا لا نهتم بما يحدث لنا في هذه الدنيا، ولا نهتم بما سيؤول إليه أمر أولادنا، ينبغي لنا الاهتمام والتفكير بهذه الروايات، التفكير بديننا بإسلامنا وإذا ما فكرنا بذلك وجب علينا أن نبتعد عن تلك الاختلافات والنزاعات والصراعات، لماذا هذه الاختلافات الكثيرة بيننا؟.

أيها الرجل المؤمن! إذا كنت ترى من الصعب عليك بذل ما لديك من أموال على أُسرتك، فما هو ذنب تلك المرأة المسكينة التي هي في منزلك تعمل صباح مساء من أجل سعادتك؟.

أيتها السيدة المؤمنة! إذا كان زوجك لا يستطيع توفير ما تريدين من حوائج ولوازم، فلم الخلاف والنزاع؟ ولم الغضب؟ ولو اتفق أن تكوني مكانه وبهذا الراتب فهل يمكن توفير كل ذلك الذهب الذي تريدين؟ وهل يتأتى توفير كل تلك الملابس والثياب؟

فإذا لم يكن زوجك قادراً على ذلك، لماذا النزاع والجدال والغضب؟ لماذا تصرخين وتولولين هنا وهناك؟ وإذا ما أردتما تجهيز ابنتكما لتذهب إلى بيت الزوجية فما عليكما إلا أن تجلسا وتتشاورا بكل هدوء، وبكل تبسطة، بعيداً عن الغضب والانقباض، وبعيداً عن تهيئة لوازم يقترضان ثمنها من هذا وذاك لترتيب أوضاع غير مباركة،

وأقول غير مباركة باعتبار أن الاقتراض مع إمكانية ترتيب أوضاع بدونه غير صحيح.

المرأة وحديث المجالس:

لكي تضمن المرأة المسلمة سعادة الدارين (الدنيا والآخرة) لا بد أن تكون مؤمنة حقاً لأن الإيمان الكاذب ليس فقط لا ينفع صاحبه، بل يجره إلى هلاك أكيد.. فالطريق إلى الجنة كما يقول العلماء واحد وهو الإيمان الصادق، وأي لون آخر من الإيمان لن يكون نتيجته سوى النار الأبدية الخالدة، وليس للمؤمنين فضل - الرجل والمرأة - على اللّه سبحانه، بل له المنة الكبرى على الإنسان إذ هداه إلى الإيمان به، ولم يتركه هملاً كالحيوانات، يقول تعالى ﴿لقد من اللّه على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾.

من هنا لا يتفق الإيمان مع سوء الخلق، فالمرأة الواعية تعرف تماماً أن الأخلاق السيئة المتمثلة في إشاعة الفوضى الجنسية والكلام البذيء و الكذب، والغيبة، والنميمة، والبهتان والخيانة ما هي إلا درجات تسبب الانهيار، واستحقاق العذاب يوم القيامة، وتزيد صاحبها بعداً عن الكمالات الحقيقية والوصول إلى سلم النجاة والسعادة الأبدية، وما تفعله كثير من النساء اليوم في مجالسهن من الحديث على أعراض الناس بالغيبة والنميمة وقول الزور والبهتان والكذب على الآخرين، وإفشاء الأسرار الزوجية لبعضهن البعض محرم على الإطلاق، فالمرأة ترتكب الحرام من حيث تشعر أولا تشعر ولا يهمها ذلك!!.

مما يزيد من بعدها عن اللّه والمناهج السماوية التي فيها سعادتها الزوجية والأُسرية والاجتماعية.

جاء في تحف العقول عن السجاد علي بن الحسين أنه قال: كف عن الغيبة فإنها إدام كلاب النار.

وللأسف ـ قليلاً ما نرى بعض البيوت وبعض المجالس الرجالية والنسائية غير مبتلاة بالغيبة، والتهمة والشائعات والكذب والهرج والمرج والسخرية وسائر الأمراض الأخلاقية الأُخرى.

وقليلاً ما نرى أفراداً يمتنعون عن التوغل في هكذا معاصٍ خطيرة، وخصوصاً معصية الهمز واللمز السائدة هذه الأيام، أو معصيةً التجريح والاستهزاء.

فعلى سبيل المثال: يسخر الرجل من زوجته حين تطبخ غذاء لا يستهويه، أو لا يتلاءم مع طبيعة شهيته، أو تسخر المرأة من زوجها حينما تراه وقد اشترى حاجة من السوق لا تنسجم مع طبيعتها وذوقها ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾.

أيتها المرأة! اعلمي بأن سخريتك تلك ستدخلك إلى إحدى زنزانات جهنم الحامية لتحترقي ولن تستطيعي فعل شيء، بل تكرهين على القبول بتلك الحياة الأبدية. وأعلمي أن تلك النيران لن تحرق الجلد فقط بل تتعداه إلى العظم.

فالنار التي تصل إلى العظم على حد قول القرآن الكريم، حالها حال الغيبة التي تعتبر أكلاً للحم المؤمن الغائب، فلا تغتابوا أحداً، ولا تطعموا الميتة، ولا تجعلوا من بيوتكم مطاعم للجيف فتذهبوا ببركتها، كمثل البيوت التي تذهب بركتها جراء لعب ساكنها مع الكلاب والقردة.

إن تلك البيوت خالية من البركة، وخالية من اللطف الإلهي، ولا ينظر اللّه إليها ولا يمكن أن تعتبر إلا نجسة وقذرة.

إن الذي لا يكف عن الغيبة سيرى نفسه بعد مدة معتاداً عليها، أي أنها ستضحي ملكة لو لم يمتنع عن الاستمرار، وهذه الملكة هي التي ستحدد هويته، وهذا بالإضافة إلى أن الغيبة ستحول الإنسان المغتاب إلى كلب يوم القيامة، وسيرمى به في جهنم ليكون غذاؤه تلك الغيبة التي تتجسد على شكل جيفة، ولحم ميتة وللأسف أقول: أي البيوت تخلو من الغيبة؟ وأي البيوت تخلو من الاستهزاء والسخرية؟

أيها الرجل! لا تسخر من ابنك، وأنت أيتها المرأة! لا تستهزئي بابنتك ولا تحاولي تحقيرها، واسعي دائماً للحفاظ على حالة الاحترام في داخل بيتك، ولا تجرحي كبرياء زوجك، وإذا ما حدث ذلك فستبرز الغيبة بينكما، عندها تلتهب النار في بيتكم الذي طغت عليه الهوية الحيوانية بدل الهوية الإنسانية.

والأعظم من الغيبة والأسوأ هي التهمة، والفرق بينها وبين الغيبة هو: إن التهمة تعني الافتراء وإلصاق ما ليس فيه به، أما الغيبة فهي كشف العيب المستور، وتشترك التهمة والغيبة بأنهما تحدثان في غياب الشخص في بعض الأحيان، وتفترق التهمة عن الغيبة في أحيان أُخرى كونها قد تحدث بحضور المتهم.

أما بالنسبة للتجريح فقد أسماه القرآن المجيد باللمز.

إن الحديث الذي قد يتبجح به العوام من الناس، وكما هو شائع بينهم قول أحدهم لصاحبه لا تغتب فلاناً، فيجيب ما أقوله موجود فيه! وهو جواب شيطاني، لأن كشف العيب المستور يسمى غيبة، ومن اغتاب الناس سيضحي كلباً في يوم من الأيام، أما إذا لم يكن فيه ذلك العيب فيعتبر المتحدث من المفترين، فهل تعرف ماذا يقول اللّه على المفترين. إنه يقول ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللّهِ

وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾.

قال ﷺ: « إذا أتهم المؤمن أخاه انماث الإيمان من قلبه، كما ينماث الملح في الماء » .

ويقول الأستاذ مظاهري عن هذه المسألة: إن الإمام الصادق عليه السلام يتعرض في مكان آخر ويصف هذا الذي يتهم أخاه، بالوقوف على تل من قيح ودم، فإذا استغفر زال ذلك التل، وإن لم يستغفر بقي عليه لمدة ٥٠ عاماً عن كل اتهام، أو عن كل شائعة أشاعها في زمن الحياة الدنيا.

هل يمكن أن يقول أحدكم أنه لم يمارس بث الشائعات؟ إن المقدسين والمتدينين في زماننا هذا لا يتأتى لهم ادعاء ذلك، فو اللّه ينبغي لنا أن نبكي بدل الدموع دماً على مثل هذه المصائب والبلايا، فنحن السبب في وجودها.

قال تعالى في محكم كتابه بصدد الشائعات:

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾.

أي إن ما تقولونه تعودتم عليه، لذا تحسبونه هيناً، ولكنه عند اللّه عظيم، وقال أيضاً جلت أسماؤه:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾[1].

أي عليك بالابتعاد عن الشكوك والظنون، وإذا ما سمعت شيئاً فلا ترضه إلا بدليل، وإذا أردت أن تقول شيئاً يجب أن يكون مسنداً، وإلا

---

(١) سورة الإسراء/ ٣٦.

فإن سمعك وبصرك وفؤادك مسؤول يوم القيامة:

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1].

وفي يوم القيامة يختم الباري تعالى على الأفواه ويكممها لتشهد عليه يداه ورجلاه، وقلبه، وتراهم يقولون له: إنك أنت الذي كنت تغتاب، وأنت الذي كنت تستمع إلى الغيبة وتتهم هذا وتقبل التهمة على ذاك وتشيع الكذب هنا وهناك.

لذا ينبغي للجميع أن يبتعدوا عن هكذا مسائل تؤدي بهم ـ لا سمح اللّه ـ إلى جهنم الحامية، وعليهم أن يفكروا بالخروج من هذه الأزمات الخطيرة.

فالزوج يجب أن يكون صادقاً مع زوجته، وكذا الزوجة يجب أن تبتعد عن الكذب والدجل ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً كي يعم الصدق والمحبة والود جو البيت، وكي يعم الخير والبركة، ويصبح ذلك البيت ممراً لعبور الملائكة.

فالبيت الذي يملؤه الكذب، بيت ملعون، ورائحته كريهة تضج منها الملائكة في السماوات العلى، فلا تعدوا أبناءكم بما لا تريدون تنفيذه، ولا تكذبوا على بعضكم بعضاً. واتخذوا من الحقيقة والإسلام منهجاً لكم، فمن الحقارة أن يكون الإنسان الذي كرمه اللّه الباري تعالى ذا وجهين.

إن الذي نراه اليوم في السوق وفي البيت وفي الشارع، وفي كل

---

(١) سورة يس / ٦٥.

مكان ـ للأسف ـ هو الكذب، وكلما زاد في مدينة علت رائحة نتنة منها إلى عنان السماء فتضج الملائكة حينها، وتبدأ باللعن على الذي كان السبب في تلك الرائحة الكريهة.

على أية حال، علينا مثلما عليكم أن نلتزم جميعاً بقول الصدق، والإخلاص في الحديث، والأمانة في نقله، علنا نحظى بريح الجنة التي لا يشمها إلا من كان صادقاً.

وهذا بطبيعة الحال عائد لمرض النفس، فعندما يصاب الإنسان بالأمراض النفسية وعقدة الحقارة الخطيرة، أو المرأة عندما تصاب بمرض الغرور والتكبر وسوء الخلق ولا ترعى للّه سبحانه وتعالى حرمة إلا وترتكبها، لا شك أن الشيطان يعشش في مثل هذه البيوت ومثل هذه الأنفس.

قيل لبعض الصالحين: كيف أصبحت؟ فقال: كيف يصبح من صحبته مع نفس معجونة بالشهوات في دار مملوءة بالآفات، تعد عليه الأيام والساعات، ويحاسبه في جمع علام الخفيات؟.

وفي بعض الخطب: تنبهكم الآيات عن رقدة الإغفال وتهجعون، وتجليكم المثلات عن مشرع الإهمال وتشرعون. ما للبصائر في الاختيار عليلة؟ ما للأبصار في الاعتبار كليلة؟ ما للنفوس على الهوى عاكفة؟ ما للقلوب إلى المنى عاطفة؟ إن الهوى مرض القلوب واجتنابه شفاؤها، والشهوة قيد النفوس ورفعها جلاؤها.

حدث بعض الصالحين قال: أرقت ليلة فقمت إلى وردي فلم أجد ما كنت أجد من الحلاوة، فأردت أن أنام فأقض المضجع، فخرجت من الباب فإذا رجل على الطريق في عباءة فسماني، فقلت: نداء من غير معرفة، وطريق من غير مواعدة! فقال: سألت مالك القلوب أن يحضر

لي قلبك، قلت: قد فعل فما رأيك؟ فقال: متى يصير داء النفوس دواؤها؟ فقلت: إذا خالفت النفس هواها صار دواؤها، فأقبل على نفسه فقال: اسمعي قد أجبتك بهذا سبع مرات فأبيت أن تسمعيه مني، قد سمعت فانصرفي.

ومما يحكى في قمع الهوى ما قال ارسطاطا ليس للاسكندر: احفظ عني ثلاث خصال فيها صلاحك وصلاح رعيتك، قال: وما هي؟ قال: صل عجلتك بتأنيك وسطوتك برفقك، وضرك بنفعك، قال زدني، قال: انصر الحق على الهوى تملك الأرض ملك استعباد[1].

ينبغي للمرأة أن تكون جبانة!!:

تحدث بعض العلماء المفكرين عن مفهوم الجبن في حياة المرأة المسلمة، وهل هو محبب أم مذموم؟

فأجاب بقوله:

توصلنا في بحثنا إلى أن هناك فرقاً بين الأخلاق والسلوك، إن الأخلاق هي عبارة عن مجموعة من الخصال والسجايا والملكات المكتسبة يرتضيها الإنسان بوصفها قواعد خلقية، وبعبارة أخرى هي قالب روحي للإنسان، تصهر روح الإنسان في ذلك القالب الذي هو أمر مطلق وعام ودائم، إلا أن سلوك الإنسان الذي هو عبارة عن تطبيق تلك الروحيات في الخارج يختلف تبعاً للظروف المختلفة، وبعبارة أخرى: إن مظاهر الأخلاق الإنسانية وتجلياتها تختلف باختلاف الظروف، ففي ظرف ينبغي أن يكون نفس الإنسان في مكان ما بشكل وفي مكان آخر يكون له شكل آخر، فهناك فرق كبير بين أن نقول إن الإنسان نفسه يتغير بتغير العصور والأمكنة، وبين أن نقول: إنه يمكن أن تكون للإنسان

قابلية عالية وسامية في المحافظة على أصالته، ولكن تختلف فيه مظاهر السلوكية باختلاف الأزمنة والظروف المختلفة.

من المحتمل أن يقال: إن هناك توجيهات في الإسلام بشأن أخلاقية المرأة والرجل، وهناك بعض الأخلاقيات التي ارتضاها للرجل ولم يرتضيها للمرأة، وبالعكس فهل تختلف الأخلاق في نظر الإسلام؟ وتختلف الأطوار الإنسانية؟ بحيث يجعل الإسلام لهما نوعين من السلوك يتقلبان في إطارهما روحياً؟ وأن المرأة ينبغي لها أن تصنع في قالب نسميه خلقاً والرجل في قالب آخر؟ فإذا كان الأمر كذلك فإذن يتضح أن القول بأن الأخلاق حقيقة مطلقة وثابتة قضية متزلزلة، وأنه لا أساس لهذا الكلام وأول دليل يقام على ذلك هو تفريقه بين المرأة والرجل.

توجد في نهج البلاغة جملة من المحتمل أن يطرحها شخص، تقول خيار خصال النساء شرار خصال الرجال: الزهو والجبن والبخل، نعلم أن التكبر قد عرف بأنه خلق سيء جداً وحتى في نظر علماء النفس عد نوعاً من الأمراض النفسية، وأما الجبن فواضح أمره فهو ضعف وعجز، وأما البخل فهو ليس إلا حب المال، وهذه أخلاق وسجايا تعد من أقبح ما يتصف به الرجل، وفي نهج البلاغة يقول عنها: أنها أحسن خصال المرأة وسجاياها، وينبغي لها أن تتحلى بها، فكيف ذلك؟ بعد ذلك يعطي توضيحاً يحل لنا هذه المشكلة: فإذا كانت المرأة مزهوة لم تمكن من نفسها، وإذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال بعلها، وإذا كانت جبانة فرت من كل شيء يعرض لها.

والجواب:

في البداية أعرض موضوعاً قد يؤدي إلى تصور أني أريد القول: إن هذا الحديث ليس قوياً جداً، ولكن ليس الأمر كذلك، فعلينا أولاً:

أن نرى ما هو مفهوم هذه الجملة ومعناها الواقعي، وما الذي يريد أن يقوله الإمام ؟ وثانياً: هل إنها تتفق مع سائر التعاليم الدينية الواقعية في صلب الإسلام ومن بينها كلماته نفسها؟.

إن المقدمة التي أريد أن أذكرها هي ما يراه الإنسان من الألفاظ المرتبطة بحالات الإنسان النفسية قد تستخدم لا باعتبار تلك الحالة النفسية، بل باعتبار الأثر الذي عادة ما يصدر عن الإنسان في تلك الحالة النفسية، مثلاً العطف أو الرحمة، فإنه حالته النفسية وإحساسه بعنوان أنها حالة نفسية، وأحياناً تستخدم في الموضوع الذي يظهر فيه أثر ذلك الإحساس حتى وإن لم يكن له وجود، فنقول: إن فلاناً يعطف على فلان، أي يعمل من أجله شيئاً فيه نوع من العطف، سواء كانت فيه حقيقة العطف أم لم تكن؟ أو مثلاً في مورد اللّٰه سبحانه تستخدم هذه اللغات الإنسانية في حين أن هذه اللغات لا تصدق على اللّٰه في مفهومها الإنساني، إلا أنها صادقة في مفهوم أثرها كأن نقول: ﴿اللّٰه يستهزئ بهم﴾، أو أن نقول: إن اللّٰه يستحيي من هذا الشيء، والحياء لفظ وضع للإنسان، فالحياء في الإنسان حالة عفة وانفعال وخجل وتأثر، إنه حالة نفسية، ولا يصح التأثر والانفعال بالنسبة للّٰه سبحانه، ولكن أحياناً يكون السلوك الذي يتخذه اللّٰه في قبال الإنسان نظير الحالة التي تصدر عن الحياء والخجل، فيقال: إن اللّٰه يستحي، يقول (سعدي) في بداية (الكلستان):

يدعو العبد أول مرة فلا يستجاب له، فيدعو مرة ثانية وثالثة، وبعد ذلك يصل الخطاب: يا ملائكتي أجيبوه فقد استحييت من عبدي، وكذلك الاستهزاء بالنسبة للإنسان حالة روحية لها انعكاسات، ولكن قد يفعل اللّٰه فعلاً ببشر يجعله في معرض سخرية الناس، فيقول تعالى: ﴿اللّٰه يستهزئ بهم﴾.

ولا يختص هذا الأمر بالله، وإنما في موارد أخرى كثيرة تستخدم هذه الألفاظ في مورد البشر أيضاً، ولكن باعتبار السلوك الذي عادة ما يكون معلولاً لتلك الحالة ولكن كيف؟

الألفاظ الثلاثة التي وردت هنا وهي (التكبر والجبن والبخل)، إن من الواضح كون التكبر حالة نفسية لدى الإنسان، (أذكر لكم قرائن قبل أن أشرح لكم هذا الحديث) قالوا لنا: التكبر على المتكبر عبادة، لا يريد أن يقول: إن التكبر بعنوان أنه حالة نفسية وهي العجب ممدوحة، ولو واجهت شخصاً متكبراً فكن متكبراً في الواقع، بل إنه يريد أن يقول: كن متواضعاً دائماً ولا بد أن تكون نفسك متواضعة دوماً إلا أن سلوكك مع الإنسان المتكبر ينبغي أن يكون استعلائياً حتى تمرغ أنفه في التراب، فلا يتكبر بعد ذلك.

أما مسألة الجبن، فهي أيضاً هنا ناظرة إلى مسألة عفاف المرأة لا إلى مسألة الجبن والشجاعة المطلقة، إن الشجاعة بما هي خلق روحي وحسب المصطلح امتلاك قوة قلبية وعدم كون الإنسان رعديداً صفة ممدوحة في الرجل والمرأة أيضاً، لا يقول الإسلام أبداً: يحسن بالرجل أن يكون شجاعاً قوي القلب ولكن المرأة من الأفضل لها أن تكون جبانة، والدليل على ذلك أولاً: إن ما لدينا في باب مدح الشجاعة وذم الجبن ـ وهو كثير ـ ليس فيه اختصاص بالرجل والمرأة، بل إنه شامل لهما معاً، ثانياً: إن سيرة النساء المسلمات كانت شجاعة دائماً، أي مدحت النساء المسلمات ومجدن بالشجاعة، لأن (الشجاعة) معناها هي اللامبالاة وعدم الخوف وأن يقف الإنسان أمام الخطر ولا يردعه تفكيره في حياته أو ماله ولا يتراجع، وأن يكون مضحياً ومستعداً لترك حياته وماله ليقف بوجه العدو.

قصة صفية ابنة عبد المطلب:

تذكر في التاريخ الإسلامي قصة صفية ابنة عبد المطلب بوصفها قصة حماسية وقابلة للثناء وأنها الشيء الذي يتوقع من امرأة هاشمية، في حرب الخندق حيث حوصر المسلمون وقد أحاط بهم الكفار، وضع الرسول الأكرم ﷺ النساء في ملجأ خاص، وكان هناك حسان بن ثابت، وهو شاعر معروف، قام بخدمة الإسلام بلسانه كثيراً وهو مخضرم عاش في الجاهلية والإسلام، يعد من شعراء الطبقة الأولى عند العرب، وهو أيضاً أكثر الشعراء الآخرين، والذين يمتهنون حرفة الكلام ويصرفون طاقاتهم فقط في التكلم ويضعفون في مقام العمل (كان ضعيفاً في العمل)، فعندما احتدم القتال ترك ساحة الحرب، واختفى بين النساء، واتفق أن وصل أحد أفراد العدو فعلم بهم وحاربهم وكانت النتيجة ان دافعت صفية عنهم.

المرأة وحمل الأمانة:

بما أن المرأة صاحبة عفة، فهي تحمل على عاتقها أمانة إنسانية كبيرة، لا أنها تمتلك حقاً خاصاً بها إن هي تسامحت فيه فقد تسامحت في حقها الخاص، بل إنها لو تسامحت فيه فقد خانت الأمانة الإنسانية، وعلى الرجل أيضاً أن يكون عفيفاً والمرأة كذلك، ولكن نعلم لو أننا ملأنا أسماع الدنيا بقولنا بمساواة حقوق المرأة والرجل فليس هناك من يتمكن من إبداء التشابه بين المرأة والرجل.

لا شك في أن المرأة تشارك الرجل في بعض الأمور الإنسانية وتخالفه كيفياً في بعض الأمور الأُخرى، ولذلك تكون عفة المرأة مورداً للانتهاك من قبل الرجل، ولكن لا يمكن أبداً للمرأة أن تنتهك عفة الرجل، ونحن حتى في عصرنا الحاضر في أوروبا وأمريكا أيضاً لم نسمع

أن الرجل الفلاني انتهكت عفته من قبل المرأة الفلانية، إن الرجل يختلف أساساً عن المرأة، وأنتم تشاهدون دائماً شابين يقفان أمام باب إعدادية البنات ويقومان بإيذاء مائة طالبة، ولكن هل رأيتم لحد الآن، قامت بعض البنات بالوقوف أمام الرجال بتلك الطريقة، إن المرأة هي المسؤولة بالدرجة الأولى أن على المحافظة على هذه الأمانة الاجتماعية والخلقية والإنسانية.

وإن هذا الحديث الذي يوصي المرأة فقط أن يكون سلوكها جباناً يريد أن يقول: إن المرأة أمام الرجل الأجنبي، وفي مسائل خاصة مرتبطة بالعفة لا تعد لها حشمة ولا تخاف، إن الشجاع هو الذي لا يخاف في مقام التضحية، فالتنازل عن الحق تضحية، ولكن لو أخذت منك العفة فإنك لم تضح وإنما قمت بخيانة الأمانة، فوصية الإمام علي عليه السلام أن على المرأة أن تكون على حذر وأن يكون سلوكها جباناً، وذلك ليس في مطلق الأمور، بل في مورد تكون فيه العفة مهددة.

المرأة والغيرة المفرطة:

تعد الغيرة المفرطة من الأخلاق البيتية التي تسبب انهيار الأُسرة عن بكرة أبيها، فتحول حياة الزوجين إلى دمار لا يحمد عقباه، وما تزايد عدد حالات الطلاق في المجتمع إلا بسبب هذا العامل، وما أقدم رجل على قتل زوجته إلا بسبب هذا العامل، وما أقدمت امرأة على قتل زوجها إلا بسبب هذا العامل، أنه خطر وخطير جداً، حيث يؤدي إلى ضياع الاستمرار العائلي، ونتيجة لذلك قد يبدأ الزوجان البحث عن هذا الاستقرار خارج إطار الأُسرة، فيكثر التغيب خارج المنزل ابتعاداً عن المشاكل، مما يؤدي بالزوجة إلى أن تفسر كل تحرك من الزوج بظن سيئ وأنه على علاقة مع امرأة أُخرى، فكلما تأخر يفسر بالسوء وبمجرد

أن يتصل بالتلفون شكت في أمره أو أن الزوج يفسر كل حركة من زوجته بالشك والريبة، وهكذا يبدأ كل واحد منهما يضيق الخناق على الآخر، فتسوء العلاقات بينهما وتصبح الحياة غير مستساغة، وتبدأ المناقشات والمشاحنات في محاولة للدفاع عن النفس ورد الاعتبار.

يقول ﷺ: من الغيرة، غيرة يبغضها اللّه ورسوله وهي غيرة الرجل على أهله من غير شك.

فمثلاً نرى أن زوجاً من فرط غيرته على زوجته يقفل عليها الأبواب عند خروجه من المنزل.

طبعاً الغيرة من الرجال ضرورية في حدود حفظ المرأة، وصون عرضها، والمحافظة عليها، والاهتمام بها.

يقول الرسول ﷺ: إن اللّه يحب كل غيرة ولغيرته حرم الفواحش ظاهرها وباطنها.

إن هذه الغيرة يجب أن تكون في أطر الضوابط الشرعية ولا تكون سبباً للخلافات، فالمطلوب من الزوج أن لا يبالغ في البحث عن عيوب زوجته حتى لا يجرح كرامتها ولا يخدش كبرياءها، يقول الحديث الشريف: نهى رسول اللّه أن يتبع عورات النساء وأن يتعنت بهن.

وإن الكثير من حالات الطلاق في مجتمعاتنا كانت بسبب الغيرة، أو لا أقل كانت بدايتها الغيرة المفرطة لما تتركه من الأثر الهدام على الأسرة.

يقول ﷺ: إياك والتغاير في غير موضع غيرة فإن ذلك يدعو الصحيحة إلى السقم والبريئة إلى الريب.

ولا تقتصر الغيرة على الرجل فإن غيرة المرأة كذلك تؤدي إلى

عواقب وخيمة، لذلك نرى الرسول ﷺ اعتبر صبر النساء على الغيرة بمثابة الجهاد ففي الحديث: «كتب الجهاد على رجال أمتي والغيرة على نسائها فمن صبرت منهن واحتسبت أعطاها اللّه أجر شهيد».

رأي الأستاذ مظاهري:

عندما يتمكن أعداء الإنسانية من إذهاب حياء النساء، وإشغالهن بالشهوات، وبعد أن يتمكنوا من قتل رجولة الرجال وسحق غيرتهم، بحيث يضحي الواحد منهم لا يتحرك له ساكن حينما ينظر أجنبي نظرة محرمة إلى ابنته بشهوة، عندها يجب أن نقرأ الفاتحة على هكذا مجتمع، ولا أريد أن أسود صفحات مجتمعنا الإسلامي بما يحدث له من جراء المساوئ الأخلاقية الفادحة، وما يحز في قلب المؤمن أن يسمع هنا أو هناك انتهاكات أعراض النساء، و يا ليت هذا من الأجانب فحسب، بل من أهلك و أبناء مجتمعك الإسلامي أيضاً، في أي قرن نحن الآن!!يقول الأستاذ مظاهري عن وضع الزمان الذي أدركه:

هل تعلمون لماذا نصب رضا خان الشقي، وملك تركية في العصور السابقة ورفعت أعلامهما المشبوهة في وقت واحد؟ إنهم فعلا ذلك حتى يتملكنا من جر النساء إلى السفور.

وفي البداية لم يكن رضا خان يريد أن تبلغ النساء تلك الحالة المزرية، وله في ذلك الأمر مستمسكات، حيث كان يقول في كل مجلس يجلسه: «إنني لم أكن أرغب في أن تبلغ المسألة هذه الوخامة، بل أردت فقط نزع الإزار من على رؤوس النساء، ولكن النساء وبعد نزع إزارهن طلبن أكثر من ذلك وجرين وراء الحياة القذرة».

كنت حينها طفلاً صغيراً لا أتجاوز الأربع أو الخمس سنين، حيث كان أزلام رضا خان ينفذون عملية منع الحجاب في كل أرجاء البلد،

ومن جملتها مدينة أصفهان التي كانت نساؤها يخاطبن أزلام السلطة ويرجونهم بعدم سلب الحجاب منهن، ولكن المنفذين لتلك الأحكام كانوا يرددون قول: «لا نبغي شيئاً غير سلب الإزار فقط.

لكن الإنجليز حينها كانوا يعلمون بأن سلب الإزار من النساء سيكون بداية سلب الحجاب الإسلامي من البيت الإسلامي، وقد تمكنوا من ذلك وأوصلوا النساء إلى حالة يرثى لها، حيث كان البعض من النساء يفتخرن بخلاعتهن أمام الملأ العام.

قرأت في إحدى المجلات أن إحدى نجمات السينما من اللواتي خرجن على الحياء كانت تسير مع زوجها في الشارع، فجاء إليها جمع من المصورين لتصويرها وهي تلبس فستاناً أشبه ما يكون بلباس النوم الشفاف، وعندها فتحت أزرار ذلك الفستان لتبدي صدرها، لكن المصورين طافوا حولها لكي يمنعوا الناس من مشاهدتها، بعد ذلك التفتت إلى زوجها ـ الغيور جداً ـ لتقول: عجباً لإبداء هذه النجابة الحمقاء من قبل هؤلاء المصورين! أي كانت تريد القول إنها ترغب في الظهور عارية أمام المجتمع، وما سدها لأزرار الفستان إلا كرهاً وجبراً، ولو كان الأمر يقتصر عليها لبدت بدون ذلك الفستان.

إن الأعمال التي كان يمارسها العدو كانت بأمر إنجلترا آنذاك، وإن جميع المستغلين والفراعنة والإنجليز وغيرهم كانوا يرغبون ولا زالوا يودون إفساد الجيل الحاضر والقادم من خلال إشاعتهم للفحشاء حتى يتمكنوا من إحكام سيطرتهم على الشعوب.

وبناء على هذا فسر بعض المحققين الآية ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ﴾ على أن فرعون أراد إذهاب روح الرجولة من الوسط الرجولي، وإذهاب الحياء من النساء كي يتمكن من التسلط على

رقابهم بسهولة، أي أن أحد أعمال فرعون الوضيعة هو سحق الجيل الذي سيلي جيل زمنه معنوياً وروحياً ليضحي متنكراً للفطرة السليمة، وحينما ينحط الجيل لا يتأتى له التفكير بتشكيل الأُسرة.

ولهذا أكد القرآن الكريم والروايات المنقولة عن الرسول الأكرم ﷺ وأهل البيت عليهم السلام على مسألة تشكيل الأُسرة، لكون الجيل السليم يمكن أن يأتي بالتمدن، والجيل السليم يتحرق لمجتمعه، وكذا يمكن له أن يعمر البلاد، ويرفع من مستوياته العلمية.

أما الجيل الوضيع، والمريض نفسياً ـ وهو مراد الصهاينة ـ فلا يمكن أن يقدم غير الشر والبغي والظلم.

إن البرامج الصهيونية تركز على مسألة تضييع النسل والجيل القادم في غياهب الظلم والجور والفساد، وهذا ما تأكد لنا من مقولة الصهاينة التي يسعون دائماً إلى إدخالها حيز التنفيذ ألا وهي: قتل ثلثي العالم من أجل جر الثلث الثالث إلى مذهب (دوركهايم).

(ودوركهايم هذا كان صهيونياً)، أو أخذه إلى مذهب ماركس، (وهو من كان يعتقد بشيوعية الجنس، وكان هو الآخر يهودياً)، أو مذهب فرويد اليهودي أو نيتشه اليهودي.

إن أصحاب المذاهب الغربية جميعهم يهود وصهاينة، ومن كان يهودياً صهيونياً هل تتوقع منه الخير للجيل الجديد؟

إن تلك الحفنة القذرة وقفت أمام الإسلام الذي يقول بتربية النشء تربية إسلامية إنسانية، ويعد ذلك أفضل من بناء المسجد الذي يعبد فيه اللّٰه تبارك وتعالى، وأفضل من الذهاب إلى بيت اللّٰه الحرام، بل وأفضل من أسمى العبادات.

إن البعض من المسلمين يستطيع فعل الخير على شتى المستويات، لكنه لا يستطيع تقديم اثنين من أبنائه، بعنوان صالحين إلى المجتمع الذي يعيش فيه، ومن جهة أخرى نرى شخصاً آخر يتمكن من تقديم أبناء صالحين للمجتمع الإسلامي في الوقت الذي لا يتأتى له فعل الخير، وهنا نقول من هو الأفضل بنظركم؟

إن الإسلام العظيم يقول بأفضلية الأب الذي يقدم أبناءً صالحين للمجتمع على ذلك الذي لا يتأتى له ذلك بالرغم من أفعاله الخيرة.

وبناء على ذلك أبارك للنساء اللواتي عرفن كيف يحسن تربية أبنائهن، وعرفن كيف يقدمن ثلاثة أو أربعة أبناء صالحين للمجتمع، إنهن وبالرغم من انشغالهن اليومي بالجهاد المنزلي، وجهاد حسن التبعل، تعتبر منازلهن أماكن مقدسة تدر عليهن الثواب الجزيل والأجر الجميل جزاء تقديمهن الجيل الخير الإنساني الصالح ﴿من أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾.

وعليه أطلب من النساء والرجال أن يحذروا تقديم أبناء غير صالحين إلى المجتمع، وعندها يكون المجتمع ملوثاً بأفراد لا خير فيهم ولا نفع.

المرأة والوعي الثقافي:

الثقافة كما تفيد اللغة هي المعرفة التي تؤثر في عقيدة الإنسان وسلوكياته الخارجية مما تسبب انعكاسة واضحة في فكره وحديثه وسلوكه العام، سواء على صعيده الشخصي أم العائلي أم الاجتماعي، كما يقول الفلاسفة في تعريفهم وعلماء التاريخ في مصادرهم وغيرهم أنها العامل الذي يؤثر في بناء الإنسان عقلاً وروحاً ومعنىً، وهي أيضاً مجموعة أمور تؤثر في الإنسان في كل جوانب حياته اليومية، ولذلك

نرى المرأة الواعية ملتزمة التزاماً عاماً بمفاهيم وبصائر القرآن والسنة والتعاليم والأخلاق والدين الحنيف، سواء على الصعيد الشخصي لها أم الصعيد العائلي، أم الاجتماعي مع سائر طبقات المجتمع الإسلامي.

ولذلك نراها ـ أي المرأة الواعية ـ تسعى جاهدة من أجل إحداث انقلاب ثقافي وتغيير جذري في مسيرة المجتمع الإسلامي نحو الأفضل. فهي امرأة تقتدي بدعوات الأنبياء، لأن دعواتهم كانت ربانية توحيدية ترتكز على الإيمان بالله والعبودية له وتحرير العقل البشري من الجهل والخرافة والظلم والاستعباد من التوحش إلى الإنسان وهمجيته المتزايدة المتأصلة في فطرته، فهي تسعى لإيجاد الإصلاح الجذري الشامل الكامل والمحفز لمسيرة المجتمع والأسرة معاً.

والمرأة الواعية ـ عزيزي القارئ ـ تنظر إلى المجتمع الإسلامي على أنه وحدة متكاملة الجوانب والحاجيات إذ ليس في نظرها أن يرتفع مستوى معيشة الناس ولا ترتفع وترتقي مستوياتهم الأخلاقية والدينية والتربوية، لأنه الفساد بعينه وحقيقته، كما هي الحضارة الأوروبية اليوم، جواهر فارغة من المعنى ومظاهر براقة خالية من الجوهر... إن الإصلاح الحقيقي نحو وعي شامل للمرأة المسلمة اليوم يبدأ بالالتزام بمضامين ومناهج السماء التي جاء بها الأنبياء والرسل وأهل البيت والصحابة والعلماء (رضوان الله عليهم). وإلا لا حياة، ولا سعادة، ولا نجاح..

إننا اليوم في أمس الحاجة إلى امرأة عالمة ومثقفة أيضاً، إذ لا ينفع المجتمع امرأة عالمة ليس لها دراية وثقافة، في مجتمعنا اليوم _ولله الحمد_ كثير من العالمات في شتى التخصصات المختلفة، لكن و_للأسف الشديد_ قليل منهن مثقفات، وأقصد هنا بالمثقفة هي التي تستطيع أن تكسر حاجز الهوى والشهوات وتعمل وفق متطلبات الدين والعلم

والتقدم والعقل، وإلا فتصبح المرأة مفسدة في أسرتها ومجتمعها أكثر من إصلاحها، وهنا تكمن الطامة الكبرى.

ومن يراجع المصادر التاريخية يرى كم سطر التاريخ أسماء شهيرات في العلم والثقافة، حيث استطعن أن يغيرن التاريخ ومسيرة أهله.

رقيقة بنت صيفي الهاشمية نموذج:

شاعرة من شو اعر العرب ذات فصاحة وبلاغة، وقد كانت من أحسن الناس إسلاماً، حيث كانت تشد عزم أبنائها وجيرانها على الإسلام، وكانت من النساء العالمات الفاضلات المثقفات اللاتي استطعن أن ينجحن في تبليغ الدعوة إلى الناس، وقد كانت تراقب تحركات قريش ضد النبي ﷺ و هي أول من أخبر النبي ﷺ بموقف قريش ضده فقد سعت حتى استطاعت أن تجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات وتزود بها النبي ﷺ ومن بين المعلومات التي جمعتها أن قريش تنوي قتل النبي ﷺ وهو على فراشه، وكان تقريرها في غاية الإيجاز إذ قالت: إن قريشاً تريد بياتك الليلة.

فتحول الرسول(ص) عن فراشه وبات مكانه علي بن أبي طالب.

المرأة والوعي الديني:

إن الوسيلة التي تصل بها المرأة إلى سلم الكمالات والنجاة غداً بين يدي اللّٰه سبحانه وتعالى، هي تربية المرأة على الوعي الديني، لأنه طريق سعادتها وحريتها وكرامتها ونجاتها نحو حياة سعيدة.

ويجب أن تعرف المرأة الواعية أن الدين تربية قبل أن يكون تعليماً، والدين يزكي النفس ويصفيها من القاذورات الشهوانية، والأمراض الأخلاقية، ويجعلها العنصر الصالح المثمر نحو حياة سعيدة في

الدنيا والآخرة.

يقول تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾.

يقول بعض الباحثين: إن الكتاب المبارك هو للأميين يتلونه تزكية لهم، ثم يكون تعليماً وحكمة.

إذن فالجانب التربوي أهم الجوانب وهو الجوهر الدافع للدين، يفقد الدين من فقده، ويجده من وجده، ولا تكون المرأة مؤمنة حتى تكون بها هذه الجوانب العلمية والعملية في حياتها الفردية والأُسرية والاجتماعية.

إن المرأة المؤمنة تمتلك وازعاً إيمانياً ودينياً عن اقتراف الجرائم الصغيرة والكبيرة، وما نراه اليوم من أمراض أخلاقية ودينية وتربوية متفشية في حياة كثير من النساء المسلمات، ما هو إلا دليل واضح على فقدان الوعي الديني المغير في حياتهم الفردية والأُسرية والاجتماعية.

إن أي امرأة في الحياة تفقد دينها، يخرجها الشيطان والهوى والنفس الأمارة ورفقاء السوء من دينها والتزامها وأخلاقها مما يسبب لها الخسران المحتوم في الدنيا والآخرة، كما هو الحال في وضعية المرأة الغربية والمرأة العربية اليوم، عندما أرادت أن تسبق ركب الحضارة، يكفي شاهداً على ذلك الإحصائيات التي كتبها صاحب كتاب الابتزاز الجنسي (لين فارلي) حيث فضح مؤلفه أوضاع المرأة الغربية وكيف تعاني المشاكل العويصة بين فقدانها الوازع والإيمان والدين معاً.

الابتزاز الجنسي نموذج:

الاستفتاء الذي قامت به جامعة كورنل ١٩٧٥ م بين عدد من العاملات في الخدمة المدنية ـ عن رأيهن في الاعتداء الجنسي عليهن، أو المضايقة من جانب الرجل وجاءت النتيجة بأن ٧٠٪ تعرضن لذلك وأن ٥٦٪ منهن اعتدي عليهن اعتداءات جسمانية خطيرة.

استجوبت ٨٧٥ من السكرتيرات العاملات في الأمم المتحدة عن الابتزاز الجنسي فأجابت ٥٠٪ منهن أنهن تعرضن للمضايقات والاعتداءات الجنسية.

كما استجوبت ٣٣٣ شرطية فأجابت ٥٠٪ منهن أنهن تعرضن للاعتداءات الجنسية من رؤسائهن، وأن من لا ترضخ لرئيسها في هذا الأمر تتعرض لعقوبات مختلفة ولا تعامل معاملة طيبة كمن تقبل ذلك.

وقد تعرضت ضابطة في بوليس واشنطن للطرد من عملها، لأنها بعد أن اغتصبها أحد الضباط قدمت شكوى ضده، ثم رأت أن لا فائدة ترجى من الشكوى فسحبتها، فاعتبر ذلك دليلاً ضدها لأنها أساءت إلى سمعة ضابط بغير دليل فطردت من الخدمة. وكانت قبل ذلك تتعرض لمضايقات كثيرة من كثير من الضباط، وكلما رضخت لواحدة ازداد طابور المنتظرين، واستمر ذلك حتى فصلت من عملها كلياً، وهي الآن تعيش تعيسة بغير عمل علماً بأنها قد حصلت على ثلاث ميداليات لإخلاصها وتفانيها في العمل.

الابتزاز الجنسي في الجامعات!:

ليس أمر الابتزاز الجنسي قاصراً على فئة بعينها، بل إنه منتشر في كل مكان وحتى بين المثقفين والمثقفات على أعلى مستوى، لقد عم هذا

الأمر جميع المعاهد والجامعات فإن الطالبة التي تدرس دراسة عليا لتحصل على درجة الامتياز لا بد لها من إرضاء المشرف على الدراسة جنسياً ودراسياً.

تقول إحدى الدارسات الحاصلات على درجة الدكتوراه في علم النفس إن رئيسها المباشر في الجامعة ابتدأ في معاكستها، وهي لا تستطيع أن ترفض طلبه؛لأن مستقبلها الدراسي ـ قبل حصولها على الدكتوراه ـ كان بين يديه، وهي لا يمكنها أن تضحي بمستقبلها لو رفضت، تقول:

ولولا رضوخي لما كانت هناك امرأة في هذه الدرجة العلمية، واستمرت علاقتها معه عامين حتى أتمت دراستها وحصلت على درجتها فقطعت العلاقة الجنسية به، وإنها لم تكن لتستطيع الحصول على شهادتها العليا إلا بذلك الثمن.. وياله من ثمن؟؟؟.

هذا الابتزاز الجنسي منتشر في كل مكان... فلمن تقبله العلاوات والترقيات، ولمن ترفضه الخصم من راتبها، واتهامها بالتقصير حتى تضطر ـ إن ظلت متمسكة برأيها ـ إلى الاستقالة من عملها».

هذا الوباء الناجم عن الحرية الشخصية للمرأة لايقف عند حد المرأة الغربية، بل سرت العدوى إلى المرأة في جميع أنحاء العالم ومنها المرأة العربية والمسلمة التي خدعت بهذا البريق وهذه الجلجلة، غافلة أو متغافلة عما ينتظرها من سوء العواقب ـ كما هو شأن المرأة الغربية التي أفاقت على شر أعمالها وسوء عاقبتها ـ إذا هي واصلت هذا الطريق... وبئس الطريق!!.

والحق أن بعض مساوئ عمل المرأة واختلاطها وربما خلواتها بالرجال أحياناً انتقلت إلى بلادنا الإسلامية، وقد يصل الأمر إلى

اغتصاب العاملات في كثير من المجالات.. فهل هذا يرضي المرأة المسلمة وهل هو ما تسعى إليه؟

إن حرمة الأموال بين الغربيين مرعية، وحرمة الأنفس ليست كذلك ولو لم يتناسب مع طبيعتها، وهذا هو مفهوم حرية المرأة عندهم وهو العمل في أي مجال وإباحة الأعراض بغير قيود.

فهل تريد المسلمة التي تدعو إلى حرية المرأة هذا الخلط العجيب والضرب الغريب للحرية؟ وقد أدت هذه الحرية إلى انهيار الأُسرة بشكل لم يعد يثير نفوراً عندهم بل إنه صار أمراً مقبولاً، وهاك صوراً من الانهيار الأُسري عندهم.

الأسرة في الغرب نحو الهاوية:

في ٢٩/ ٥/ ١٩٨٠ نشرت جريدة الشرق الأوسط الصادرة في لندن أن ٧٥٪ من الأزواج يخونون زوجاتهم، وأن عدداً أقل من ذلك من الزوجات يفعلن نفس الشيء، ويعلم أحد الزوجين بخيانة الآخر، دون أن يؤثر ذلك على استمرار الحياة الزوجية بينهما، وقد أذاع التلفزيون الفرنسي في ٢٣/ ٩/ ١٩٧٧م أن المحكمة ردت الدعوى التي أقامها زوج ضد زوجته التي خانته مصحوبة بالدليل لأن المحكمة رأت أن ليس من حق الزوج التدخل في الشؤون الخاصة بزوجته.

ولقد طغت المادة على كل شيء فلم تعد هناك مروءة أو كرامة أمام المال وتأثيره البالغ، فالمال هو كل شيء حتى أن الأُسرة تتخلى عن بعض أطفالها مقابل حفنة من الدولارات أو الجنيهات، لقد نشرت صحيفة أخبار العالم بتاريخ ١٥/ ٥/ ١٩٧٧ أن زوجين كان عليهما أن يختارا بين طفلتهما المولودة حديثاً وبين السيارة التي كلفتهما أكثر من ثلاثة

آلاف جنيه، لأنهما لا يستطيعان الجمع بين الاثنين معاً فاختارا السيارة... وذكر الأب أنه ترك ابنته في المستشفى للتبني، لأنه إن لم يفعل ذلك يتعين عليه أن يبيع السيارة، والطفلة قد تجد عند غيرنا - ممن يتبناها - ما ليس عندنا.

وذكرت الأم أنها لا تريد أن ترى هذه البنت، وهي تفكر في أنها -البنت- ستكون سعيدة في أسرة أخرى وأكدت أن ما تفعله هو الصواب.

نشرت جريدة الشرق الأوسط في ٨/٢٧/ ١٩٨٠م أن مطلقة بريطانية عرضت ابنها الوحيد للبيع بمبلغ ألف جنيه لأنها لا تستطيع الإنفاق عليه وليس لديها دخل لإعاشتها.

والأمهات في الغرب يواجهن أزمات نفسية خطيرة، لأنهن يضطررن للعمل والخروج، ثم يعدن مرهقات - وليس لهن أزواج يحملن عنهن بعض الأعباء - فتواجه الأم طفلها الذي لا يكف عن البكاء أو الصراخ مما يفقدها اتزانها فتضربه ضرباً مبرحاً، أو مؤدياً إلى عاهات مستديمة، وكثير من الأمهات والآباء يقومون بتسميم أطفالهم بإعطائهم السموم والعقاقير الخطيرة.

وقد دخل مستشفيات بريطانية عام ١٩٦٧م أكثر من ٦٥٠٠ طفل مضروب ضرباً شديداً ومات منهم ما يقارب من ٢٠ ٪ وأصيب الباقون بعاهات جسدية وعقلية مزمنة وأصيب منهم المئات بالعمى وآخرون بالصمم وآخرون بالشلل نتيجة الضرب المبرح.

ويرى الطبيب إيلي رئيس أقسام الأطفال في مستشفيات بريستول ببريطانيا أن هؤلاء الآباء والأُمهات وحوش تقتل أبناءها ولا يكاد يوجد مستشفى للأطفال في أوروبا وأمريكا إلا وبه عدة حالات من الأطفال

المضروبين ضرباً مبرحاً من أمهاتهم أو آبائهم.

وفي فرنسا أقدمت سيدتان على قتل ولديهما فالأولى قضت عليه بإغراقه.. وأما الأخرى فخنقت طفلها، ولما رأت فيه حشاشة نفس تضطرب رمت به عرض الحائط فشجت رأسه.

فالوالدان يطلبان من الفتاة أن تغادر منزلهما إذا بلغت السادسة عشرة لأن الوالدين لا يستطيعان الإنفاق عليها، وعليها أن تدير أمر عملها ومعاشها، وهكذا يضيق بيت الأبوين بالأبناء - بعد أن ضاق بهم قلب الوالدين - فيخرجون من البيت أو يبقون مع دفع أجرة السكن والمأكل.

ولا غرابة بعد ذلك أن نرى الأبناء عندما يكبرون يكيلون لآبائهم وأُمهاتهم الصاع صاعين ولا عجب حين نسمع أن الجيران قد طلبوا الشرطة لأن رجلاً مات وانتشرت رائحته بعدما تعفن دون أن يدري بموته أحد.

ونشرت جريدة القبس الكويتية في تاريخ ٢/ ١/ ١٩٨٧م العدد ٥٢٥٩ تحت عنوان (مشادات عائلية تنتهي إلى جرائم القتل) قالت: صدر الحكم بسجن براين ويلدمان ٣٨ عاماً مدى الحياة بعد أن اعترف بتنفيذ عمل وحشي أدى إلى مصرع زوجته وأخصائية اجتماعية كانت معها وقت الحادث.

وكانت انتشرت في لندن خلال الأسابيع الأخيرة. حوادث قتل منشؤها مشادات عائلية وخاصة بين الأزواج.

وكان قد صدر حكم آخر بسجن طبيب مدى الحياة بعد أن ثبت قتله لزوجته الأولى ومحاولته قتل الزوجة الثانية.

كل هذا الذي سبق جعل العالم الإنجليزي (ساموبل سمايلي) يقول في كتابه الأخلاق: إن النظام الذي يقضي بأن تشغل المرأة في المعامل ودور الصناعات مهما نشأ عنه من الثروة، فإن النتيجة هادمة لبناء الحياة المنزلية؛ لأنه هاجم هيكل المنزل، وقوض أركان العائلة، وفرق الروابط الاجتماعية[1].

إذاً المرأة المسلمة بحاجة ماسة لعامل التثقيف الديني قبل كل شيء لأنه القاعدة التي تبني عليها حياتها وسعادتها ونجاحها غداً بين يدي اللّٰه سبحانه وتعالى. حيث لا يمكن لها أن تستغني عن تعاليم الدين الإسلامي، لأنه يوفر لها الراحة النفسية والاطمئنان والاستقرار والعقيدة الراسخة، كما هو موضح في حياة العظيمات اللاتي سطر التاريخ أسماءهن وحياتهن المليئة بالعطاء الديني والتربوي والفكري والأخلاقي والجهادي أيضاً.

المرأة والوعي الإصلاحي:

عندما تقرأ المرأة المسلمة تاريخ الأنبياء والرسل عليهم السلام والنساء الصالحات الداعيات، ترى كم لاقى الأنبياء صعوبة بالغة حتى تمكنوا من تحرير الناس من العبودية لغير اللّٰه سبحانه تعالى، وكم تحملوا متاعب كبيرة في سبيل إقامة العدل والحرية ونشر مبادئ الفضيلة في مجتمعاتهم، التي عاشت ترفض الإيمان باللّٰه وتطبيق بنود شريعته الغراء لأن المعصية والإجبار والاضطهاد الذي تعرض له الناس في ذلك الوقت قد أعمى بصيرتهم وبصرهم معاً، ولكن بالصبر والجهاد المستميت استطاع الأنبياء أن يغيروا ما بالناس من فساد أخلاقي وخلقي، وأن يحدثوا تغييراً شاملاً نحو حياة أفضل.

والمرأة المسلمة اليوم مطلوب منها أن تسعى لتغيير نفسها حتى

تتمكن من تغيير وإصلاح أُسرتها ومجتمعها معاً.

فواجبها أن تصلح المجتمع الإسلامي عقائدياً وفكرياً وأخلاقياً.. ذلك لأن رسالتها وجهادها السنوي يعتبر نوراً وبصيرة وإصلاحاً جذرياً شاملاً للحياة الإنسانية من أجل مجتمع أفضل. أن تأمر بالمعروف ولا تسكت على المنكر إذا رأته في أسرتها ومجتمعها.

والغريب أن أكثر النساء يدخلن الديوانيات النسوية والاجتماعية والأعراس والحفلات وينظرن إلى الفساد والميوعة والمجون ويستمعن له ويشاهدنه وإذا خرجن تحدثن هنا وهناك!!. ولعمري إنهن قد اشتركن في الإثم معهن من حيث لا يشعرن بذلك.

إن وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليست وظيفة خاصة بالرجال فقط، إنما تشمل النساء، لأنها وظيفة إصلاحية وثقافية عامة، إذ لا يمكن أن يحسب من لا يقوم بها من أفراد المسلمين أبداً حسبما يقول جعفر بن محمد حفيد الرسول ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ قال: من لم يكن يدعو إلى الخير، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بين المسلمين فليس من الأُمة التي وصفها اللّه، وقد بدأت هذه الآية ووصفت أمة محمد ﷺ بالدعاء إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن لم توجد فيه الصفة التي وصفت بها، فكيف يكون من الأمة وهو على خلاف ما شرطها على الأمة ووصفها به.

ولقد هدد وأمر يا ـ أختي في اللّه ـ الإمام علي عليه السلام وجملة الصحابة والتابعين، الأُمة من عاقبة تقاعسها عن الدعوة إلى الدين، وأمر المسلمين بالأخلاق والالتزام والنهي عن المنكر والجرائم والفواحش ما ظهر منها ما وبطن، بأن باب السماء تغلق عندما ندعو

للَّه سبحانه.

قال: « لتأمرن بالمعروف ولتنهنّ عن المنكر، أو ليستعملن عليكم شراركم، فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم » .

ويقول الرسول الأعظم ﷺ لا يحقرن أحدكم نفسه إذا رأى أمراً للَّه فيه حق إلا أن يقول فيه لئلا يقف اللَّه عز وجل يوم القيامة فيقول له: ما منعك إذ رأيت كذا وكذا أن تقول الحق؟ فيقول رب خفت.

فيقول اللَّه عز وجل: أنا كنت أحق أن تخاف.

إن أهمية تزايد السيئات للمرأة عندما تتمكن من إسداء النصح لصديقاتها وأمرهن بالمعروف ونهيهن عن المنكر، والسيئات والجرائم ولا تفعل ذلك، فإن اللَّه عز وجل يضاعف لها السيئات يوم القيامة.

وأخيراً:

الدين الإسلامي أمر المرأة بأخذ زمام الوعي الأخلاقي، لأنه دستورها ومنهجها الوحيد الذي تبني عليه حياتها الأُسرية والاجتماعية، وهي الصور التشريعية التي كشفها الشارع المقدس لنا جميعاً وبالخصوص المرأة المسلمة اليوم، فأمرها بالعدل والإحسان والعرف والأمانة ودعاها أن تلتزم بالمساواة الاجتماعية بين الناس، وأن تشاطر الرجل في تبليغ الدعوة والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح الاجتماعي في جسد الأمة الإسلامية، وتعتبر هذه الأمور الحسنة التي هي منهج للمرأة المسلمة اليوم الذي يتمثل في سلوكها وتعاملها اليومي مع أفراد الأسرة، والمجتمع الإسلامي، ينبغي أن تقرأ المرأة الكتب المخصصة بتعليمها علم التربية الاجتماعية الإسلامية حتى تتمكن من خلق جيل صالح وأسرة مثالية في المجتمع الفاضل الواعي

الأخلاقي، وكما قال بعض الحكماء مكارم الأخلاق في ثلاثة: من كملت فيه فذلك الفتى: إعطاء من حرمه ووصل من قطعه والعفو عمن اعتدى عليه.

المرأة والوعي الصحي:

لقد اهتم الدين الحنيف بالوقاية الصحية اهتماما كبيراً جداً، حيث اعتبر عدم العناية بالنظافة من الأوساخ والقاذورات مكمناً للجراثيم والميكروبات، ومصدراً لكثير من الأمراض والعلل الجسمية.

ويكفي أن نذكرها: أنه قد جعل الوضوء والغسل في أحيان كثيرة من الواجبات التي يعاقب تاركها، بل ولا يتم كثير من أعماله العبادية المهمة جداً بدونها.. كما هو الحال في الصلاة التي هي عمود الدين، ومعراج المؤمن، وغيرها..

بل جعل ذلك من العبادات التي تقرب إلى اللّه ويستحق فاعلها الثواب الجزيل، والأجر الجميل، وعدا ذلك كله فقد اعتبر الوضوء شطر الإيمان واعتبر النظافة من الإيمان، والإيمان مع صاحبه في الجنة إلى غير ذلك مما يعبر عن مدى اهتمام الإسلام البالغ في هذا المجال، سواء في ذلك ما ورد ليؤكد على النظافة، أو الوضوء أو الغسل في مورده الجزئي الخاص، أو ما ورد في مقام الحث على ذلك بصورة عامة.

يقول العلامة الكراجكي في كتابه كنز الفوائد ج٢ ص١٠٥: لقد صح عندنا من اجتهاد رسول اللّه ﷺ في النظافة وكثير استعماله للطيب عامة وحثه الحثيث عليها، مما تؤكده الروايات والسير التاريخية.

وجاء عن الرضا قوله: «من أخلاق الأنبياء التنظيف».

وجاء عن رسول اللّه ﷺ قال: تنظفوا بالماء من الريح النتن،

الذي يتأذى به وتعهدوا أنفسكم فإن اللّه يبغض من عباده القاذورة، الذي يتأذى منه من جلس إليه.

وقد نص القرآن الكريم على النظافة والاغتسال بقوله: ﴿يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾.

وقال تعالى في غزوة بدر: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾.

ولذا شرع الدين الإسلامي الطهارة والنظافة وأوجب على الإنسان الابتعاد عن النجاسات التي تعتبر مصدراً خطيراً على صحة الإنسان وبالخصوص صحة الأطفال والأسرة كالبول والغائط والدم ولحم الخنزير وشراب الخمر وتعاطي المخدرات والزنا واللواط والمساحقة والاستمناء والعلاقات الغرامية وما أشبه ذلك.

فقال رسول اللّه ﷺ: «لا خير في الحياة إلا مع الصحة».

وقد أثبت الطب الحديث: إن صحة البدن والفكر وذهاب الهواجس والوساوس وعلو التفكير وانبساط النفس موقوفة على عامل الطهارة، أي (الوعي الصحي للإنسان) فراعاها الشارع في جميع الأحوال، وأمر بكل ما يوجبها، ونهى عن التلوث بالقاذورات والبقاء على الحدث، كما رعى جميع ما يجب عليهم رفعه وإزالته عن المرأة بتفصيل لم يصل إليه حكيم في حكمه أو طبيب في طبه، مما يدل في نفس الوقت على أنه وحي من اللّه سبحانه أنزله على نبيه ﷺ إذ لا يمكن لبشر أن يحيط بما ورد في الشرع من أحكام الطهارة والصحة فلو وقفت المرأة المسلمة اليوم بالوعي الصحي على فلسفات الإسلام وأقوال سيد البشر محمد ﷺ وأهل بيته وصحابته ﵃ لوجدت أنه ليس هناك نظام أو مبدأ أو قانون أو تشريع صحي كما هو في ديننا الإسلامي

وتعاليم قرآننا الكريم.

يقول الدكتور (روساندج):

إن تعاليم الإسلام الدينية تتمثل بالصحة فهي تدعو إلى القناعة وعدم الإسراف في كل شيء في الأكل والشرب والنظافة والاغتسال بالماء الطاهر خمس مرات قبل كل صلاة، وإن الصلاة مجموعة من الحركات الرياضية، وإن الإسلام يأمر بمعالجة المرضى المصابين بالأمراض المعدية وأن العلوم الإسلامية خصصت جزءاً كبيراً من أبحاثها لحفظ الصحة والحث على اكتساب المعلومات بعامل الوعي الصحي.

المرأة والنظافة:

بعد أن عرفت ـ يا أختي في اللّه ـ أهمية عامل النظافة في الحياة اليومية وكيف اهتم بها الدين وجعلها من أهم قضاياه، أكد كذلك على نظافة المرأة سواء كان ذلك في بيتها أم ملابسها أم جسمها وأولادها.

إن إحدى المسائل المهمة التي أكد عليها الإسلام عن طريق الوعي الصحي للمرأة أن تكون صاحبة نظافة عالية جداً أينما حلت وجلست ونامت، فقد نسمع أن رجلاً طلق زوجته لأنها قاذورة لا تنظف ولا تحافظ على مظهرها الخارجي أينما حلت ورائحة العرق تفوح منها أينما كانت.

إن في مجتمعنا بعض النساء لا تهتم كثيراً بالنظافة الجسدية والمنزلية والاجتماعية فترى قسماً منهن منازل بعض النساء موبوءة بالحشرات والقاذورات، وغير مرتبة ولو أنك تدخل إلى محل قمامة لكان ذلك أهون عليك بكثير من أن تدخل إلى منازلهن.

وقسم آخر منهن إن حل عليك تتمنى من اللّه سبحانه وتعالى أن

يزيح عنك هذا البلاء لكثرة ما على أجسامهن من رائحة العرق والقاذورات والروائح النتنة.

وقسم آخر تراه محافظاً على نظافة منزله وملابسه وأولاده ويرعى النظافة في كل شيء.

والعجيب أن هناك نساء لا تهتم بنظافة أجسامهن فترى إحداهن في فترة الحيض أو النفاس لا تغتسل ولا يقع على بعضها الماء قط.

وأخريات إذا حان وقت الامتحانات الأكاديمية لا يغتسلن ولا يسبحن ولا يعرف الماء طريقاً إلى أجسامهن يالها من وساخة وقذارة!!.

إن الإسلام عزيزي القارئ اهتم بالنظافة العامة والخاصة، وراعى النظافة الخاصة في المنزل أكثر من العامة في المجتمع، لأن الذي يكون نظيفاً في منزله وفي جسمه وملابسه ويحب النظافة أينما كان يكون نظيفاً في المجتمع وأين ما حل.

يقول الرسول ﷺ النظافة من الإيمان ولا إيمان لمن لا نظافة له.

إن الإسلام وتعاليمه الحقة لا تطلب من الناس شراء ما غلا ثمنه من الملابس وغيرها ولكنه يأمر بالنظافة والترتيب والتنظيم وإن المرأة الشعثة القذرة موت للحياة الإنسانية وسبب لانهيار الأُسرة والعلاقات الزوجية.

وكما بالنسبة للمرأة كذلك بالنسبة للرجل فالرجل الوسخ القاذورة النتن الرائحة ممقوت في أسرته ومجتمعه أيضاً. جاء في الحديث الشريف عنه ﷺ: « إن اللّٰه يبغض الوسخ الشعث » .

وإليك الآن بعض العلل والفوائد الطبية من خلال النصوص والفتوى الإسلامية:

أهمية النظافة:

النظافة والطهارة من الأحداث والأخباث وجميع الأرجاس من أهم ما جاء في شريعة الإسلام من الأحكام، والأمر بها جاء أول البعثة ونزول الوحي إذ كانت ثالث حكم أوحى به إلى النبي ﷺ على ما هو المشهور، فقال تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ وجعلت في السنة شطر الإيمان وأنها تنفي الهم والفقر وأن القذارة مربض الشيطان، فقد أثبت الطب الحديث مضافاً إلى الوجدان أن صحة البدن والفكر وذهاب الهواجس والوسواس وعلو التفكير وانبساط النفس موقوفة على الطهارة، فراعاها الشارع في جميع الأحوال، وأمر بكل ما يوجبها ونهى عن التلوث بالقذارة والخبث والبقاء على الحدث، كما رعى جميع ما يوجب حفظ الصحة للأصحاء ودفع المرض عنهم ورفعه وإزالته عن المرضى بتفصيل لم يصل إليه حكيم في حكمته أو طبيب في طبه مما يدل في نفسه على أنه وحي من الله أنزله على نبيه ﷺ إذ لا يمكن لبشر أن يحيط بما ورد في الشرع من أحكام الطهارة والصحة ما لم يستمد من الوحي الإلهي، ولا سيما ما في الشريعة من مخالفات للعادات التي كانت جارية زمن البعثة والقواعد الطبية التي كانت معروفة في ذلك اليوم، وكشف العلم الحديث عن شيء من مصالح أحكام الشريعة وضرر العادات القديمة وخطأ طب ذلك العصر، فإن ذلك كاف للدلالة على أن النبي ﷺ لم يكن مستنداً في أحكامه إلى العادات والعلوم التي كانت في عصره وإنما كان يستقي من ينبوع الوحي الزاخر واثقاً بربه غير مبال لمخالفة أهل زمانه، وحيث كانت قوانين الطهارة والصحة كثيرة متشعبة وجب أن نوضحها فنقول:

الماء نعمة فحافظوا عليها:

إن احتياج البشر إلى الماء أمر طبيعي، والديانات بأسرها ذكرت استعماله وكثير من الديانات القديمة كالهندوسية والمجوسية قدسته، والطب القديم ذكر استعماله في الأمراض بنحو النطول والحقنة خصوصاً في الحميات الحادة، وقد استعمل في العلاج بطريقة النطول على الرجلين فيها؛ ويسمى في الطب الفارسي (باشوبة) وفي معالجة الجراحات، ولم يذكر للماء في دين من الأديان ولا في كتاب من كتب الأطباء أحكام وقوانين يعتد بها حتى ظهور نور الإسلام، فجاء بأحكام وقوانين كثيرة للماء وأمر باستعماله وجوباً بطرق مختلفة كالغسل من الأخباث، و غسل الأطراف ويسمى الوضوء، وغسل البدن كله ويسمى الغسل، واستعماله في الحميات وكثير من الأمراض حتى حرم ترك استعماله أكثر من ساعات، وذكر قوانين لشربه لم تعهد من قبل ولم يعرفها الأطباء، وقد مرت بعض تلك الأحكام وستأتي حكمها وأسرارها، ولم يكن البشر يعرفون سر هذه الأحكام ومصالحها حتى القرن الماضي أي بعد ظهور الإسلام بمدة تزيد على ألف ومائتي سنة حيث ظهرت للعلماء بعض خواص الماء وفوائده فعلموا أنه مركب من عنصرين هما الأوكسجين والهيدروجين بنسبة معينة، وكان القدماء يظنونه بسيطاً، واستعمله الأطباء في علاج كثير من الأمراض وفي سنة ١٢٥٥ ميلادية ظهر في بلاد النمسا فلاح يسمى (ابريسنيت) أخذ يعالج جميع الأمراض بالماء ونجح نجاحاً باهراً وذاع صيته في جميع بلاد أوروبا وسرى إلى أمريكا، وتابع طريقته العلاجية كثير من مشاهير الأطباء وصاروا يعالجون كل مرض بالماء، ورأوا له من الأثر في شفاء الأمراض العسيرة ما لم يجدوه في دواء غيره، وتكون لذلك مذهب (ادرو تيرابيا) أي العلاج بالماءُ وهو المذهب الشائع اليوم في بلاد أوروبا وأمريكا،

وبهذا السبب عرف شيء من أسرار الأحكام الشرعية ومصالحها حتى حصل قطع بأن هذه الأحكام من وحي العليم الحكيم، وسنذكر بعض ما وقف عليه العلم من ذلك في ضمن مادة ذكر الأحكام.

الرحم حال الحيض:

إن فنون التشريح والفيسلوجيا والطب بينت حال الرحم عند نزف الدم حال الحيض وذكرت أن المهبل وقصبة الرحم وقاعدته والمبيضين والأغشية وكل أجزاء الرحم حين نزف الدم تكون في حالة مخالفة لحالته عند خلوه من ذلك فإن أجزاءه المشتغلة بنزف الدم تخرج عن حالتها الطبيعية وتحدث فيها تشنجات والتهابات يؤثر عليها في تلك الحال كل عارض جسماني أو نفساني، فإذا عرضت مع نزف الدم عارضة الشهوة للرحم وإنزال المني للحائض اشتغل الرحم بما يعاكس شغل نزف الدم فيتعاكس الأمران وتختل جميع أجزاء الرحم، وربما أدى ذلك إلى خلل بليغ ومرض شديد قد يؤدي إلى الهلاك، وإذا علقت المرأة بالجنين في تلك الحال يكون الجنين ضعيف العظم مختل العصب والدماغ غير متناسب الأعضاء، ولربما ولد معتوهاً أو مجنوناً أو أبلهاً على الأقل، وإذا عرض للحائض عارض نفساني من فرح أو حزن شديدين أدى ذلك في الغالب إلى أمراض عصبية أو قلبية ربما أدي إلى الفالج الشقي أو التام أو السكتة أو لهلاك الذكر وإفساد الغدد المنوية والمثانة والأنثويين، وربما أدت إلى خلل والتهابات في الكليتين وأبطلت عملهما الفيسلوجي، ومن وراء ذلك الورم العام وحبس البول والهلاك، ولذلك حرمت الشريعة ببالغ حكمة اللّٰه ورحمته الجماع مع الحائض لحفظ الزوج والزوجة والنسل، وحرمت طلاقها لحفظها إذ لا عارض من العوارض النفسانية على المرأة أشد من الطلاق، وقد كتب

بعض علماء الطب في هذه العوارض النفسانية، وما أبلغ القرآن الكريم حيث جمع كل هذه الأضرار في كلمة واحدة مطلقة وهي لفظة (أذى) ﴿فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾، والنفاس مثل الحيض في كل عوارضه فكان مثله في أحكامه لأنه حيض محتبس كما ورد في الخبر وأثبته علم الطب وفروعه فكانت أحكامه كأحكامه، فما أعظم هذا القرآن وأبلغه وأشرف هذه الشريعة وأفضلها والحمد للّه الذي من بهما على عباده.

المرأة والوعي الجنسي:

لا وجود لمفردة (الجنس) في القرآن الكريم، ولأن هذه الكلمة لها حضور قوي في أذهان العامة والخاصة من الناس في كل مجتمع من المجتمعات البشرية، ولأنها تثير معاني كثيرة، يصعب الإلمام بها أو استيعابها، دون الرجوع إلى أصلها تاريخياً، وأرتباطها بممارسة الحب، أو الممارسة الجنسية بين الذكر والأنثى (الجِماع) أو ارتباطها بمفهوم الشهوة في الذهن، فكلمة الجنس عند الكثيرين في أحاسيسهم وتنعش عواطفهم إزاءها.

فالجنس له ارتباط وثيق بكل ما يتصل بالكائن البشري فهو الكلي الحضور في كل الثقافات والمجتمعات البشرية على وجه الأرض.

والإسلام اهتم بهذا بـ(الجنس) اهتماماً بالغاً وناقشه مناقشة علانية في المنتديات، والحوارات، والأدبيات الثقافية لروافده الدينية والإسلامية.

ولعلنا إذا قرأنا الأدبيات الدينية في موروثنا العلمي في النصوص المتعلقة بهذه القضية (الجنس والمرأة) نرى النظرة التشاؤمية من غريزة

المرأة، إذ إن النظرة إلى الحياة الجنسية في بعض المجتمعات الإسلامية تشكل شبحا مرعبا لا يحق إلا للمتزوجين الخوض فيه بحذر شديد! وهذا خلاف ما كان عليه رسول اللّه ﷺ وصحابته عندما يناقشون هذه المسألة مناقشة علانية أمام الصغار والكبار، الرجال والنساء ولكن مناقشة متأدبة في غاية من الأخلاق.

إن غياب الفاعلية الجنسية المُتحشمة لدى المرأة جعل من الشعوب الإسلامية تحمل فكرة سيئة عن مازوشية المرأة جنسياً، ولذا ليس من المفاجىء أن تعتبر عدوانية المرأة المسلمة الفعالة جنسياً كما لو كانت موجهة نحو الخارج، فطبيعة عدوانيتها جنسية أساساً، وهي تتوفر على جاذبية قاهرة تهزم إرادة الرجل المتمنعة، وتحيل دوره إلى دور سلبي خاضع لا خيار له، ولا يملك إلا أن ينقاد لجاذبيتها، وقد أشار النص المروي عن رسول اللّه ﷺ إلى هذه الحقيقة. روى الإمام مسلم:إن النبي ﷺ رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج، وقال: إن المرأة إذا أقبلت أقبلت في صورة شيطان، فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله، فإنها مثل الذي معها[1].

وجاء في حديث أخر عن ﷺ: لا يخلون رجل بامرأة، إلا وكان ثالثهما الشيطان[2].

تمثل هذه النصوص الجاذبية الطبيعية الغريزية بين الجنسين، الرجل والمرأة، فكلما واجه رجل امرأة والعكس أيضاً، إلا واعترضتهما الفتنة، وقد نشير هنا إلى حقيقة أن هناك قدرات تفاوتية في الممارسات الجنسية التي حذرت منها هذه النصوص، وهي: إن النساء والرجال

(١) سنن الترمذي حديث ١١٦٨، ص ٣١٣.
(٢) المصدر السابق حديث ١١٨١ ص ٤١٩

الذين يمارسون الجنس، ولهم خبرة طويلة في ممارسته سيعانون من عدم ممارسته في فترة الحرمان الجنسي، فبالتالي يشكلون خطرا حقيقيا على المجتمع، ولذلك اعتبرت بعض المجتمعات الإسلامية المرأة المطلقة أو الأرملة خطراً يتهدد الرجال في المجتمع! ولسنا في هذا الفصل في صدد الرد على مثل هذه الهرطقات التشاؤمية التي مُلئت بها أفكار أبناء المجتمعات الإسلامية.

بل ما يبعث على السخرية من بعض نظريات العلماء الذين درسوا هذه الظاهرة واعتبروها ظاهرة خطرة على حياة المجتمع الإسلامي، فقد نهجت المجتمعات الإسلامية نهجاً مخالفاً عندما هاجمت الحياة الجنسية وحطت من شأنها، وهاجمت المرأة واعتبرتها رمزاً للفوضى الجنسية الاجتماعية في الحياة واعتبروها (فتنة خطرة على الرجل) فحين نقرأ النظرية الإسلامية الصائبة التي اعتبرت الغرائز الجنسية مادة وطاقة يمكن أن تسخر بطريقة بناءة لخدمة المجتمع، فالجنس في حد ذاته لا يشكل خطراً، بل على العكس من ذلك يؤدي ثلاث وظائف حيوية وإيجابية: فهو يمكن المؤمنين من البقاء على الأرض كشرط من ذلك ضروري لوجود النظام الإسلامي، وهو يمنح المؤمن فكرة عن الذات الموعودة في الجنان، مشجعاً إياه على التطلع إلى اكتساب الجنة والامتثال لأوامر اللّه، أما الوظيفة الثالثة: فتكمن في الدور الذي يلعبه الإشباع الجنسي الضروري لكل مجهود فكري.

فقد ذهبت نظرية الإمام الغزالي إلى ذلك بقول: إن فائدة النكاح في ترويح النفس وإيناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة وإراحة القلب وتقويته على العبادة، فإن النفس ملول وهي عن الحق نفور لأنه على خلاف طبعها، فلو كانت المداومة بالإكراه على ما يخالفها جمعت

وتابت، وإذا روحت باللذات في بعض الأوقات قويت ونشطت، وفي الاستئناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكرب ويروح القلب، وينبغي أن يكون لنفوس المتقين استراحات بالمباحات.

وينظر الإمام الغزالي إلى المرأة على أنها طاقة كبرى ينبغي الاهتمام بها والحذر من التفريط فيها لأنها تزود الأُمة الإسلامية بالذرية والنسل وإطفاء الرغبات التي توفرها الغريزة الجنسية، ولا يجب إطلاقاً أن تغدو المرأة مثار عاطفة أو محط اهتمام مفرط لأن العاطفة والاهتمام يسخران للّه وحده[1].

إذا تأملنا نظرية الإمام الغزالي نرى كيف أهتم بغرائز المرأة وجعلها محطة مقدسة وأرضا،صالحة لتخريج الأجيال التي تعتمد عليهم الحياة البشرية والأُمة الإسلامية.

من هنا: ينبغي الاهتمام بعواطف المرأة وغرائزها الجنسية على ضوء المنهجية الإسلامية التي أعطت المرأة كامل الحقوق وحملتها كامل الواجبات من أجل صرف هذه الطاقة الجنسية في مواردها ومصارفها التي قررتها الشريعة الغرّاء، إذ إن إرضاء الطرفين جنسياً شرط ضروري لاجتناب الزنا، ومفهوم (المحصن) المشتق من (الحصانة) أي(الحماية) يدل حمل هذا الأمر على صيغة الواجب الإلزامي اتجاه المرأة عاطفياً وجنسياً ومالياً، ويعتبر الإنسان المكبوت جنسياً بمثابة طاقة خطرة على المجتمع[2].

---

(١) إحياء علوم الدين الغزالي ج ١ ص ٣٢ وكتاب الجنس كهندسة اجتماعية ص٤٠

(٢) أشبعنا هذا البحث تحقيقا وتنقيبا في كتابنا (المرأة وتغير الهوية الموضة والزينة أُنموذجاً) فراجع.

المرأة بين الحب والجنس:

الحب بين الجنسين هو الدليل الوحيد على أن الغريزة الجنسية في البشر ليست غريزة حيوانية، الحب إحساس دائم بالتفاهم بين الرجل والمرأة، وإنه لون رائع من التفاني وإنكار الذات الشخصية التي يحملها الفرد لنفسه، إذ يشارك فيه شخص آخر حيث الامتزاج الروحي، والعاطفي والغريزي معاً، حيث يجني أحدهما سعادته من سعادة الآخر، فتتحقق مشاركة تجعل من الحياة مذاقاً لا وجود له في شبكة الحب بينهما.

ويميل بعض الباحثين النفسيين إلى أن الحب هو البداية التي تجعل من الجنس المتعة الكاملة، ولذلك نجد حالات كثيرة من الضعف الجنسي الذي يصيب رجالا فقدوا زوجاتهم، أو نساءً فقدن أزواجهن بعد أيام جميلة من الحب.. وهنا يطرح السؤال نفسه: إذا كان الجنس مكملاً للحب، فكيف نرى العديد من الرجال الذين يخونون زوجاتهم؟

ربما نعرف شخصاً أو أكثر له علاقات نسائية متعددة في وقت واحد فكيف يمارس رجل أو امرأة العديد من العلاقات الجنسية في نفس الوقت؟ وكيف يحدث هذا ونرفض أن نصف هذه العلاقات بالحيوانية؟

نقول: هناك فرق يجب أن نضعه دائماً نصب أعيننا ونحن نناقش موضوعات مختلفة عن الجنس، فهناك فرق بين ممارسة الجنس كجنس وشهوة وبين العلاقة الجنسية، فمن الممكن أن يحدث اتصال بين أي رجل وأي امرأة، لكن من الخطأ أن نسمي هذا الاتصال علاقة، لأن العلاقة لابد لها من الاستمرار، فإن لم يحدث استمرار بين الرجل والمرأة،

فليست هناك علاقة بينهما حتى وإن حدث اتصال جنسي.. وحتى الآن لم يكتشف علماء النفس المقومات التي يقوم عليها الحب بين الرجل والمرأة[1].

وإذا قمنا بعمل استبانة اجتماعية في الوسط الاجتماعي الديني لأسباب الطلاق نرى معظم الخلافات الزوجية التي تسببت في تزلزل العلاقات بين الزوجين هي علاقات غير سليمة لأنها بدأت بالجنس كهدف وغاية في نفس الوقت! والجنس طريق لا يصل إلى غاية الحب، فتلك المرأة انحرفت عن طريق الجادة والصواب والعفة بسبب عجز زوجها عن إشباعها جنسياً! وذلك الرجل كون مئات العلاقات الغير شرعية بسبب عدم تفهم زوجته لحياته الجنسية وشبقه الكبير، وإذا نحن أمام مئات الحالات المرضية بسبب الجنس، وأمام علاقات زوجية كتب لها الفشل بسبب الجنس ولأنها بدأت بالجنس وضلت طريقها إلى معرفة شاطئ الحب وما يتصل به.

إذن: أسهل طريق نكتشف به الحب الذي يتشدق به الجميع نساءً ورجالاً..أن ننظر إلى مدى علاقة الرجل والمرأة مع بعضهما، فإن لم يحدث بينهما خلاف حقيقي على مر الأيام والشهور، يكون الحب هو الرابط بينهما لأن من يحب يستطيع أن يتسامح مع من يحبه، ولا يفكر بسهولة أن يختلف معه، ويبتعد بقدر الإمكان عن طريق الخلافات التي تسبب تزلزل العلاقات.قال تعالى:﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[2].

---

(١) المعجم العلمي الجنسي، د. مدحت شوقي، ج ١، ص ١٥.

(٢) سورة البقرة آية ١٨٧. وسوف تعرف مزيد بيان راجع المرأة ومتطلبات الوعي الجنسي من هذا الكتاب.

المرأة والانحراف الجنسي (ألوان أخرى من الحب):

تعامل الإسلام مع الغريزة الجنسية المنحرفة تعاملا شديدا وصارماً إذا عدها من الجرائم التي ينبغي محاربتها واجتثاثها من الأرضية الاجتماعية للمجتمع؛ لأن القاعدة الأخلاقية هي الأصل في ضمان سلامة أجهزة النظام الاجتماعي وتكاملها لبناء المجتمع الإنساني السعيد.

وهذا الإطار الأخلاقي الذي نادت به الشريعة وتبنته على امتداد تاريخها الحافل بالوقائع والأحداث،هو الذي حفظ المجتمع الإسلامي من الانحرافات التي يعيشها المجتمع الغربي وهو في أوج تقدمه المدني والاقتصادي والحضاري. فقد أوضح المفكر الغربي المشهور (مارك مور) في كتابه (المذنبون الخطرون): إن أهم الجرائم والانحرافات الأخلاقية التي يواجهها النظام الاجتماعي في الغرب هي الانحرافات الجنسية من الرجال والنساء على حد سوء،فقد انتشرت فيهم اللوطية والزنا والمساحقة غيرها[1].

فقد ناقش العلماء هذه المسألة -الانحراف الجنسي- الشائكة في حياة البشر، واكتشفوا أن المشكلة تكمن في أن هذا هل هو مرض يجب علاجه أم لا؟

واحتاروا في معاملة هؤلاء المنحرفين هل يعاملونهم كمجرمين، أم كمرضى نفسيين؟

وإلى العديد من الأسئلة التي ما تزال حتى الآن بلا إجابة، وإن كانت هذه التصرفات الجنسية من وجهة نظر بعض المتخصصين لا دخل لها بالحب، بل هي انحرافات نفسية يجب أن

---

(١) راجع النظام الاجتماعي في القرآن ج ١ ص ٦٨ الأعرجي.

تعـالج، بالخصـوص مـا ظهـر في الآونـة الأخيرة،فقـد خرجـت علـى السـاحة الاجتماعيـة الغربيـة والشـرقية كـثير مـن أنـواع الانحرافـات الجنسية الغريبة منها.

١ـ مرض الاستعراض، وهي التعري أمام الناس..

٢ـ مرض مشاهدة الممارسات الجنسية.

٣ـ مرض المكالمات التليفونية الداعرة.

٤ـ مرض شذوذ الملابس وهي الإثارة الجنسية عن طريق الملابـس للرجال والناس.

٥ـ مرض ممارسة حب الجنس مع الأطفال.

٦ـ مرض الزوج المثلي.

بينما نجد الإسلام وقد اتخـذا منهـا موقفـاً مغـايراً تمامـاً إذا جعـل الانحرافـات الجنسـية المتمثلـة في الزنـا واللـواط والمسـاحقة والقيـادة، والانحرافات السلوكية كالقذف وشرب الخمـر، والانحرافـات العقائديـة كالارتداد جريمة يعاقب عليها الشـارع المقـدس، حيـث جعـل العقـاب لردع المنحرفين ضماناً للسلم الاجتماعي، فعين عقوبـة القتـل في الزنـا بذات محرم نسباً، وفي الاغتصـاب الجنسـي نحوهـا؛ والـرجم في الزانيـة المحصنة والزاني المحصن؛ والجلد علـى الزانـي والزانيـة غـير المحصـنين؛ والتغريم والجلد في البكر الزاني الـذي تـزوج ولم يـدخل بهـا، والجلـد والرجم معاً في الشـيخ والشـيخة المحصـنين الـزانيين. قـال تعـالى:﴿ وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً ﴾[1].

وقال تعالى:﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْـدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِـرِ

(١) الإسراء آية ٣٢

وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

ويُحد اللوطي بالقتل ضرباً بالسف أو حرقاً بالنار أو الإلقاء من شاهق، أو هدم الجدار عليه ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، وفي السحق مائة جلدة، وقيل إن: أصحاب الرس كانت نساؤهم سحاقات، وهو إشارة إلى قوله تعالى:﴿ وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾[2].

وفي القيادة وهي: الجمع بين فردين على الحرام،خمس وسبعون جلدة.

وفي القذف والسكر ثمانون جلدة.. والمتأمل في نظامنا الفقهي الاجتماعي الديني يرى أن تطبيق الحدود الشرعية للانحراف الجنسي الأخلاقي هو آخر الحلول لمعالجة الجريمة والانحراف، فقد أمرنا ديننا الحنيف قبل كل شي بالستر والتوبة وسد الحاجات الغريزية بالطرق الشرعية، فإذا استتر المنحرف وتاب إلى اللّه قبل قيام البينة الشرعية عليه فهو في ستر اللّه ولا يقام عليه الحد ـوإن كان هذا الرأي مدار بحث الفقهاء للمذاهب الإسلامية في صحة عدم قبول توبته إلا أنها محل تأمل- ولكن إذا أقر على نفسه بالجرم أو ثبت عليه الجرم بالبينة الشرعية أقيم عليه الحد على تفصيل في المسألة..[3].

إذن: المرأة تشكل خطراً كبيراً عند انحرافها نحو ممارسة الجنس

---

(١) النور آية ٢

(٢) تفسير القمي ص ٤٦٥.

(٣) راجع جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام باب الحدود.

بطريقة غير مشروعة، وتعتبر قُنبلة موقوتة إذا مارسته بغير الشرع، إذا تساهم مساهمة فعالة في زعزعة النظام الاجتماعي، وسلب الأمن وانتشار الرذيلة التي بدورها تنشر الأمراض الفتاكة، وهذا الكلام يجري أيضا على الرجال كما يجري على النساء، فألوان الحب الخاطئة ليس لها مكان في مجتمعاتنا الإسلامية، لأنها سلاح إفساد في المجتمع تطبق عليه حد الحرابة لعموم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1].

٢٧/ ٩/ ١٤١٦هـ

(١) المائدة آية ٣٣.

المصادر

١ـ إحياء علوم الدين، الغزالي.
٢ـ الأسرة، محمود حسن.
٣ـ أعداء الأمة، المؤلف.
٤ـ الإنسان ذلك المجهول، د. كارل.
٥ـ تأخر الزواج، بعض الباحثين.
٦ـ الجنس كهندسة اجتماعية، فاطمة المرنسي.
٧ـ جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، محمد حسن النجفي.
٨ـ الحجاب، السيد محمد الشيرازي.
٩ـ الدين في منظار الغرب، المؤلف.
١٠ـ راجع النظام الاجتماعي في القرآن، الأعرجي.
١١ـ سنن الترمذي
١٢ـ الصافي، الفيض الكاشاني.
١٣ـ عمل المرأة في الميزان، د. محمد البار.
١٤ـ الفضيلة الإسلامية، السيد محمد الشيرازي.
١٥ـ تفسير القمي، علي بن إبراهيم.
١٦ـ كنز العمال، محمد تقي الهندي.
١٧ـ لسان العرب، ابن منظور.
١٨ـ ماذا تخفي لنا الموضة، نجمة السويلم.
١٩ـ مجلة الأُسرة
٢٠ـ مجلة المجتمع
٢١ـ مجلة المعرفة
٢٢ـ مجلة حضارة الإسلام

٢٣ـ معجم أعلام النساء، عمر رضا كحالة.
٢٤ـ المعجم العلمي الجنسي، د. مدحت شوقي
٢٥ـ معلمة الإسلام، أنور الجندي.
٢٦ـ ميزان الحكمة، الري شهري.
٢٧ـ النصائح، جمع من العلماء.
٢٨ـ نفحات محمدية، الشيخ محمد جواد مغنية.
٢٩ـ ومن الحب ما قتل.

صدر للمؤلف:

١ـالخمر حرمتها ومضارها على الإنسان.

٢ـالدين في منظار الغرب.

٣ـفقدان الإيمان طريق الدمار.

٤ـأعداء الأُمة ودعاتها بين النظرية والتطبيق.

٥ـ. المراهقة مشكلات وحلول.

٦ـ العوامية مجد وأعلام ج١.

٧ـ الجزء الأول من موسوعة مشاهير بلادي (الشيخ النمر جهاد وعطاء).

٨ـ ليلة القدر انعطافة تغييرية.

٩ـ هذا الكتاب ـ المرأة: مشكلات وحلول ـ

تحت الطبع:

١ـ المرأة والوعي الإنمائي.

٢ـ المرأة وتغيير الهوية (الموضة، والزينة نموذجا).

٣ـ الإسلام وطرق التغلب على الآلام.

٤ـ مقالات إسلامية.

٥ـ جدلية الأفضلية عند الشيعة الإمامية.

٦ـ فقدان الوعي طريق الدمار.

٧ـ الفكر الإسلامي عقائد ومفاهيم.

٨ـ القطيف ومحلقاتها: أبعاد وتطلعات.

كتب مخطوطة:

١ـ الحجاج في سطور.

٢ـ النواهي الشرعية بين الحقيقة والخيال.

٤ـ ابن سينا حياته وعصره.
٥ـ الجزء الثاني من مشاهير بلادي (الشيخ جعفر أبو المكارم خلاصة الفقهاء والمجتهدين)
٦ـ العامة وطالب العلم.
٧ـ هكذا رأيت الغرب.
٨ـ رواسب الماضي.
٩ـ الفكر الإسلامي عقائد ومفاهيم.
١٠ـ الشائعات طريق الدمار.
١١ـ من هم عباد الرحمن؟.
١٢ـ مستشفيات أم مجازر.
١٣ـ دراسات في علم الكلام، دراسة مبسطة في المدارس الكلامية.
١٤ـ الخطابة في القطيف، تحت البحث والدراسة والتنقيب، وصدر منه الحلقة الأولى (الخطابة في العوامية).
١٥ـ الحداثة من أين وإلى أين؟
١٦ـ الشيخ حسين صالح الداعية المثالي.
١٧ـ قصتي مع الأفعى(قصة قصيرة).
١٨ـ خلوة عاشق (مجموعة قصصية).
١٩ـ رجال القضاء في القطيف.
٢٠ـ الحركة العلمية في القطيف.
٢١ـ رسالة في التجري.
٢٢ـ تبسيط قواعد اللغة العربية للمبتدئين.

الفهرس

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع